الابن

خالد عمار

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للكاتب
ودار **أدباء ٢٠٠٠** للنشر الإلكتروني
رواية / الابن
للكاتب / خالد عمار
تصميم الغلاف / محمد علي
تصحيح لغوي / محمد فايز
الإصدار الأول / فبراير ٢٠١٦
دار **أدباء ٢٠٠٠** للنشر الإلكتروني
الموقع الخاص بالدار
http://entashaaer.wix.com/odabaa2000
المدونة الخاصة بالدار ومجلة أدباء ٢٠٠٠على البلوجر
http://odabaa2000.blogspot.com.eg
الصفحة الخاصة بالدار على الفيس بوك
/https://www.facebook.com/Odabaa2000
الجروب الخاص بالدار على الفيس بوك
/https://www.facebook.com/groups/1686790618200616

التواصل مع الكاتب
https://www.facebook.com/khaledammar21/

Khalidammar82@hotmail.com

الهداء

الهدي كتابي هذا لرجل ليس على ظهر هذه الحياة الدنيا، ربما لم أكتب إهداءاً مرة أخرى ، وربما أفعل .. لكني أردت الهداء كتابي هذا لروحه .

فقد كنت انوي تحويل قصة حياته وسيرته الذاتية إلى رواية يقرأها الناس في كل مكان ، وبدأت في هذا الأمر ، لكن قدر الله أن يتوفاه بعد ذلك بأسبوع واحد ، فتوقف مشروع الرواية تلك ولم أكملها أبداً.

الهدي هذا العمل إلى روح الرجل الذي أثر في حياتي التأثير الأكبر ، والذي لا أزال أتألم لوفاته التي مر عليها ست سنوات كاملة ، أهديها لحبيبي الراحل ، أحد عمالقة صناعة التشييد والبناء في محافظة بورسعيد ...

الراحل / محمد طاهر عبد اللطيف رحمه الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الفصل الأول

وقف (جلال صالح) يتلقى العزاء في وفاة أخيه (مُحَمَّد) من جموع الحاضرين في ذلك السرادق المهيب الذي يعبر عن الثراء الفاحش والمقام أمام فيلا (جلال) نفسه بمنطقة المقطم ، كان أخر المعزين هو الرائد (حسام كمال) رجل المباحث والذي صافح (جلال) معزيا وقال:

– البقاء لله يا استاذ (جلال).

رد (جلال):

– أشكرك يا سيادة الرائد.

قال (حسام):

– أعذرني يا استاذ (جلال) فيجب عليك أن تمر عليّ غدا بمكتبي لإنهاء المحضر الرسمي للحادث .

قال (جلال):

– أرجو أن تسمح بتأجيل اللقاء لبعد الغد .. فأسرة أخي الراحل وحماه وحماته وكذلك والدي زوجتي الراحلة سيبيتون هنا الليلة وغداً سأقوم بتوصيلهم للإسكندرية محل اقامتهم.

هز (حسام) رأسه قائلا:

– لابأس يا استاذ (جلال) .. فليكن بعد الغد موعدنا.

قالها وغادر المكان فألقي (جلال) جسده فوق كرسيه داخل هذا السرادق وأغمض عينيه وبدأ يستعيد ذكريات أخيه الأكبر (مُحَمَّد) والذي توفي أثر انقلاب سيارته من فوق هضبة المقطم.

فـ(جلال) هو الابن الأصغر لرجل الأعمال الكبير (صالح منصور) ، في أواخر العقد الرابع من عمره ، تخرج من كلية التجارة ، وقد اختاره والده ليكون خليفة له في رئاسة مجلس إدارة شركته الكبيرة ، لما رأي فيه من نباهة وذكاء وكفاءة كبيرة في العمل ، وقدرة كبيرة علي إجراء المفاوضات ، وهو شاب تربي في بيت صفته الثراء ، لكنه ليس بذلك الشاب المدلل عديم المنفعة ، وهو شاب كثير المغامرات النسائية ، وذلك بمساندة الثروة الكبيرة التي يمتلكها مع صغر سنه ، كانت حياته تسير بهدوء وبنمط واحد حتي قرر ذات يوم وبناء علي نصيحة أخيه الأكبر أن يغير حياته ويصبح أكثر التزاماً ويستقر ويكون أسرة قبل أن يسرقه الزمن ، وهو ما حدث بالفعل وصارت حياته نموذجية لفترة من الزمن ، قبل أن تنقلب حياته رأساً علي عقب في بضعة أشهر ، وتمتلئ بالأحداث والإثارة والقلق.

أما (مُحَمَّد صالح) فكان أخوه الأكبر والوحيد ، كان يكبره بسبع سنوات كاملة ،وهو علي النقيض تماماً من (جلال) ، فمنذ صغره وهو ملتزم تماماً في نواحي لحياة ومن الناحية الدينية والأخلاقية ، لم يكن له صداقات كثيرة ، اهتم بالدراسة وكان يتمني أن يكون من خريجي كلية العلوم ، لكن والده أجبره علي دخول كلية التجارة لكي يتحمل مسئولية الشركة من بعده ، ورغم أنه انصاع لرغبة والده إلا أنه لا يحمل صفات القيادة التي تؤهله لتولي مسؤولية شركة كبيرة بهذا الحجم ، وتزوج (مُحَمَّد) وكون أسرة صغيرة وله من الأبناء ولد وقد أسماه (جلال) علي اسم أخيه الأصغر ، وقد لقي ربه قبل يومين أثر حادث انقلاب سيارته من أعلي هضبة المقطم.

عاد (جلال) بذاكرته لسنوات كثيرة مضت ، كانت ذكرياته متلاحقة ومتتابعة بشكل مرتب جداً وبأدق التفاصيل حتى بدت وكأنها ذكري عدة أيام ماضية وليس ما يقرب من العشر سنوات ، تذكر ذلك اليوم الذي جلس خلف مكتبه الفخم والكبير في تلك البناية الشاهقة التي تعد الفرع الرئيسي للشركة ومقر مجلس الإدارة ، جلس مع أخيه (مُحَمَّد) المدير التنفيذي للشركة ونائب رئيس مجلس الإدارة ليحتفلا معاً

بأحد النجاحات الكبيرة للشركة ، كانت السعادة تبدو واضحة في ملامح (جلال) وفي صوته وهو يقول لأخيه ونائبه :

– اليوم يا (مُحَمَّد) يعد يوماً تاريخياً بالنسبة لشركتنا .. ارتفاع الاسهم المتتالي وعقد الوكالة الذي وقعناه صباحاً اليوم يجعلنا نتربع علي قمة السوق .. ليس الآن فحسب بل ربما لأكثر من عشر سنوات قادمة.

ابتسم (مُحَمَّد) بهدوئه المعهود وقال :

– الحمد لله يا (جلال) .. هذا بفضل الله سبحانه وتعالي وبفضل عملك الدؤوب ومجهود العاملين بالشركة خاصة أن عقد الوكالة هذا نتيجة لخطة مدروسة نعمل عليها منذ عامان كاملان ... لقد كان والدي رحمه الله بعيد النظر حين اختارك أنت لتخلفه في رئاسة الشركة .. فقد ارتفعت أسهم الشركة وفتحنا مجالات وأسواق متعددة بفضل حماسة وإدارتك لدرجة أنني لا أجاملك إذا قلت أنك أفضل من والدنا رحمه الله .

قال (جلال) :

– رحم الله والدنا الذي بني هذا الصرح .. وكما قلت أنت ... العمل بخطة مدروسة جيداً لابد أن يحقق النجاح حتى وإن تأخر لوقت ما.

قال (مُحَمَّد) :

– يا أخي نحن نعمل بجد ونأخذ بالأسباب العلمية والعملية ونترك النجاح والمستقبل لله تعالي .. المهم أن تأخذ بالأسباب .. لهذا ألا تري أنك نسيت شيء ما لم تأخذه بالاعتبار ؟

اندهش (جلال) قائلاً :

– أي شيء هذا ؟! لقد راجعت الملف أكثر من ثلاث مرات طوال الأسبوع الماضي مع الشؤون المالية والقانونية بالشركة .. أنا متأكد من أنني راعيت كل شيء .. فما تقصدك بقولك هذا ولماذا لم تنبهني لذلك الشيء في حينه ؟

ابتسم (مُحَمَّد) وقال :

– ومن تحدث عن العقد الجديد يا أخي ... أنا أتحدث عنك أنت .

بدا الضيق علي (جلال) وهو يقول :

– قل ماذا تقصد مباشرة ولا داعي للالتفاف حول الموضوع.

اخذ (مُحَمَّد) نفساً عميقاً قبل أن يقول :

– لقد نسيت نفسك يا أخي .. هل تذكر كم عمرك الآن؟ لقد اقتربت من الأربعين يا أخي .. كل المجهود الذي تبذله في العمل وسفراتك المتعددة والثروة التي ضاعفنا إياها أنستك نفسك وأنستك ان تتزوج وتنجب ولدا يحمل أسمك وأسم العائلة.

صمت (جلال) لحظات قبل أن ينفجر ضاحكاً وقال:

– ولد ؟! عن أي ولد تتحدث يا (مُحَمَّد) ؟ كنت أظنك تريد أن ترث أنت وأبنك هذه الثروة ... ولا تنسي أن أبنك يحمل أسم العائلة فما الداعي لزواجي .

طغت الجدية علي صوت (مُحَمَّد) وهو يقول :

– اسمعني جيداً يا (جلال) .. ربما أنستك نزواتك ومغامراتك أمر الاستقرار والأسرة تماماً .. العمر يمر وكل يوم ينتهي لا يمكنك ارجاعه ابدا .. لقد آن الأوان لك أن تكف عن تلك الحماقات والعلاقات لتتزوج وتكون أسرة حقيقية .... انظر إليّ الآن وقد دخل ابني السنة الأولي من

التعليم الابتدائي هذا العام .. وصدقني إن نظرة في وجه ابنك تساوي كنوز الدنيا كلها .. عليك التفكير جيداً في الموضوع .

نهضا سوية ليخرجا من المكتب و(جلال) يقول :

– لا تتعجل يا أخي . فكل شيء بأوان.

خرجا من المكتب ثم من البناية كلها وسط تهنئة الموظفين بالعقد الجديد ، واستقل كل منهم سيارته عائدا لبيته ، فـ(مُحَمَّد) يعيش حياة أسرية هادئة ومستقرة مع زوجته وابنه خاله في نفس الوقت (مها) ورزقه الله بطفل سماه (جلال) علي اسم اخيه الاصغر ، وسكن في شقة كبيرة في أحد أرقي أحياء العاصمة .

و(مها) هي امرأة وأم مصرية خالصة ، ربة منزل من الدرجة الأولي ،تولي بيتها وزوجها وولدها كل الاهتمام والرعاية ،تمتاز برجاحة العقل والهدوء والطيبة البالغة، مرحة الشخصية لحد كبير وتأنس لوجودها ، وكانت الزوجة المثالية لشخصية مثل (مُحَمَّد)

أما (جلال) فكان يسكن فيلا رائعة في أحد الأحياء بمنطقة المقطم ، ويعيش حياة مترفة وقد اشتهر بعلاقاته النسائية لدرجة أن الكثيرين حذوه من أن يجد لنفسه ابناً من تلك النزوات ، غير أنه كان يسخر منهم بأنه دائم الحرص .

كاد ليل ذلك اليوم أن ينتصف عندما دخل (جلال) أحد الأماكن التي اعتاد قضاء سهراته فيها ليبدأ سهرة جديدة صاخبة ، وجلس علي طاولته المعتادة ، وهي محجوزة باسمه يومياً سواء حضر للمكان أم لا ، وسط ترحيب شديد من العاملين بالمكان ، طامعين في بقشيش جديد هذه الليلة ، لكنه وللمرة الأولي وجد نفسه مشغولا عن الصخب والغناء والحسناوات من حوله ، كان (جلال) من تلك النوعية التي لا تمرر أي كلمة تقال له بسهولة ، ودائما ما يفكر جيدا فيما يسمعه قبل أن يتخذ قرار ، ووجد نفسه يفكر في كلام أخيه هذا الصباح ، والغريب أنه وجد في نفسه راحة لكلام أخيه ، ووجد ميلا تجاه موضوع الزواج ، وبدأ يتخيل نفسه وابنه يلعبان في حديقة الفيلا ، كان هناك جانب من شخصيته يتوارى خلف

النزوة والشهوة المؤقتة ، ويبدوا أن هذا الجانب استيقظ فجأة مع كلمات (مُحَمَّد) مما جعله ينهض مغادراً وهو يتمم :

— يبدو يا أخي أن الأوان قد حان .

اخذ سيارته وانطلق حتي وصل إلي كورنيش النيل العظيم ، فتوقف تماماً وعاد يفكر في الأمر بجدية ، لكنه صدم من أن كل الحسناوات اللاتي حوله لا توجد فيهن واحدة يمكن الزواج منها ، فكلهن من نوعيه واحدة ، وصدم في نفسه بالفعل ، لقد كان غارقاً في ملذاته ولم يفكر يوماً في الزواج ، وتعجب كيف تركه أخيه كل تلك الفترة بلا نصيحة وهو الأخ الاكبر والملتزم دينياً والمحافظ علي الصلوات والحاج لبيت الله تعالي . وبدأ يلقي اللوم علي أخيه لدرجه انه قرر أن يواجهه بهذه الأفكار قبل أن يتراجع ويلقي باللوم علي نفسه من جديد ، نعم لقد غرق في شهواته ونسي أمور عديدة ، لدرجة أنه لا يعرف فتاة من عائلة كريمة وتمتلك الخلق الرفيع ليتقدم لخطبتها ، إنه بالفعل يحتاج لوقفة مع نفسه ، وربما جاءت هذه الوقفة مع النفس في نفس توقيت تقدم الشركة الكبير ليكون تغيراً في نفسه وفي وضع الشركة معاً ، وقد اتخذ القرار الأصعب علي بني الإنسان ، لقد قرر أن يغير من نفسه.

****

انتفض (جلال) وفتح عينيه بسرعة عندما شعر بيد توضع علي كتفه ، ليجد أمامه (سيد) مدير المنزل والذي كان يعمل في المنزل لدي والده سابقاً، ووجد نفسه لا يزال علي كرسيه داخل سرادق العزاء في حديقة الفيلا ، و(سيد) يقول :

— انهض يا سيدي واسترح بالداخل .

نهض (جلال) ليدخل الفيلا و(سيد) يتبعه ويحاول أن يواسي رب عمله وهو يقول :

– تحلي بالصبر والإيمان يا سيدي ، إن الموت هو الحقيقة الوحيدة في هذه الدنيا ، أنا أعرف أنه لم يمر سوي شهرين تقريباً علي وفاة زوجتك رحمها الله حتى حدث هذا الحادث لـ(مُحَمَّد) بيه رحمه الله ، وكل هذا حدث بعد موت .....

قاطعه (جلال) بعصبية شديدة:

– اصمت يا (سيد) ولا تتحدث عن هذه الأمور ثانية وإلا ستنال أشد العقاب.

ارتبك الرجل وأسرع يبتعد معتذراً ، وترك خلفه (جلال) الذي دخل للفيلا ليجد باقي الاسرة يجلسون في صمت وعلامات الحزن تصرخ من فوق الوجوه ، كانت (مها) زوجة (مُحَمَّد) رحمه الله تجلس وإلي جوارها (جلال) الشاب الذي فقد والده وهو في سن المراهقة ، كانا شاردين تماماً ولازالا تحت وقع الصدمة ، والدي (مها) يجلسان بجوار والدي(أمل) زوجة (جلال) الراحلة ،نظر (جلال) لهم وقال :

– الان .. فلنصعد للنوم جميعاً وفي الصباح سأصطحبكم للإسكندرية.

قال (فضل) والد (أمل) :

– حسنا يا بني ، فنحن بحاجة للراحة حقا.

قالها وقام ليتبعه الباقين عدا (مها) وولدها فذهب (فضل) نحوهما وقال لـ(جلال) الشاب :

– هيا أيها الرجل ساعد والدتك لكي تستريح .. انت الأن رجلها فلا تدعها فريسة للحزن.. واصبر حتي تنقل الصبر لوالدتك المسكينة.

قام الشاب بالفعل وساعد والدته لتقوم من مجلسها وهي تبدو غير مدركة لما حولها والشرود هو المظهر الوحيد لها مع خطين من الدموع المحفورين علي وجنتيها دلالة علي بكاء استمر طويلا.

تابعهم (جلال) يصعدون للطابق العلوي حيث غرف النوم ثم صعد إلي حجرة نومه وألقي نفسه علي سريره محاولاً التواصل مع النوم ، لكن ذكري زوجته الراحلة قطعت سبل التواصل كلها مع النوم ، أغمض عينيه وتذكر كيف التقي بها للمرة الأولي ، تذكر سحر جمالها الذي فتنه من الوهلة الأولي.

أخذته ذكرياته إلي احتفال أخيه بيوم مولد ابنه (جلال) ، والذي كان بعد مرور شهرين علي اتخاذه للقرار المصيري بتغيير نفسه للأفضل وتقويم سلوكه والبحث عن شريكة حياته ، وفي هذا الاحتفال رآها ، كانت تقف بجوار (مها) باستمرار وتساعدها في تنسيق الحفل والترحيب بالضيوف ، جذبه جمالها الواضح وهدوئها وابتسامتها الساحرة التي لا تفارقها ابداً ، وكم كانت رقيقة وهي تداعب (جلال) الصغير وأصحابه وتلتقط لهم الصور التذكارية.

ظل يتابعها حتي وجد أخيه (مُحَمَّد) فسأله:

— من هذه الفتاة هناك يا (مُحَمَّد) بجوار زوجتك؟

التفت (مُحَمَّد) إلي حيث زوجته وعاد لأخيه قائلاً بحدة:

— وما شأنك بهذه الفتاة بالتحديد يا (جلال) ؟ إياك وممارسة ألاعيبك معها فهي واحدة من العائلة و أنا ....

قاطعه (جلال) مبتسماً:

— مهلاً مهلا يا أخي الكبير .. أنا لم أقصد أي مما يدور ببالك .. ربما أنك لم تتأكد بعد من أنني أسعي لضبط سلوكي كما تحدثنا من قبل .. أعرف أنك لم تتأكد من هذا ولكن كيف لي أن أقنعك ؟؟ ثم أنني أفكر في الزواج من تلك الفتاة هناك.

صمت (مُحَمَّد) قليلا وكأنه يفحص صدق أخيه قبل أن يقول :

– يا أخي .. أنت تعلم مدي حبي لك حتي أنني سميت ابني باسمك .. وأتمني لك التوفيق والخير علي الدوام.

فقال (جلال) :

– إذاً أخبرني عن هذه الفتاة واستعد .. فربما تقوم قريباً بدور والدي

صمت (مُحَمَّد)مجدداً وهو ينظر لأخيه وكأنه يفكر في جدية (جلال) ثم قال:

– أنت تعرف طبعاً أن زوجتي من الاسكندرية .. وهذه (أمل) ابنة الاستاذ (فضل) جار والدي (مها) وكانت (مها) تتولي رعاية (أمل) كثيراً قبل زواجي بها والفتاة مرتبطة بـ(مها) جداً حتي أنه يمكنك اعتبارهما أختين .. ووالدها وكيل سابق بوزارة التربية والتعليم بالإسكندرية وهو الآن بالمعاش .. ووالدتها تعمل بالشؤون الاجتماعية ولم يرزقا سوي بـ(أمل) وهي الآن في نهائي كلية الصيدلة بالإسكندرية .. وأنا علي استعداد لمفاتحة والدها في الموضوع إن كنت جاد حقاً.

ابتسم (جلال) وقال بهدوء :

– لقد طمأنتني يا (مُحَمَّد) كثيراً وخصوصاً بسبب ارتباطها بزوجتك .. لكن اصبر قليلا ولا تحدث أحداً عن الأمر .. فلابد لي من دراسة الموضوع جيداً.

قالها وابتعد مسرعاً عن أخيه وذهب وودع زوجة أخيه وابن أخيه ،وتصنع معرفته السابقة بـ(أمل) وهو يسلم عليها ويتمني لها قضاء وقت ممتع مع أسرة أخيه وانصرف علي الفور.

حتي أن (مها) ذهبت لزوجها وهي تتساءل:

– ألا تشعر بأن (جلال) مختلف هذه الأيام ؟

أجاب (مُحَمَّد) وهو يشعر بالحيرة في أمر أخيه :

– صدقت يا (مها) ، تصوري أنه يفكر في الزواج ؟! لقد ظننت بأنه لن يأتي مثل ذلك اليوم وأري أخي رب أسرة .

ابتسمت (مها) وقالت :

– اتمني من كل قلبي .. فنحن نعتبر (جلال) ابنك الأكبر .. ادعوا له بالتوفيق يا (مُحَمَّد) ودعني انتقي له عروس لا يمكنه رفضها أبداً.

عقد (مُحَمَّد) حاجبيه وهو يسأل (مها) :

– ومن هي هذه العروس التي لا يمكن رفضها أبداً؟

قالت :

– وهل هناك غيرها ؟! إنها (أمل) بكل تأكيد.

ارتفع حاجبا (مُحَمَّد) بشدة وقال مندهشاً:

– (أمل)؟؟؟

تابعت زوجته :

– بالتأكيد .. إنها فتاة علي خلق رفيع ومن عائلة محترمة نعرفها جيداً .. وهي دكتورة صيدلانية بعد أقل من العام إن شاء الله وهي ربة منزل ممتازة .. أنا ضامنة لها وسوف أتحدث مع والدتها في الموضوع .

بحث (مُحَمَّد) عن كلمات يواري بها دهشته الشديدة من كلام زوجته ، وتساءل هل سمعت حديثه مع (جلال) أم أن هذه فعلا فكرتها ، وقرر ألا يصارحها بأن هذه رغبة أخيه بالفعل وقرر أن يترك الأيام القادمة تكشف الاسرار وقال لزوجته:

– لا تتعجلي واصبري قليلاً ولنري ما تخبأه الأيام .

أما (جلال) فقد ذهب إلي شاطئ النيل حيث يحب أن يختلي بنفسه ، كان يفكر في ابن أخيه وفي فرحة الاسرة كلها بيوم مولدة وتمني للمرة الأولي أن يكون له ولد نابه مثل ابن أخيه ، ووجد نفسه يسترجع (أمل) وملامحها وبسمتها وضحكاتها الرقيقة وحركاتها وسكونها والتفاتاتها ، وجد في نفسه ميلا وشعورا جديداً عليه تماماً تجاه (أمل) ، كانت تسيطر علي تفكيره بصورة لم يعتدها ، إلا أن طبيعته العملية جداً جعلته يتخذ قراره في هذا الشأن.

كان (جلال) بعيداً كل البعد عن التسرع في اتخاذ القرارات الحاسمة ، وفي نفس الوقت لديه من الدأب ما يجعله يتحرك كثيراً في أي أمر هام إلي أن يحسم أمره تماماً ، فبدأ في جمع معلومات عن (أمل) و والديها ، لم يكونوا من الأغنياء ، لكن والدها لديه بعض المدخرات من سنوات الشقاء في بلاد الغربة عندما تمت إعارته لأحد الدول العربية ، ويعيشوا عيشة كريمة وهادئة ، ومشهود لهم جميعاً بالاستقامة ودماثة الخلق والكرم الشديد ، وكان قد ذهب للإسكندرية أكثر من مرة وذهب لكلية الصيدلة وتصنع الصدفة لمقابلة (أمل) هناك ، لكن كانت اللقاءات تبدو وكأنها صدفة حقيقية أمام الكلية ، لأنه في كل مرة تعمد أن يكون اللقاء مقتضباً ومفاجئ ولا يسمر لأكثر من دقيقة واحدة علي الأكثر كأنها صدفة ، ويسألها عن الدراسة وعن والديها وينصرف وكأنه في عجلة من أمره ، مما جعل (أمل) لا تتوقع شيئاً علي الإطلاق .

استمر (جلال) في دراسته لـ(أمل) وظروفها قرابة السبعة أشهر ، والتقي بها في هذه المدة متصنعاً المصادفة خمس مرات ، وكادت أن تنهي دراستها ، وكان قد حسم أمره بالفعل.

وذات يوم بينما يجلس في مكتبه بالشركة صارح أخيه قائلا:

– يا (مُحَمَّد) .. أنا أطلب منك الآن أن تحل محل والدي رحمه الله.

قال (مُحَمَّد) مندهشاً:

– وكيف ذلك يا (جلال)؟

ابتسم (جلال) وقال:

– تذكر متي قلت لك هذه العبارة

فكر (مُحَمَّد) قليلا قبل أن يبتسم فرحا ويقول :

– أأنت جاد في هذا ؟؟ إنه لمن أسعد الاخبار التي سمعتها في حياتي يا أخي .. هل هي (أمل)

اجاب (جلال)

– نعم هي .. وأرجو أن تحدث والدها في أقرب وقت.

قال (مُحَمَّد)

– أقرب وقت ؟؟؟؟ سوف أحدثه الآن .. ألم أقل لك أنه من أسعد الأخبار التي سمعتها .. بل هو أسعدها علي الاطلاق.

****

أشرقت الشمس وتسللت أشعتها لداخل غرفة نوم (جلال) في الفيلا ، كان قد فشل في النوم وغرق في ذكريات زوجته ، وكيف كان اللقاء ، كان لا يزال في ملابسة منذ العزاء بالأمس ، نهض وتحرك باتجاه الحمام الملحق بالغرفة ، كان يحتاج إلي الاغتسال .

اغتسل وبدل ثيابه ونزل من حجرته وهو مشتت الفكر ، كان يسير بالمكان وكأنه يراه ويتفحصه للمرة الأولي ، ذهب لغرفة مكتبه في الطابق الأرضي من الفيلا وجلس خلف المكتب الوثير وهو ينظر للحجرة ويتفحصها بشرود إلي أن وقع بصره علي صورة في اطار من الخشب المصنوع بحرفية عالية جداً ، والموضوعة بعناية فوق المكتب ، تلك الصورة تجمعه بزوجته وابنه الراحلين، ظل يحدق في وجه ابنه

الراحل بحزن لا يماثله حزن ، وشعر ببرودة قارصة تعصر قلبه بقسوة ، مما دفعه ليمسك بالصورة ويفتح أحد أدراج مكتبه ليبعد تلك الصورة عن ناظريه ، وما إن فتح الدرج حتي تسمر تماماً وعلى وجهه ملامح الرعب والدهشة.

فأمامه وفي ركن الدرج كانت هناك زجاجة صغيرة شفافة تحتوي علي سائل ما وسلسلة تحتوي مفتاح سيارة حديث من النوع الذي يتحكم في فتح وغلق السيارة عن بعد، بدا عليه القلق وهو يلتفت حوله في حذر ، ثم ترك الصورة من يده علي المكتب وتناول سيجاراً رفيعا من النوع المفضل له وأشعله وظل ينفث دخانه بهدوء لعدة دقائق ، كان غارقا في التفكير في شيء ما ، أطفئ سيجاره ثم أخرج منديله من جيبه وتناول به الزجاجة الشفافة والمفتاح من درج مكتبه ، ولفهما داخل منديله ودسهما في جيبه بسرعة ، ونهض بقلق وخرج من حجرة المكتب بحذر ، توقف للحظات ينظر للمكان ويتأكد من عدم وجود أحد في الفيلا ثم خرج إلي حديقة الفيلا .

بالطبع كانت الحديقة خالية وساكنة تماماً في هذه الساعة المبكرة من الصباح ، وقف قليلاً ثم توجه بحذر شديد إلي بناء صغير في ركن الفيلا الشمالي تم بنائه خصيصاً لزوجته الراحلة كمعمل تمارس فيه أبحاثها ، فتح باب المعمل ودخل بسرعة مغلقاً الباب خلفه وتوقف لدقيقة كاملة بلا حركة ليتأكد من أن أحداً رآه قبل أن يتوجه نحو أحد الدواليب التي تغلف جدران المعمل وفتحه وأخرج منديله بعناية ووضع الزجاجة علي الرف بحرص، وأعاد المنديل والمفتاح لجيبه من جديد وأغلق باب الدولاب بعناية ، ثم خرج من المعمل وأغلق الباب خلفه وتوقف للحظات ليتأكد من أن أحداً من العاملين بالفيلا لم يراه ، ثم عاد للفيلا من جديد ، وتفاجئ بـ(سيد) أمامه الذي تفاجأ بدوره وهو يقول بدهشة :

— سيدي لقد استيقظت مبكراً جداً هذا الصباح

قال (جلال) بعصبية:

— ومن يمكنه النوم من الأساس يا (سيد)

قالها واتجه نحو شرفة الطابق الأرضي وهو يطلب من خادمه :

– أعد لي طعام الإفطار والقهوة وأحضر معهم الجرائد وأتني بها في الشرفة

قال (سيد) :

– في الحال يا سيدي

كان (جلال) قد اشتعلت أعصابه منذ موت ابنه الذي رزق به بعد طول انتظار ، وما أتبعه من وفاة زوجته الشابة حزناً علي ابنهما ، ثم مصرع أخيه اثر انقلاب سيارته من فوق المقطم وتحطمها تماماً وهو بداخلها قبل يومين.

ولكن كيف حدث كل هذا ، يجب علينا العودة بالزمن لمراجعة الأحداث ، ولتتكشف الحقيقة ...

الحقيقة المؤلمة .

****

الفصل الثاني

جلس (جلال) و(مُحَمَّد) و(مها) في منزل الاستاذ (فضل) والد (أمل) في الإسكندرية ، كان (مُحَمَّد) قد حدث (فضل) في أمر زواج أخيه من ابنة الأخير وتلقي منه موافقة مبدئية ، وكان هذا اللقاء التقليدي للاتفاق علي أمور الزواج وإعلان الخطبة .

كان الحديث ودياً حميمياً بين كل الأطراف ، وكان (مُحَمَّد) يمارس دور الأب لـ(جلال) وهو يقول لـ(فضل) :

– إن شاء الله يا أستاذ (فضل) سنلبي كل طلباتكم وطلبات الدكتورة (أمل) .. ونحن علي اتم الاستعداد لإتمام الزيجة في خلال شهرين من الآن .

قال (فضل) :

– ولما العجلة يا (مُحَمَّد) ؟ لا تؤاخذني يا (جلال) يا ولدي .. فأنت وابنتي لا تعرفان بعضكما بصورة جيدة .. صحيح أننا نعرف بعضنا جيداً لكن الزواج يجب أن يتم عن قناعة متبادلة من الطرفين وأنا أري فترة الخطوبة ضرورية جداً.

قال (مُحَمَّد) :

– فلندع العروسان يتفهما طباع بعضيهما بعد الزواج يا (فضل) .. فهل كانت لنا فترات الخطوبة الطولية هذه عند زواجنا ؟؟

ابتسم (فضل) وقال:

– وهل زمننا كهذا الزمن يا (مُحَمَّد) ؟؟ ومن تحدث هنا عن فترة خطبة طويلة يا رجل ؟ كل ما قلته فترة خطوبة للتعارف الجاد بين الطرفين وقد تكون مدة الشهرين التي حددتها أنت كافية وقد تكون أقل من اللازم وتأكد تماماً من أنني علي مقدرة من تجهيز متطلبات الزواج لابنتي في ظرف شهر واحد علي الأكثر فأنت تعلم أنني ميسور الحال والحمد لله .

هنا تدخل (جلال) في الحديث قائلاً:

– اسمح لي يا (مُحَمَّد) بالحديث .. فأنا أتفق مع الأستاذ (فضل) تماماً بل واعتقد أن العروس لديها نفس الرغبة ولكن أحب أن اوضح فقط بأن أخي يريد الخلاص مني في أسرع وقت بالزواج لا أكثر .

ضحك الجميع لدعابة (جلال) ، وقال (فضل):

– لنترك للعروسين تحديد مدة الخطوبة حسب اتفاقهما .. ولكن هنالك شيء واحد فقط تود ابنتي الاطمئنان عليه .

تساءل (جلال) :

– وما هو ؟

قال (فضل) :

– انتم تعرفون أن (أمل) تحصل علي أعلي الدرجات كل عام بحمد الله في الجامعة ، وهي لا تريد أن تتحول بالزواج إلي ربة منزل فقط .. بل تريد أن تنال عمل يناسب دراستها.

تدخلت (مها) فالحديث قائلة:

– وهل للزوجة إلا بيت زوجها ؟!

وهنا ردت والدة (أمل) قائلة:

– يا (مها) يا عزيزتي بنات هذه الأيام ليسوا كما كنا .. فالبنت لها شخصيتها واستقلالها بعكسنا نحن و انتي تعرفين (أمل) حق المعرفة وتعرفين بأن لها طموح كبير تريد تحقيقه .

قالت (جلال) :

– دعوني أسأل العروس ، بعد إذن الأستاذ (فضل) ، هل هذا الشرط يعطل الزيجة في حال رفضي مثلا لعملك بعد زواجنا؟

ارتبكت (أمل) وصمتت وهي تحاول الفكاك من سؤال (جلال) المحرج قبل أن تقول بذكاء ودهاء النساء:

– وهل إذا أصريت علي العمل سترفض أنت إتمام الزواج ؟

ابتسم (جلال) وقد فهم أن (أمل) عكست له الفخ الذي أراد هو إلقائها فيه ، وصمت بدوره للحظات قبل أن يقول:

– صدقيني أنا لا استطيع أن أجزم بالإجابة الآن ، من ناحية المبدأ فأنا لا أمانع .. لأني أقضي كثيراً من الوقت في العمل وهذا الأمر سيصيب أي إنسانة بالملل .. لكني كنت أفكر في أنه بعد الإنجاب ربما لن تقدرين علي الجمع بين العمل ورعاية الأطفال والأسرة .

قالت (أمل) :

– المهم أنك لا تمانع في المبدأ .. وأنا أو أي انثي اخري تفضل رعاية ابنائها علي أي شيء أخر هذه غريزة وطبيعة أنثوية.. وإذا رأيت تعارض بين عملي والبيت فالمقارنة محسومة بالتأكيد لصالح البيت.

تنهد (مُحَمَّد) و(جلال) بارتياح قبل أن يقول الاخير :

– علي بركة الله

فابتسم (فضل) وقال :

– فلنقرأ الفاتحة ونسأل الله أن يتم الزيجة علي خير إن شاء الله

قالها ورفع الجميع يديه لقراءة الفاتحة معلنين بداية قصة معقدة بين العروسين

****

كان حفل زفاف (جلال) و(أمل) رائعاً بحق ، علي ظهر باخرة سياحية تشق النيل الخالد الذي يعشقه (جلال) ، في حضور الأهل والأقارب والمعارف وسادة المجتمع ، وبعض الوزراء وأصحاب النفوذ ، وعاش الجميع لحظات من السعادة بحق وسط الاحتفال الرائع بالزواج .

ووسط الاحتفال ذهب (مُحَمَّد) إلي أخيه وعروسه ومعه صديق له وهو يقول :

– هذا الدكتور (رأفت كامل) يا (جلال) ، صديقي القديم المقيم في لندن ... وقد أتي خصيصاً لتهنئتكما بالزفاف

نهض العريس مصافحاً الدكتور قائلا:

– هذا من دواعي سروري يا دكتور .. إن أخي دائم التحدث عن صداقتكما القديمه ودائما ما يستغل أي فرصه للقائك في لندن .. لكن لم يكن هناك داع لترهق نفسك هكذا من أجل تهنئتي .. فقد حملتني جميلا يجب علي رده في أقرب وقت.

ابتسم الدكتور (رأفت) وقال

– لا عليك يا (جلال) فأنت مثل أخي الصغير أيضاً .. فأنا و أخوك في منزلة الاخوة.

ثم صافحه وصافح (أمل) مهنئاً وذهب لقضاء الوقت مع (مُحَمَّد) وسألت (أمل) (جلال) بفضول :

– من هذا الدكتور يا (جلال)؟ وما تخصصه بالضبط ؟

أجابها (جلال) :

– إنه الدكتور (رأفت كامل) صديق قديم لأخي منذ المرحلة الثانوية .. يعيش في لندن وهو خبير في الهندسة الوراثية وعلم الجينات وله مكانة مرموقة جداً هناك .. بل أن له سمعة جيدة علي مستوي العالم.

أما الدكتور (رأفت) فقد لفت نظر الحاضرين جميعاً بشعره الأشيب بالكامل ، و المصفف بعناية كبيرة ، وبشرته شديدة الحمرة ، ونظارته الذهبية اللامعة التي يسكن خلفها عينين تشعان بذكاء متقد ، وحلة انجليزية فاخرة ، وبالطبع لم يكن أحد الحاضرين يعرف شخصيته أو طبيعة عمله سوي (مُحَمَّد) و (جلال) بحكم الصداقة ، مما أضفي عليه الكثير من الغموض زاد من متابعة الحاضرين له ، في حين انتقي (مُحَمَّد) طاولة في ركن أقل صخباً ليجلس مع صديقه القديم وهو يقول له:

– أشكرك بشدة يا صديقي لحضورك الحفل .. كنت سوف أحزن كثيراً لو لم تلبي طلبي منك بالحضور.

ابتسم الدكتور (رأفت) قائلاً :

– وكيف لا أحضر يا صديقي وأنت كما قال أخوك لا تترك أي فرصة تتواجد فيها للعمل في أوروبا إلا وتمر علي بلندن .. لقد حان دوري لأزورك أنا في القاهرة ، وتعلم ، لقد اشتقت لها جداً وقد تغيرت كثيراً عن السابق .

قال (مُحَمَّد):

– خمسة عشر عام كاملة تغير كل شيء يا صديقي ، المهم ، أخبرني عنك وعن عملك وأحوالك.

قال الدكتور (رأفت):

– العمل يسير بصورة جيدة والآن أعمل علي تطوير الجينات في الحيوانات ونقوم بعدة دراسات لاستنساخ حيوانات تحمل صفات خاصة ... وقد تركت العمل علي النباتات منذ فترة ليست بالقصيرة ولي دراسات علي الاستنساخ بين البشر ولكن كلها نظرية فقط .. وصعبة جداً من الناحية العملية لأننا في حال سعينا لاستنساخ انسان ففي البداية يجب أن نعثر له علي رحم لنضع الخلايا به من أحدي المتبرعات ... ثم ننتظر الولادة تسعة أشهر كاملة ثم ننتظر سنوات نمو المولود من الرضيع إلي الطفل إلي باقي مراحل عمره .. وربما يتوفى طاقم العلماء القائمين علي التجربة والطفل المستنسخ لا يزال طفلاً ولا نحصل علي النتائج إلا بعد مرور عقود من الزمان هذا بالإضافة إلي التجريم والرفض القانوني في كل الدول لأبحاث الاستنساخ علي البشر.

ضحك الاثنين ثم تابع الدكتور (رأفت):

– لقد قلتها منذ زمن .. لقد كانت كلية العلوم أولي بك من كلية التجارة التي أجبرك عليها والدك رحمه الله لتعاونه في أعماله.

ابتسم (مُحَمَّد) وقال:

– يا (رأفت) .. ألا تزال تذكر تلك القصة القديمة ، كل شيء قدر ومكتوب كما يقولون ... و ربما أراد الله هذا لأكون معيناً لأخي في الشركة .. تخيل لو كنت أصريت علي دخول كلية العلوم .. كان (جلال) يحمل أعباء الشركة وحده ... كل ما يقدره الله تعالي للإنسان هو خير لا نعلمه نحن ولكن يعلمه علام الغيوب سبحانه وتعالي .

ثم غابا في حديث الذكريات والعلم والسياسة ، وانبري الحاضرين في الاستمتاع بالحفل الجميل والتقاط الصور التذكارية مع العروسين اللذان غمرتهما سعادة جمة في كل حركاتهما ونظراتهما ، وانتهي الحفل وذهب كل في سبيله ، ولكن (مُحَمَّد) وزوجته ووالدا (أمل) قاما بتوصيل العروسين للمطار ، ليستقلا الطائرة لقضاء شهر العسل في رحلة سياحية حول العالم.

بدأت الرحلة بزيارة لإسبانيا ، وحضر العروسين أحد أشهر عروض مصارعة الثيران الشهيرة ، والتقطا الكثير من الصور لهذا العرض ، وتجولوا بين بقايا الحضارة الاسلامية في مدينة اشبيلية ، واستمتعا بالعمارة الإسلامية البديعة ، كما حضرا أحد مباريات فريق ريال مدريد لكرة القدم في الدوري الأوروبي ، وغمرتهما سعادة كبيرة لفوز الريال بالمباراة فكلاهما من مناصري الفريق الملكي .

ثم انتقلا إلي فرنسا ، عاصمة الموضة في العالم ، وأقاما في باريس الرائعة ، عاصمة النور كما يسمونها ، وكان (جلال) مندهش من أمر زوجته كثيراً ، فبرغم حضورها لعرض أزياء عالمي لدار شهيرة جداً ومرورهما بالكثير من دور الأزياء إلا أنها نادراً ما ابتاعت شيء من تلك الدور ، وكان (جلال) مندهشاً من أنها تحب أن تكون علي اطلاع دائماً بكل ما هو جديد لكن لماذا تشتري ما لا تحتاجه فعلا ، وكانت ترفض أن يشتري لها الكثير من الأشياء ، وتأكد (جلال) من أن (أمل) لها طباعها وشخصيتها المستقلة المختلفة نوعا ما عن معظم بنات حواء .

كان سعيداً بها لأقصي درجة ، وكلما مضي يوماً جديداً كان تعلقه يزداد بها ، لقد تقربا كثيراً في فترة الخطوبة والتي استمرت قرابة الثمانية أشهر ، وفي كل يوم كانت (أمل) تبهره وتفاجئه بتصرفاتها وبشخصيتها المعتدلة والمرحة ، حتي أنها كنت تماماً في قلبه وتربعت ، وأصبح يتمني إسعادها بقد استطاعته .

ثم انتقلا إلي جزيرة بورا بورا الساحرة والتي تقع في جنوب المحيط الهادي ، وهي مستعمرة فرنسية ، تقع شمال شرق القارة الاسترالية وهي من الجزر التاهيتية ، وتمتاز بابتعادها عن التلوث والضوضاء بسبب بعدها النسبي عن العالم الذي نعرفه نحن، وهي تمتاز بصفاء مياهها الفيروزية الساحرة ونقاء سمائها الزرقاء الخلابة ، وسحر رمالها الفضية الناعمة ، كانت الجزيرة ذات سحر يذيب الحواس استمتاعا بجمالها الأخاذ ، حتي أن (أمل) كانت تكرر كثيراً أنها انتقلت للجنة ، ولم تترك لحظة لم تسجلها بعدسة الكاميرا الصغيرة التي تحملها ، وأرسلت لوالديها مئات الصور للجزيرة الساحرة عبر البريد الالكتروني ، وعندما قاربت الرحلة علي النهاية غمرها حزن عميق لتركها الجزيرة التي لم ولن تري مثلها علي سطح كوكب الأرض بكامله.

انتهت رحلة الحب والسعادة ، وعاد الزوجين للوطن سالمين ، وبعد مرور يوم واحد علي عودتهما كان الجميع يجتمعون علي الغذاء في فيلا (جلال) ، وتبادلون حديثاً مرحاً أثناء تناول الطعام ، وكانت والدة (أمل) تكثر من الدعاء للعروسين مع كل أمر يحكيانه عن رحلتهما الرائعة ، وخصوصا دعائها أن يرزقا بطفل نابه وذكي مثل (جلال) الصغير ابن (مُحَمَّد) و(مها) .

وما إن انتهوا من تناول الطعام حتي خرجوا جميعاً لحديقة الفيلا لتناول الشاي ، ومالت (مها) علي أذن (أمل) بحديث نسائي وهي تقول:

– أخبريني يا عروس هل هناك شيء ما في الطريق ؟

توردت وجنتا (أمل) بالخجل وتصنعت عدم فهمها للسؤال قائلة :

– شيء مثل ماذا يا (مها)؟

لاحظت (مها) ارتباك (أمل) وقالت :

– الحمل والإنجاب يا عروس . أنا أعلم تماماً أنك تفهمين مقصدي .. لا داعي للخجل وصارحيني.

ازداد خجل (أمل) وهي تقول:

– كل شيء بيد الله سبحانه وتعالي يا (مها) .. ولم يمر علي زواجنا سوي شهر واحد فقط .. وأنت تعرفين جيداً منزلتك عندي وفي حال حدوث ذلك ستكونين أول من يعلم بالتأكيد .

قالتها ثم نهضت قائلة:

– دعينا ننضم لوالدي ووالدتي يا (مها) ، الم تلاحظي أن زوجينا تركوهما بمفردهما ؟

ثم انضمتا للوالدين في حين انزوي الأخوين (جلال) و (مُحَمَّد) في حديث من نوع أخر تماماً ، حديث العمل ، وكان (جلال) يتلقي من أخيه تفاصيل ما حدث بالشركة طيلة الشهر الماضي ، حتي انتهي (مُحَمَّد) من كلامه فقال له (جلال):

– أنا أعرف يا أخي أنك تحملت أعباء كثيرة فترة غيابي لكنك علي قدر المسئولية

ابتسم (مُحَمَّد) وهو يقول لأخيه:

– لا تقلك يا (جلال) فهي شركتي أيضاً .. وأنت تعرف أن أكثر ما أجيده في الحياة هو العمل.

ثم قاما وانضما للجميع وعاد الحديث الودي يجمعهم مرة أخري ، كان (جلال) لا يترك كلمة تقولها (أمل) إلا ويؤيدها أو يطري عليها ، وكان قد بدأ يشعر نحوها بمزيد من الحب ، وكان يعمل بجد علي إسعادها و إرضائها ، وهي لاحظت ذلك وكانت سعادتها بالغة ، وشعرت بأن زواجها من (جلال) هو مفتاح سعادتها في الحياة ، فهو ودود حنون ومرح ويحيطها بحب كبير منذ تمت خطبتهما ، كانت راضية جداً ومطمئنة ، وهو أيضاً لم يكن يتصور أن يجد هذه السعادة في الزواج ، ولم يكن يتصور أن يحب زوجته كما يحب (أمل) الآن ، كان مجرد النظر في وجهها الجميل يمنحه شعوراً كبيراً بالفرح والبهجة .

وعندما مالت الشمس للمغيب ، انصرف الجميع ليتركوا العروسين وحدهما ، وفي داخل الحجرة الكبيرة في الطابق العلوي من الفيلا ، تمدد (جلال) علي السرير متابعاً لأحد البرامج الحوارية الشهيرة وبجواره تمددت (أمل) وألقت برأسها فوق كتفه ، فاحتضنها بذراعه وضمها إليه وقال:

– تصوري أن الإجازة انتهت وعليّ العودة بأكر للعمل

قالت (أمل) :

– لقد تعودت علي وجودك مع أينما أكون طيلة الشهر الماضي ولا أدري ماذا سأفعل غدا وحدي في هذه الفيلا الكبيرة.

قال (جلال) :

– هل أعجبتك رحلتنا معاً ؟

قالت :

– أعجبتني ؟! لقد سحرتني تماماً ، خصوصاً بورا بورا ، لا أظن أن رحلة هذه يمكنني نسيانها أبداً

قال (جلال) :

– هل تصدقيني إذا قلت لك أنني لم أهتم بالأماكن التي زرناها ولم ألاحظ ما فيها من مناظر طبيعية جيداً؟

قالت (أمل) في دهشة :

– ولم ؟ ماذا كان يشغل بالك؟

قال (جلال) بعد أن ضمها أكثر بذراعه :

– لأنني كنت منشغلاً بكِ يا حبيبتي .

تركت (أمل) نفسها بين ذراعيه وهي تقول :

– لا حرمني الله منك يا (جلال) .

كان (جلال) و (أمل) يعيشان أيام من السعادة والأمل ، ولا يعكر صفوهما شيئاً ، بالفعل تغير (جلال) كثيراً وأصبح محباً للمنزل ولزوجته ودائم التفكير بها وفي ما يسعدها ، وانعكس هذا التغيير علي كل تصرفاته ، وأصبح أكثر اتزاناً وعمقاً ، وبدا وكأنه شخص جديد ومختلف له حياة جديدة ومختلفة عما كان عليه قبل ما يقارب العام

****

مرت أربعة شهور علي زواج (جلال) و (أمل) ، وأصبح (جلال) حريصا علي قضاء أكبر وقت ممكن بجوار زوجته ، حريصاً جداً علي تحقيق السعادة لها ، استمرت العلاقة بينهما لهذه الفترة وكأنهما في شهر عسل مستمر ، حتي بدأت تتحول تدريجيا للمنغصات الزوجية التقليدية ، فحدث أنه ذات يوم وفي المساء ، و أثناء تناولهما العشاء أن قال (جلال) لزوجته متسائلاً:

– أترغبين بشيء ما من لندن؟

ابتسمت (أمل) وقالت :

– شكراً لك .. يبدو أن الدكتور (رأفت) علي وشك القدوم أليس كذلك ؟

قال (جلال) :

بل أنا و (مُحَمَّد) من سنذهب إليه

عقد (أمل) حاجبيها وبدت غاضبة بعض الشيء وهي تقول :

– زيارة عمل بالطبع

أومأ (جلال) برأسه دون أن ينطق وهو يتابع تناول الطعام ، فقالت (أمل) :

– فلتأخذني معك إذن

نظر لها (جلال) قليلا قبل أن يقول:

– إنها رحلة عمل سريعة جداً ولمدة ٣ أيام فقط .. ولن يكون هناك متسعاً من الوقت لأي شيء .. فلدينا اجتماعات علي مدار الساعة ولن تستمتعي بالرحلة في حال رافقتني إلي هناك .

لم يبدو أنها مقتنعة وهي تقول:

– أنا أتفهم انشغالك ولكنك ستتركني هنا وحيدة .. فلم لا تأخذني معك علي الأقل أظل بقربك طوال الوقت؟

أجابها (جلال) :

– صدقيني لن تستمتعي أبداً ، ولكن إن لم يكن لديك مانع ، يمكنني أن أطلب من (مُحَمَّد) بأن تجلس (مها) وابنها معك في هذه الفترة وهو لن يمانع بالتأكيد.

هنا أدركت (أمل) أن (جلال) قد اتخذ قراره بالفعل بعدم مرافقتها له في هذه الرحلة ، وهي تعلم أنه يتمتع بالعناد ، فرفضت الدخول في جدال معه لأن في النهاية هو لن يغير قراره ، وقررت أن تتقبل الأمر خصوصاً أن الرحلة ثلاثة أيام فقط ، فأخذت نفساً عميقاً ثم قالت :

– كما تشاء يا (جلال) ولكن عليك أن تعوضني عن فترة غيابك هذه.

ابتسم (جلال) بارتياح وقال:

– حتي وإن لم تطلبي هذا فأنا قررت أن نأخذ إجازة في أقرب فرصة لنقضيها معاً وحدنا .

لم تعقب (أمل) بكلمة واحدة وإن ظلت ترمقه بنظرة ملؤها اللوم والعتاب ، وبالطبع لم يخفي هذا علي (جلال) ، ولكنها ضرورات العمل ، وحتي يخرج من الموقف فأنهي طعامه بسرعة وتوجه نحو الصالون الفاخر وجلس قبل أن يضع كبير العاملين بالفيلا (سيد) كوباً من العصير أماه ثم تناول هاتفه المحمول ليتصل بأخيه ليطلب منه أن تقيم زوجته مع (أمل) فترة سفرهما إلي عاصمة الضباب ، أما (أمل) فقامت وتبعته إلي الصالون وجلست بجواره ، فطلب رقم أخيه وانتظر حتي أتاه الرد فقال:

– أهلا يا (مُحَمَّد) كيف حالك؟

– هل تمانع يا أخي أن تقيم زوجتك و(جلال) هنا مع (أمل) طوال فترة سفرنا ؟

– بالتأكيد يا (مُحَمَّد) وهو كذلك ، إلي اللقاء.

قالها وأنهي المحادثة والتفت إلي (أمل) وابتسم وهو يقول :

– حسنا يا حبيبتي ، لقد وافق (مُحَمَّد) وستقيم (مها) معك و(جلال) الصغير حتي لا تشعري بالوحدة وأنا علي وعدي بأخذ إجازة قريباً تعويضا لك عن هذه السفرة .

هزت (أمل) رأسها وقالت :

– لا عليك يا (جلال) ، الأمر وما فيه أنها المرة الأولي التي تتركني وحدي وتسافر لثلاثة أيام كاملة .

دخل (سيد) ووضع كوب العصير أمام (أمل) وخرج من فوره ، وأخذ (جلال) يد (أمل) بين يديه وأصبح صوته حنونا وهو يقول:

– لن تكوني وحدك يا (أمل) .. وفي المرات القادمة سأنسق لتصاحبيني لأي مكان أذهب إليه .

تنهدت (أمل) وقالت :

– أأمل هذا ، ولكن قل لي ، متي ستسافر بإذن الله تعالي؟

قال (جلال):

– يوم الثلاثاء القادم ، اليوم هو الخميس فيكون السفر بعد خمسة أيام.

ثم قام وحمل (أمل) بين ذراعيه فجأة ، فضحكت وقالت :

– ماذا تفعل ؟؟

غمز لها بعينه وهو يقول :

– ألم أقل لك أن اليوم هو الخميس ؟

ثم توجه بها نحو غرفتها الرئيسية بالطابق العلوي ...

****

حان يوم السفر ودق جرس باب الفيلا فهب (سيد) ليفتح الباب ، فإذا به (مُحَمَّد) وأسرته الصغيرة ، رحب بهم (سيد) وقادهم للجلوس بغرفة الصالون ، ونزل (جلال) و(أمل) لاستقبالهم ، وبعد عبارات التحيات والترحيب سأل (مُحَمَّد) أخيه:

– أأنت جاهز يا (جلال) ؟

رد (جلال) :

– بالطبع ، المهم هل (ثروت) جاهز؟

ابتسم (مُحَمَّد) وقال بهدوئه المعهود:

– بالطبع جاهز وهو ينتظرنا في سيارته خارج الفيلا

قال (جلال) :

– إذن فلا نضيع المزيد من الوقت .... هيا بنا

قالها والتفت إلي أمل وامسكها من كتفيها وطبع قبلة رقيقة علي جبينها ، وقال :

– سوف أحدثك هاتفياً فور وصولنا لندن .

قالت (أمل):

– تصل بسلامة الله وحفظه.

ثم تبادل الجميع السلام ، وخرج هو وأخيه ليلحقا بـ(ثروت نوح) المحامي الشهير ، والمستشار القانوني للشركة ، وبالطبع هو وكيل لكليهما ، وأمين سر الشركة ، شهرته جعلته نجماً شبه دائم في البرامج الحوارية ، وهو معروف بأنه محامي الطبقة الراقية ورجال الأعمال فقط ، ولا يقبل أي قضايا ليترافع فيها ،بل يسعي وراء القضايا الكبيرة والتي لها انتشار وتأثير علي الرأي العام .

قال (جلال) لـ(مُحَمَّد) وهو يرافقه عبر حديقة الفيلا متوجهين لسيارة (ثروت) :

– فلنترك سيارتينا ونذهب في سيارة (ثروت)

(مُحَمَّد) :

– فليكن.

أشار (جلال) بيده لأحد الخدم ، فحمل حقيبة (جلال) حتي سيارة (ثروت) ، ثم أخرج حقيبة (مُحَمَّد) من سيارته وحملها إلي سارة (ثروت) الذي نزل من السيارة لاستقبال (جلال) و (مُحَمَّد) وهو يقول:

ما هذا يا (جلال) بك ؟! هل سنذهب بسيارتي للمطار ؟

(جلال):

– وماذا في هذا يا (ثروت) ؟

(ثروت):

– الرحلة مدتها ثلاثة أيام .. وأنت تعرف مصاريف ترك السيارة في مواقف المطار.

ضحك (جلال) وقال:

– أنت كما أنت .. سأتحمل أنا التكلفة يا بخيل.

ضحك الثلاثة قبل أن يصعدوا جميعا للسيارة ، وجلس (جلال) بجوار (ثروت) في حين أستقر (مُحَمَّد) في المقعد الخلفي و(ثروت) يقول:

– ليس بخلاً يا (جلال) بك وأنت تعرفني جيداً .

ضحك (جلال) وقال:

– المشكلة في أنني أعرفك حق المعرفة بالفعل.

ضحكوا مرة ثانية ، ثم تحركت السيارة ليتوجهوا نحو المطار ، لبداية الرحلة ، وفي المطار كان (ثروت) يتحرك بسرعة لينهي إجراءات السفر ، وأتم عمله بسرعة كبيرة بفعل علاقاته المتعددة ثم لحق بوكيليه في كافتيريا شهيرة داخل المطار وجلس ليتناولوا القهوة قبل السفر .

سأل (جلال) :

– هل جهزت كل الأوراق يا (ثروت)؟

أجاب المحامي:

– لا تسألني مثل هذا السؤال من فضلك ، تلك الأمور أنت تعلم مدي حرصي عليها.

ابتسم (جلال) ولم يعقب في (حين) قال (مُحَمَّد):

– يا عزيزي (ثروت) لولا ثقتنا فيك ما كنت المحامي الخاص بنا إلي الآن .. ولكن ما المانع من التأكد فالحرص واجب.

ثم غمز بعينه لـ(جلال) وهو يقول :

– والآن انهي فنجان قهوتك بسرعة حتي نصعد للطائرة .. ولا تنسي تسديد الفاتورة فقد أخبرت النادل انك من ستدفع الفاتورة .

ضحك الأخوين في حين بدا الضيق والحنق علي وجه (ثروت) وهو يحاول التظاهر بالعكس عندما قال:

– الأمر بسيط يا (مُحَمَّد) بك .. وطالما أنا من سيدفع فكان من الواجب أن تطلبا طعام الإفطار أيضا.

ضحك (مُحَمَّد) وقال :

– لا عليك ، فنحن سنكتفي بطعام الطائرة لكن إن كنت تصر علي تناول الطعام هنا أولا فلا مانع لدينا .

تناول (ثروت) ما بقي في فنجانه ، ثم قام وهو يقول :

– أعتقد أنه يجب علينا الصعود للطائرة الآن وسأكتفي أنا أيضاً بطعام الطائرة.

ثم قام الجميع وبعد أن دفع (ثروت) الفاتورة توجهوا ليصعدوا للطائرة المتجهة إلي لندن ، وما إن استقروا في أماكنهم حتي قام (جلال) بالاتصال بـ(أمل) ليطمئن عليها ، وانتظر قليلا حتي أتاه الرد فقال:

– كيف حالك يا حبيبتي ؟

(أمل):

– أنا بخير ، أين أنت الآن ؟

(جلال):

– في الطائرة ، ونحن علي وشك الإقلاع ، وأردت أن أسمع صوتك قبل أن تقلع الطائرة .

(أمل) :

– كل ما أريده منك أن تطمئنني عندما تصل إلي لندن.

(جلال) :

– بالتأكيد يا حبيبتي .

قاطعه صوت مضيفة الطائرة عبر مكبرات الصوت تطالب الجميع بربط الأحزمة وغلق الهواتف المحمولة والالتزام بتعليمات السلامة.

فقال (جلال):

– سأضطر لإنهاء المكالمة فنحن سنقلع الآن .. سأحدثك فور وصولنا لندن

(أمل):

– تصل بسلامة الله يا (جلال).

ثم أنهت المكالمة والتفتت إلي (مها) التي تجلس بجوارها تطالع أحد البرامج التليفزيونية وأطلقت زفرة ضيق ، فنظرت لها وقالت :

– ما بك يا (أمل)؟

قالت (أمل) بضيق واضح :

ألا تدرين يا (مها) ؟ لقد تركني وحدي وسافر هو ولم يمر علي زواجنا سوي أربعة شهور فقط.

تناولت (مها) جهاز الريموت كنترول ، وأغلقت التلفاز ثم اعتدلت في جلستها لتواجه (أمل) وقالت:

– اسمعيني يا (أمل) .. أنت تعرفين وضع زوجك وطبيعة عمله كرجل أعمال ناجح وشهير .. بل أنه يعتبر من الشخصيات العامة في المجتمع ، وكل هذا يحتاج منه العمل المستمر والدؤوب للحفاظ علي مكانته ومكانة الشركة.

قالت (أمل) :

– أنا أدرك كل ذلك جيداً ، لكننا لا نزال في أيام الزواج الأولي ويتركني لثلاثة أيام كاملة.

قالت (مها)

– كأن مدة الثلاثة أيام كبيرة بالنسبة لكِ ، وماذا ستفعلين أن سافر وغاب عنك لمدة شهر ؟

(أمل) بدهشة كبيرة :

– شهر !!

ابتسمت (مها) وقالت:

– نعم ، شهر كامل ، أنا أعتقد أن هذه المرة (جلال) و (مُحَمَّد) قاما بالترتيب لكل شيء قبل السفر بطريقة أو بأخرى .. فغالبا ما تكون سفريات العمل هذه لعدة أسابيع و أحياناً لشهر أو أكثر ، عليكِ أن تعتادي هذه الأمور حتي لا تصابي بضيق لا داعي له .

صمتت (أمل) وكأنها لا تجد ما تقوله ، وظلت تفكر في كلام (مها) التي تابعت:

– لا تقلقي يا (أمل) ، فعندما كان (مُحَمَّد) يسافر لفترات طويلة مع (جلال) كنت أقضي بعض الوقت في المنزل ثم أذهب لبيت والدي بالإسكندرية وأنت أيضاً لديك هذه الخيارات ..(جلال) لن يمانع أبداً إذا كانت مدة سفره ستطول وسيكون بإمكانك قضاء الوقت معي أو تذهبي للإسكندرية ... المهم أن تعتادي طبيعة عمل زوجك وتساندِيه ولا ترهقيه .

قالت (أمل) :

– لا أدري يا (مها) ... ربما لأنها المرة الأولي .. لقد كان (جلال) رائعاً معي منذ أن تم زواجنا وغيابه المفاجئ هذا أربكني .. وفي نفس الوقت جعلني أري طبيعة العمل .. ويجب أن اعتاد الأمر كما قلتِ .

ربتت (مها) كلي كتف (أمل) وقالت:

– هذا أفضل لكِ وله ، و إن شاء الله عندما ترزقين بطفل ستنشغلين به تماماً حتي عن (جلال) نفسه أصدقيني القول يا (أمل) هل هناك جديد؟

قالت (أمل):

– ليس هناك أي شيء لأخبرك به يا (مها) .

(مها) بمكر :

– يبدوا أن (جلال) كان مشغول عنك كثيراً في الأيام الماضية.

(أمل):

– بالعكس يا (مها) ، هو دائما بقربي ونحن علي أفضل ما يكون .. لكنها إرادة الله ولم يحدث أي شيء حتي الآن ثم أننا متزوجين حديثاً وأمامنا الكثير من الوقت .

سألتها (مها):

– هل اتفقتم مثلا علي تأخير الإنجاب لبعض الوقت ؟

أجابت (أمل):

– كلا ، و لم نفكر في شيء كهذا... كما قلت لكِ إن إرادة الله لها وقتها المحدد ولا يمكن أن نستعجل في شيء لم يحن قدره بعد.

قالت (مها):

– صدقت يا (أمل) ، لكني أردت الاطمئنان فقط و إن شاء الله سترزقين بولد نابه يملئ عليك الحياة.

تنهدت (أمل) وقالت:

– يا رب.

قالتها (أمل) وسرحت في ما دار بينها وبين (مها) ، موضوع طبيعة عمل زوجها وسفراته المتعددة ، كانت تحاول أن تقنع نفسها بالتعود علي الأمر ، كانت تفكر في أنها لو كانت تعمل ما شعرت بالضيق والوحدة ، وتذكرت اتفاقها مع (جلال) بخصوص عملها ، الاتفاق الذي وافقت هي عليه ، ألا تطلب العمل وتتفرغ للبيت والأولاد في بداية الزواج ، ولكن أين هم الأولاد ؟ جال السؤال ببالها من جديد ، إن موضوع الإنجاب لا يغيب عن تفكيرها لحظة واحدة برغم تظاهرها بالعكس وكلامها الدائم مع والدتها و(مها) و صديقاتها حول أنه لم يمر علي الزواج فترة كبيرة تجعلها تشعر بالقلق ، حتي أنها تحاول أن تجد لنفسها عزاءاً في هذه الكلمات ، لكنها من داخلها ، كأي أنثي ، تتحرك فيها غريزة الأمومة منذ اليوم الأول لها كزوجة ، إلا أن عقلها وتفكيرها يعزيانها بالصبر ، ولكن إلي متي يطول هذا الصبر ؟؟

****

الفصل الثالث

كانت رحلة لندن شاقة بحق فمنذ اللحظة الأولي لوصول (جلال) و (مُحَمَّد) و (ثروت) ، وجدوا مندوباً للشركة الانجليزية في انتظارهما بالمطار ، واستقلوا سيارة خاصة للفندق بعد الانتهاء من إجراءات الدخول للأراضي البريطانية ، لم يمكثوا في الفندق الفخم سوي نصف ساعة فقط مع ذلك المندوب ، احتسوا الشاي الانجليزي الشهير وتوجهوا فوراً إلي مقر الشركة وفرعها الرئيسي في شارع داوننج ستريت الشهير ، ذلك الشارع الذي يقع به منزل رئيس وزراء بريطانيا ، والذي يحمل عبق التاريخ في طراز المباني والواجهات الرائعة.

استمر الاجتماع لأكثر من ثلاث ساعات من المباحثات والنقاشات ، وخرجوا جميعاً منهكين تماماً بعد هذا اليوم الشاق ، ثم عادوا للفندق وغرقوا جميعا في نوم عميق .

دقت ساعة الإيقاظ في تليفون (جلال) المحمول معلنة تمام السابعة صباحاً ، ففتح عينيه وظل ثابتا للحظات ، قبل أن يمد يده ليوقف جرس التنبيه ، ثم نظر بجانبه للسرير الفارغ ، وابتسم ، كانت (أمل) تملئ تفكيره في هذه اللحظة ، لقد تعود أن يستيقظ ليجدها بجواره ، لقد تغيرت حياته كثيرا بعد الزواج وأصبح أكثر ميلاً للاستقرار والهدوء ، مده يده مر ' أخري وتناول هاتفه وقام بالاتصال بـ(أمل) وانتظر حتي أجابته هي فسألها :

– لماذا استيقظت مبكرا هكذا ؟

قالت مداعبة :

– أي تبكير هذا الذي تتحدث عنه ؟! يبدوا أنك نسيت فرق التوقيت بين القاهرة ولندن.

ضحك (جلال) وقال :

– يبدو أنني نسيت لكنك لم تنسي ، كيف حالك ؟

أجابته :

– بخير والحمد لله ، المهم تكون وفقت في اجتماع الأمس.

(جلال):

– لقد اتفقنا تقريبا علي كل الأمور وسيتم العرض علي مجلس إدارتهم اليوم ثم نجتمع مرة أخري لتوقيع العقود.

قالت (أمل):

– إن شاء الله يا (جلال) يتم لك الأمر كما تريد وأكثر.

سألها (جلال):

– أما زلت لا تريدين أي شيء أحضره لك من هنا ؟

قالت :

– بل أريد شيء واحد فقط.

سألها بلهفة:

– وما هو ؟

قالت برقة:

– أنت يا (جلال) .

ابتسم وقال :

– غدا في المساء سأكون عندك .. والآن سأنهي المكالمة حتي أقوم بإيقاظ (مُحَمَّد) و (ثروت) فلنا موعد في الشركة في تمام التاسعة.

قالها ثم أنهي المكالمة ، وظل مستلقياً لدقائق يفكر في هدية يشتريها لـ(أمل) ، ثم قام من الفراش ، وتناول سماعة التليفون الداخلي للفندق ، وطلب من موظف الاستقبال أن يتصل بغرفة (مُحَمَّد) ، وانتظر حتي سمع صوت أخيه فقال:

– صباح الخير يا (مُحَمَّد) .. هل استيقظت ؟

(مُحَمَّد):

– استيقظت بالفعل وأيقظت (ثروت) أيضاً وسنلتقي في المطعم في الطابق الأرضي لتناول الإفطار بعد ربع ساعة من الآن إن شاء الله.

(جلال):

– حسنا سنلتقي هناك .

ثم أنهي المكالمة ، وقام ليغتسل ويرتدي ملابسه ، وبعد ربع الساعة كانوا جميعاً تجمعهم مائدة إفطار واحدة، كانوا يتحدثون حول أمور العمل ، حتي نقل ثروت الموضوع إلي منطقة أخري وقال :

– هناك أمر يجب أن نتحدث فيه عند عودتنا لمصر إن شاء الله.

سأله (جلال):

– وما هو ؟

قال:

– انتم تعرفون أن انتخابات المجلس بعد أقل من شهرين ، والناس في الحزب يطلبون بعد المساعدات لحملات رجالهم ويبدو أن هذا العام سيشهد تغير في نتيجة الانتخابات .

ضحك (مُحَمَّد) وتساءل بسخرية:

– وهل الحزب يخشي أن يخسر الأغلبية في المجلس ؟

رد (ثروت):

– بالطبع لا ، ولكن الاتجاه العام أن الحزب سيسمح لآخرين بالدخول هذه المرة.

(مُحَمَّد) :

– من تقصد بآخرين ؟

(ثروت):

سيكون للإخوان النصيب الأكبر بالتأكيد.. أنتما تعرفان أن الرئيس يقوم بعمل تعديلات علي قانون الانتخابات ولأول مرة في تاريخ مصر كلها كانت هناك انتخابات رئاسية الشهر الماضي .. بالطبع النتيجة محسومة ، لكن الحزب سيترك مساحة أخري للآخرين ليظهروا في المجلس ... ومعظم الأحزاب لا حول لها ولا قوة ولا تمتلك التأييد الشعبي الكبير حتي حزب الوفد نفسه لم يعد كما كان من قبل.. وبالتالي سيكون الإخوان هم المتواجد القوي علي الساحة.

(جلال) :

– يبدو أن العلاقات بين الحكومة والإخوان صارت أفضل.

ابتسم (ثروت) وقال:

– يا (جلال) بك ، الأمور تتغير في مصر .. والحزب يريد أن يوضح أمام العالم أن الإصلاح السياسي يسير بصورة جيدة .. لكن الأمور محسومة بالتأكيد كما كانت في انتخابات الرئاسة .

(جلال):

– فلنتقي في الشركة بعد غداً لترتيب هذا الأمر .. المهم اليوم هو إنهاء الاتفاق مع الانجليز.

(ثروت) :

– لا داعي للاجتماع في الشركة ..هذه المرة سنلتقي بأحد رجالات الحزب في مكان عام ، وسوف يتم تحديد الموعد عند عودتنا .. الرجل يقول أن هذه المرة هناك تعديل علي الإجراءات .

(جلال):

– يبدو أن هناك جديد بالفعل هذه المرة .. فلنصبر ونري.

بالفعل تم إنهاء الاتفاق وتوقيع العقود في المساء بعد ثلاثة اجتماعات ، وحقق (جلال) تقدماً جديداً للشركة ، وعندما رجع ألي الفندق ليلاً كان يشعر بالراحة والسعادة في نفس الوقت ، وسينام سعيداً بعكس الأمس حيث نام مرهقا جداً ، لكنها ضريبة العمل والنجاح.

وفي الصباح وبعد تناول الإفطار وجد (جلال) هاتفه المحمول يدق ، والمتصل هو (مُحَمَّد) ، فأجابه (جلال):

– خيراً يا (مُحَمَّد)

(مُحَمَّد):

– هناك صديق سوف يمر بنا في الفندق بعد قليل وأنا في استقبال الفندق في انتظاره وهو يريد أن يراك قبل عودتنا للقاهرة.

(جلال):

– صديق ؟ ! اه بالتأكيد إنه الدكتور (رأفت) .. سأنضم إليك فوراً.

انهي المكالمة وهم بالنزول للانضمام لأخيه لاستقبال الدكتور (رأفت) وهو يتمتم:

– زيارة غير متوقعة وأنا الذي كنت سأذهب لشراء هدية لـ(أمل)

ما كاد ينضم لـ(مُحَمَّد) حتى شاهدا الدكتور (رأفت) يدخل الفندق ويتجه نحوهما ، فقاما لاستقباله والترحيب به وجلسوا جميعاً و الدكتور (رأفت) يقول:

– كيف حالكما يا أصدقاء ؟

(مُحَمَّد) :

– بخير والحمد لله يا دكتور ، أخبرني عن أحوالك أنت.

(رأفت):

– بخير يا صديقي ، وقد كنت قريباً من فندقكما حين حدثتني عبر الهاتف .. وقررت فوراً المرور للاطمئنان عليكما.

ثم التفت إلي (جلال) وسأله:

– وما أخبارك أنت أيها العريس الوسيم؟

(جلال) ضاحكاً:

– عريس؟ لقد مر علي زواجي أكثر من أربعة شهور يا دكتور .. لم أعد عريساً بعد .. لكني سعيد برؤيتك فأنت صاحب مكانة خاصة في قلبي يا دكتور.

سأله (رأفت):

– وهل تمت أموركما بخير هنا ؟

(جلال):

– بالفعل لقد تمت كما خططنا لها .

ابتسم (رأفت) وهو يقول :

– لقد صدق (مُحَمَّد) حين أخبرني أنك نقلت شركة والدك إلي مستويات لم يكن للشركة أن تبلغها بفضل حماسك وجرأتك وعلاقاتك وذكائك.

(جلال) :

– هذه مجاملة رقيقة منك يا دكتور (رأفت).

(رأفت):

– أنا لا أعرف المجاملات يا (جلال) .. أنا أتحدث عن حقيقة واقعة .

(مُحَمَّد):

– بالفعل يا (جلال) ، فقبل أن تتولي أنت الشركة وحتي أيام والدنا رحمة الله عليه ..، كنا مجرد شركة تقوم باستيراد بعض المواد وتصدير البعض الأخر .. لكن أنت جئت بطموح وذكاء وجرأة جعلت الشركة أكبر من ذي قبل وتضاعف رأس المال أضعاف ما كان عليه .. وأصبحنا شركاء في مشاريع كبري في مصر ، وأخيراً .. نمتلك أحد اكبر التوكيلات العالمية ، بفضل سعيك وحماسك .

(جلال):

– كلامكما معي يجعلني أمتلئ غروراً

قالها ثم ضحك وضحكوا معه قبل أن يقول (مُحَمَّد) :

– بارك الله فيك يا أخي الصغير وحماك من الغرور .

التفت (جلال) للدكتور رأفت وقال :

– أخبرني يا دكتور ، هل يمكن بالفعل استنساخ الانسان ؟

(رأفت):

– التجربة لم تتم حتى الآن .. فبخلاف أن استنساخ البس محرم جنائياً ، إلا أن التجربة معقدة وتحتاج انتظار وصبر طويل لمتابعة نمو وتطور المولود المستنسخ علي مدي سنوات نموه وحياته بالكامل وكذلك هناك خطورة كبيرة ، فغير معروف هل ستنجح التجربة علي البشر أم لا ، فمثلا هناك أنواع من الحيوانات لم تعطنا نسخ مطابقة بالاستنساخ مثل الكلاب والخيول ، بل حصل للحيوانات المستنسخة أضرار كبيرة جداً ، حتى النعجة دوللي الشهيرة فقد ظهرت عليها أعراض لم تظهر علي النعجة الأصلية ، مما جعل العلماء وقتها يتخلصوا منها . لكن التجربة علي البشر مجرد حلم حتى الآن.

(مُحَمَّد):

– أنا أفهم أن يسعي العلماء للاستنساخ في النباتات والحيوانات للحصول علي نباتات متطورة والحفاظ علي انواع من الانقراض وتطوير خواص البعض منها وصفاته ... لكن ما الفائدة من التجربة علي الانسان ؟ بصراحة أخاف أن يكون في الأمر حرمة شرعية .

(رأفت):

– التجربة علي البشر كانت لها أهداف مختلفة حسب الجهة التي ترغب في إجراء التجربة .. فمثلا في مرحلة معينة كانت الإدارة الألمانية تسعي لتطوير جينات وصفات جنودها ليصبحوا مقاتلين خارقين لا يمكن قهرهم .. وسعي خلف نفس الحلم الروس والأمريكان لكن دون جدوى .. كذلك هناك من يسع لتطوير بعض الصفات في البشر للحفاظ علي الطاقة مثلاً فتخيل معي لو تحول المقيمين في أوروبا وخاصة البلاد التي تمتاز بالبرودة القارصة ، تخيل لو أصبح البشر لهم قدرة علي احتمال درجات الحرارة الرهيبة تحت الصفر دون أن تتجمد أطرافهم ، وقتها ستوفر الدول الطاقة المستهلكة في التدفئة ، وهكذا هناك أفكار كثيرة لكنها مجرد أفكار.

(جلال):

– العلم لا يتوقف عند حد أبداً يا دكتور .. هل تعلم بأنني قرأت خبراً علي الانترنت معناه أنه يمكن الآن صناعة طاقية الإخفاء ؟

(رأفت) ضاحكاً:

– لم أكن أعلم أنك متابع للتجارب العلمية مثيرة الجدل يا (جلال) .. ويبدوا أن حب العلم متوارث في عائلتكما .

قال (مُحَمَّد) مندهشاً:

– طاقية الاخفاء !! أنا لم أجدك تنفي كلام (جلال) يا دكتور .. هل صارت هذه القصة واقعاً ملموساً ؟

(رأفت):

– ليس كما ظهرت في الفيلم الشهير ، لقد طورت اليابان قماشاً يخفي من يرتديه عن العيون لكن يظل حوله ما يشبه الهالة الخفيفة التي تلاحظ مع قليل من تدقيق النظر .. لكن هذا القماش

أصبح حقيقة ولعل أشهر التجارب هي تجربة فيلادلفيا حين تمكنت القوات البحرية الأمريكية من إخفاء بارجة حربية تابعة لأسطولها عن العيون .

(مُحَمَّد)

– سبحان الله .. من كان يتصور أن يحدث هذا في يوم من الأيام .

(جلال):

– ومن كان يتصور أن يسير الانسان علي سطح القمر .. ومن كان يتصور أنك تتحدث مع شخص أخر في أبعد بقاع الأرض بالصوت والصورة .. ومن كان يتصور أن يتمكن البشر من الطيران .. العلم لا حدود له يا أخي.

ابتسم (رأفت) وقال:

– لقد عرفت سر تفوقك ونجاح شركتكما يا (جلال) ، فأنت من المؤمنين بالعلم والمنهج العلمي في العمل والحياة .

ابتسم (جلال) وقال :

– أشكرك يا دكتور (رأفت) .

في هذه اللحظات دخل عليهم (ثروت) وهو يلوح بذراعه قائلاً :

– خيانة ! تركتموني بغرفتي وجلستما تحتسيان الشاي الانجليزي وحدكما .. وأنا الذي أتعب من أجلكما .

ضحك (مُحَمَّد) وهو يقول :

– لقد أتي (ثروت) وسيذهب حديث العلم .

قام (جلال) من مكانه وهو يقول:

– بل أنا من سيذهب الآن .. اعذرني يا دكتور (رأفت) فيجب عليّ شراء هدية مناسبة لزوجتي قبل ذهابنا للمطار وكما تعلم الوقت ضيق جداً .

صافحه (رأفت) مبتسماً وهو يقول :

– ألم أقل لك أنك لا تزال عريساً ، أتمني لك التوفيق يا (جلال) في عملك وحياتك .. ولا تنسي أن تنقل تحياتي للعروس.

انصرف (جلال) في حين جلس (ثروت) مكانه ، و(مُحَمَّد) يقول :

– هذا هو (ثروت نوح) المحامي الخاص بنا يا دكتور .

ثم وجه كلامه لـ(ثروت):

– دعني أعرفك بصديقي الدكتور (رأفت كامل) والمقيم هنا في لندن.

تصافح (ثروت) و (رأفت) بحرارة قبل أن يقول (مُحَمَّد) :

– ما رأيك يا دكتور بأن نتمشى قليلا معاً قبل أن يحين موعد ذهابنا للمطار ؟

قام (رأفت) وهو يقول :

– بالتأكيد يا صديقي ، المشي مفيد للصحة وللقلب.

قاما وهما بالخروج فقال (ثروت) وهو يلوح بذراعيه :

– إلي أين ؟ أئذا حضرت الشياطين ذهبت الملائكة؟

التفت له (مُحَمَّد) وقال:

– اجلس يا (ثروت) ودعك عني .

ثم غمز بعينه له وقال :

– واطلب ما شئت فالحساب مدفوع مقدماً.

قالها ثم سار الصديقين معاً للخارج بينهما حديث الود والذكريات.

****

كان (جلال) و (مُحَمَّد) و(ثروت) يجلسون في أحد المطاعم الفاخرة بأحد الفنادق ذات النجوم الخمسة ، والتي تطل مباشرة علي النيل ، والغريب أنهم وجدوا طاولة محجوزة باسم (جلال صالح) ،المكان كان معد مسبقا لاجتماع مصغر ، والطاولة المحجوزة في مكان منفصل ولا يحيط بها أي شيء سوي ثلاثة من الرجال ، حراس شخصيين ، عليهم سمات القوة والشدة ، يرتدون الملابس السوداء بالكامل ، منظرهم يوحي بأهمية الشخص المنتظر .

جلس ثلاثتهم و(مُحَمَّد) يتساءل :

– من هو مضيفنا يا (ثروت) ؟ لقد بدأت أشعر بالقلق.

ضحك (ثروت) وقال:

– لا تقلق يا (مُحَمَّد) بك أنت هنا مع الحكومة ..، ألم يخبرك (جلال) بك من سنقابل الآن؟

نظر (مُحَمَّد) لـ(جلال) وقال وقد بدي عليه قلق شديد بالفعل :

– إذن فأنت تعرف يا (جلال)

(جلال) بهدوء :

– نعم . سنقابل (صفوان باهر)

ارتفع حاجبا (مُحَمَّد) وجحظت عيناه بشده حتى بدت وكأنهما ستخرجان من مكانهما وهو يهتف :

– من ؟

مال نحوه (جلال) وهو يقول بنفس الهدوء :

– اهدئ يا أخي .. ماذا بك ؟ إنه مجرد لقاء وعشاء عمل .. اهدئ وتمالك أعصابك ولا تتصرف بهذا الشكل .

(مُحَمَّد):

– ألا تعرف من هو (صفوان)؟

تراجع (جلال) في مقعده وقال :

– بلي ، أعرف جيداً .. مصر كلها تعرف من هو (صفوان باهر).

ثم اعتدل في جلسته واتكئ بمرفقيه علي الطاولة وشبك اصابعه أمام وجهه وقال :

– اسمعاني جيداً ، (صفوان باهر) أحد قيادات الحزب وعضو أمانة السياسات ، وأحد أكبر خمسة رجال أعمال في البلد كلها ، وهو المسيطر والمحرك والمدبر للعمليات الانتخابية ، والمدير الفعلي للانتخابات في مصر ، طالما طلب مقابلتنا شخصياً هذه المرة فيبدو أن الأمر يستحق ، في كل مرة يطلبوا منا مبلغ معين من المال في مقابل بعد التسهيلات من البنوك الحكومية وتسهيلات أخري مع الضرائب ، ولكن هذه المرة يبدو أن هناك طلبات أخري ، وبالتالي سيكون المقابل مختلف أيضاً ، وأنا أبحث عن مصلحتنا في أي وقت ومع أي جهة ، فما بالكما بالتعاون المباشر مع الحكومة ومع الحزب بهذه الصورة المباشرة ؟

(مُحَمَّد) بقلق:

– أنت دائما متهور يا (جلال) ، لماذا نحتاج للحزب بهذا الشكل ؟ طوال الأعوام السابقة ونحن نعمل بطريقة محددة كما كان يفعل الوالد رحمه الله ... فما الداعي للعمل المباشر معهم؟

(جلال) :

– ولم لا؟ طالما سيعود ذلك علينا بالنفع.

(ثروت) :

– هذا هو المهم ، أنا متفق معك يا (جلال) بك وفي هذه الأيام يجب اتحاد المال مع النفوذ .. هكذا تدار اللعبة.

في نفس اللحظة دخل (صفوان باهر) للمطعم ، وخلفه اثنان من الحراس الشخصيين ، كان يرتدي حلة كاملة باللون الأزرق الغامق ، ورباط العنق باللون الفضي اللامع ، ويزين صدره دبوس من الذهب عليه شعار الحزب الوطني ، تقدم منهم بجسده الممتلئ فقاموا لاستقباله ، تصافحوا جميعاً وجلسوا في حين أشار (صفوان) بيده فتراجع الحراس حتي يفسحوا المجال لهم بالحديث.

ابتسم (جلال) بدبلوماسية وقال:

– لقد شرفتنا بطلب هذا اللقاء يا (صفوان) باشا.

قال (صفوان) :

– أنت من المتميزين يا (جلال) بك .. ونحن نتابعك منذ فترة حتي اكتسبت ثقتنا وقررنا التعامل معك .

(جلال):

– هذا يزيدنا شرفاً يا (صفوان) باشا.

في هذه اللحظة دخل نادل من العاملين بالمطعم يدفع أمامه عربة تمتلئ بأصناف وأنواع من الطعام ، وبدأ في وضع الطعام والمشروبات أمامهم ، فتوقفوا عن الحديث حتى تم وضع الطعام بالكامل ، وانصرف النادل ، فقال (صفوان):

– تفضلوا ، فأنا أشعر بالجوع .. وأحب الحديث أثناء تناولي الطعام .

بدئوا في تناول الطعام و(جلال) ينقل بصره بينهم منتظراً أن يتم فتح الحوار ، ووجد (مُحَمَّد) يحاول إخفاء قلقه بتناول الطعام ، وبالطبع (ثروت) يلتهم الطعام بنهم كبير غير مبالي بشيء ، كان (جلال) يشعر بأن هذه الفرصة لا يجب أن تمر من بين يديه ، كان يري أن هذا هو الوقت المناسب ليتصل بالسلطة بشكل مباشر ، منذ زمن طويل وهو مقتنع بهذه الفكرة ، لكن والده رحمه الله كان يعارض ذلك ويكتفي بدفع بعض الأموال لمساعدة مرشحي الحزب في كل انتخابات ، في المقابل يساعده رجال الحزب في تسوية أوضاعه مع البنوك والضرائب ومصلحة الجمارك ، وظل التعامل مستمر بنفس الطريقة حتي هذا اليوم ، وكان (جلال) يدرك جيداً أن الحزب يريد شيء كبيراً ، وبالتأكيد سيكون المقابل يستحق.

كان (جلال) منهمك في التفكير عندما قال (صفوان):

– إنكم من المتعاونين معنا من سنوات طويلة .. ونحن نقدر لكم هذا بالطبع ولكم عندنا منزلة خاصة وكل طلباتكم أعتقد أن رجالنا ساعدوكم في تحقيقها .

(جلال):

– نحن دائما في خدمتكم .

ارتبك (مُحَمَّد) بلا داعي وزاد قلقه ووضح هذا القلق عندما قال:

– يا (صفوان) باشا نحن لم نقصر أبداً مع الحزب .. وأرجوا ألا يكون هناك من هو غاضب منا لسبب نجهله.

ضحك (صفوان) وقال :

– يبدو أنك بالفعل مختلف تماماً عن أخيك يا (مُحَمَّد) بك ، من الذي القي بهذه الأفكار داخل رأسك؟ وأنت تعلم جيداً أننا لا نجتمع مع من نغضب عليهم.

صمت (مُحَمَّد) تماما وهو يحدق في وجه (صفوان) مما دفع (ثروت) لترك الطعام للحظة ليقول:

– يا (مُحَمَّد) بك ، إن (صفوان) باشا لا يذهب لمكان إلا ويحمل الخير معه .. لا داعي لأي قلق .

ضحك (صفوان) وقال :

– يا لك من محام بارع يا (ثروت).

(ثروت):

– تلميذ سيادتك.

هنا تدخل (جلال) في الحوار وقال:

– اسمح لي يا (صفوان) باشا ، إنني أعتقد بأن الحزب لديه مطالب مختلفة هذه المرة عن السابق ، فهل تفكيري في محله؟

(صفوان):

– أنت عملي جداً يا (جلال) بك .. ولا تضيع أي وقت.

تناول قطعة من اللحم وبدأ في مضغها باستمتاع قبل أن يقول :

– هذه المرة الأمر مختلف تماماً ... نحن نريدك في المجلس.

عقد (جلال) حاجبيه للحظات ، ثم علت ملامحه ابتسامه خفيفة لكن (صفوان) لاحظ كل ذلك بعيني الذئب ، فقال:

– أري أنك ستقبل العرض.

ارتفعت الابتسامة علي وجه (جلال) لثانية واحدة ، ثم اختفت تماماً وهو يقول:

– صدقني يا (صفوان) باشا ، لقد تفاجأت بهذا العرض .. لم يخطر ببالي قط أن يطلب مني الترشح لمجلس الشعب .

كان (مُحَمَّد) يبدو عليه الذهول وهو يحاول التماسك ويقول :

– يا (صفوان) باشا نحن لا نتعامل بالسياسة مطلقاً .. نحن رجال مال وأعمال فقط وهذا مطلب كبير.

(صفوان):

– بالفعل أنتم رجال أعمال ، لكن صدقني فأنتم لستم بعيدين عن السياسة ، السياسة لعبة المفاوضات ، كيف تقدم تنازل لتكسب مكاسب لا تبدو للعامة ، ومتي ترفض التنازل لتتمسك بموقف معين لتحقق مكاسب أيضا ، السياسة قائمة علي مدي إمكانية تحقيق نظامك للمكاسب دون خسارة مع أي طرف من الأطراف ، وأخيك من المتفاوضين المشهود لهم بالكفاءة في عمله ويحقق مكاسب وتطور كبيرين وبالتالي بقليل من المجهود سيكون صاحب شأن سياسي كبير ، ونحن نعلم أن (جلال) بك سيقبل الترشح للمجلس.

(جلال):

– أنا أشكر لكم ثقتكم في شخصي ، لكن الأمر يحتاج للتفكير العميق ثم أنني لا وجود لي علي الساحة مطلقاً .. حتي أنني لا أحمل عضوية الحزب ولا أخي (مُحَمَّد) ولا أبي رحمه الله ، الوحيد الحامل للعضوية في الحزب هو (ثروت).

ابتسم (ثروت) وقال:

– أنا مستعد للترشح فوراً لو طلب مني الحزب .

(صفوان) :

– نحن نريدك الترشح مستقل ، وعلي مقاعد العمال وباختصار ستتحمل أنت حملتك بالكامل .. وعلي الأرض لن يكون هناك اتصال مباشر بينك وبين الحزب .. لكنك ستقوم بسداد المبلغ المتفق عليه كل مرة للحزب .. وبعد دخولك المجلس سيكون هناك بعض الأمور البسيطة التي سنحتاجها منك ، ونحن سنضمن لك النجاح في الانتخابات ... هذه لعبتنا.

(جلال) :

– لكني احتاج وقت للتفكير .

(صفوان):

– من حقك ، لكن أريد قرارك بعد يومين لا أكثر .. أنت تعرف أن الانتخابات علي الأبواب .

ثم اكتسي وجهه بملامح شيطانية وابتسامه عجيبة وهو يقول:

– فكر ماذا ستمنحك الحصانة يا (جلال) بك .

قالها قام من مقعده وهو يقول :

– يومين فقط يا (جلال) بك .. ونحن نعرف أنك ستتخذ القرار السليم.

ثم انصرف وخلفه الحراس جميعا ، في حين صمت الثلاثة قليلاً ، قبل أن يقول (مُحَمَّد) متسائلا :

– ماذا ستفعل يا (جلال) ؟

صمت (جلال) قليلاً ثم قال :

– هذه فرصة من ذهب.

علا صوت (مُحَمَّد) وهو يقول:

– كنت اعرف أنك ستقبل .. ما لنا نحن وأعمال السياسة يا (جلال) .. دعنا نهتم بعملنا ولا داعي للتورط في السياسة ومشاكلها.

(جلال):

– لقد تورطنا بالفعل يا (مُحَمَّد) .. هل تتصور أنني يمكنني رفض طلبهم؟ أنت تعلم يقيناً أن هذه بمثابة الأمر .. وفي حال إصراري علي الرفض سنشتري عداء النظام والسلطة وأنا في الأصل لم أفكر في الرفض .

صمت قليلا قبل أن يكرر كلامه:

– هذه فرصة من ذهب.

تدخل (ثروت):

– كلامك مضبوط يا (جلال) بك ، هذا ما يسمي عرض لمصلحة الطرفين ، كنت أخبرتكم في لندن قبل أيام أن النظام يريد عمل إصلاح سياسي، وهناك اتجاه لفتح الباب ولو قليلا أمام المعارضة ، وعلي الحزب أن يضمن مقاعد خارج أعضائه من المستقلين ، يكون لهؤلاء الأعضاء

ولاء للحزب بصورة أو بآخري ، حتي يحافظ علي السيطرة علي القرارات الهامة ومشاريع القوانين الجديدة ، هذه سياسة معروفة .

ثم ابتلع كوباً من العصير جرعة واحدة قبل أن يقول :

– توكل علي الله يا (جلال) بك ، ولنصبح جزءاً من السلطة ومن أصحاب النفوذ .

توجه (ثروت) و (مُحَمَّد) بالنظر نحو (جلال) الذي تراجع في مقعده ولم ينطق، وبدي أنه غارق في التفكير العميق ، لكن علي وجهه كانت هناك ابتسامة ...

ابتسامة ارتياح .....

وثقة.

****

في اليوم التالي ، وعندما كانت عقارب الساعة تشير إلي الخامسة والنصف مساءاً ، كان طعام الغذاء يجمع (جلال) و(أمل) في فيلاتهما ، وحتي هذه اللحظة لم يكن (جلال) قد أخبر زوجته بموضوع مجلس الشعب ، كان قد حسم قراره بالفعل وقرر إخبار زوجته عندما قال:

– هل تعرفين يا حبيبتي مع من كنت أجتمع بالأمس ؟

(أمل):

– من ؟!

(جلال):

– (صفوان باهر)

صمتت (أمل) لحظات وهي تحدق في وجه زوجها بدهشة قبل أن تقول:

– (صفوان باهر) !! وما سبب هذا الاجتماع ؟ أنت لا تشتغل بالسياسة.

(جلال) :

– ولم لا أكون رجل أعمال وفي نفس الوقت رجل سياسي.

زادت دهشة (أمل) وهتفت :

– سياسي!!

بدا (جلال) في منتهي الهدوء وهو يقول:

– نعم سياسي ، فسوف أترشح للانتخابات المقبلة.

نظرت له (أمل) بكل دهشة الدنيا ، فلم تكن تتوقع الأمر مطلقاً ، وقالت بشيء من المرارة :

– ألا يكفيك ساعات العمل الطويلة التي تتركني فيها وحيدة ، ربما سأطلب لقائك بعد ذلك طبقا لجدول مواعيدك.

قالتها وتركت أدوات الطعام علي المائدة ، وانصرفت صاعدة لغرفتهما في الطابق العلوي ، وقد ملئها حنق أكبر من الدهشة لسماعها هذا الخبر ، أما (جلال) فلم يكن يتصور أبداً رد فعل زوجته ، ربما توقع رفضها خاصة أنها من معارضي سياسة وأسلوب إدارة الحزب الوطني للدولة ، ودائمة النقد للحكومة ، وكان سيخبرها أن الحزب طالبه بالنزول علي قوائمه إلا أنه رفض وقرر النزول مستقلا ، لكن ردة فعلها هذه أربكته ولم تعطه فرصة للسيناريو الذي فكر فيه بدقة .

ترك طعامه ولحق بزوجته مسرعاً ، ووجدها جالسة في الشرفة المطلة علي حديقة الفيلا ، دخل للشرفة وجر المقعد الخشبي الفخم ليجلس بجوارها قائلا:

– ما الأمر ؟ كنت أظنك ستفرحين بالخبر.

(أمل) بعصبية :

– أفرح ؟! عن أي فرح تتحدث ؟ ألا تشعر بي يا (جلال)؟

(جلال) :

– لم كل هذا ؟ هيا هات ما عندك ، وأخبريني لم انفعلت هكذا ؟

صمتت للحظات لتستعيد بعض هدوئها وقالت:

– حسناً ، منذ تزوجنا وأنت دائما مشغول بالعمل ، أنا أدرك تماماً أنك تحاول أن تكون معي قدر استطاعتك ، ولكن قدر استطاعتك هذا ليس ما تتمناه أي امرأة من زوجها ، أنا أقدر حجم عملك جيداً ، ولم أشكو من هذا أبداً لأنني يجب أن أساندك وأكون قوة دافعة لك لتحقق المزيد من النجاح ، كل هذا أعرفه ومؤمنه به ، لكن ما الداعي لدخولك مجلس الشعب ، أنا لا أتحمل كل هذا يا (جلال)، في الوقت الحالي أنت دائما مشغول فتخيل ما هو الوضع وقت إذ ، صدقني أنا لن أتحمل هذا.

ضحك (جلال) مداعبا لتخفيف الموقف:

– ألا تريدين أن تصبحي زوجة سيادة النائب ؟

لم يبدو أنها تقبلت الدعابة وهي تقول :

– أنا أعرف أنك لن تغير قرارك لأي شيء ، حتي وإن كان من أجلي أنا.

نظر لها (جلال) وحاول احتواء غضبها، وقال:

– يا (أمل) ، لا تضعيني في هذا الموقف ، أنا اخترتك لتشاركيني حياتي ، ولا شيء أهم منك عندي ، لكن هذه مرحلة جديدة من حياتنا وفي تاريخ البلد عموماً ، لقد رأيت الإصلاحات السياسية التي يقوم بها الرئيس ، والسعي لتأسيس ديمقراطية حقه ، ورأيت أن الوقت حان للعمل العام في ظل تحسين الظروف المنتظر ، أنت نفسك كنت من أسباب تفكيري في الأمر عندما أخبرتني مرارا أنه إذا كان هناك إصلاح بالفعل فيجب أن نري وجوه جديدة في البرلمان تسعي فعلا للإصلاح.

(أمل) وقد هدأت كثيراً :

– لا أنكر أنني قلت هذا ، ولكن ليس لأجعلك تتركني وتنشغل بالعمل العام بالإضافة للشركة .

(جلال):

– وماذا تريدين حتي ترضي عليّ ؟ ، أنا لا أتحمل أن تغضبي بسببي .

(أمل) :

– هل تتذكر يوم طلبتني من أبي ؟

(جلال) مندهشاً:

– نعم أتذكر .

(أمل) :

– إذن فأنت تذكر الاتفاق الذي اتفقناه سوية.

(جلال) :

– أي اتفاق ؟!

(أمل) :

– أن تدعني أعمل .

عقد (جلال) حاجباه ، وغاب لحظات في تفكير عميق وكأنه يسترجع من ذاكرته هذا الاتفاق ، وشعر بأن (أمل) تحاول الضغط عليه ، وقال في حدة:

– الاتفاق كان أن تقري في المنزل لرعاية البيت والأولاد.

قالت :

– البيت به الكثير من الخدم ، أنا فعليا لا أفعل شيئاً سوي مشاهدة التلفاز والقراءة ، ثم أين هم الأولاد لأرعاهم.

صمت (جلال) وزاد انعقاد حاجبيه ، وبدا التوتر والقلق في صوته وهو يقول:

– ماذا تقصدين بقولك هذا ؟

شعرت (أمل) أنها ضغطت كثيرا علي (جلال) فحاولت تهدئة النقاش قبل الدخول في مشكلة وقالت:

– لا أقصد شيئا أبدا ، نحن في بداية حياتنا الزوجية وعندما يشاء الله سبحانه وتعالي أن يرزقنا بالولد سيحدث الأمر ، لكن أنا أقصد بدلا من أن تتركني وحيدة حبيسة الفيلا ، دعني أعمل لأجد ما يشغلني ويملئ الفراغ الذي يرهقني يا (جلال).

(جلال):

– وإن رفضت ؟

ابتسمت ابتسامة يأس وقالت:

– ألم أقل لك منذ قليل ، أنا أعرف أنك لن تغير قرار اتخذته لأي شيء ، حتي وإن كان من أجلي.

صمت (جلال) وهو يشعر بغضب مكتوم ، لم يكن يخطط أبدا لتكون زوجته امرأة عاملة ، وما حاجتها للعمل وهي تملك كل شيء ، لكنه يدرك طبيعة المرحلة المقبلة من حياته ، بالتأكيد سيكون أكثر انشغالا عن أي وقت مضي ، فجأة وجد مخرج لهذه الورطة فقال:

– حسنا ، لنفترض أنني وافقت وبدأت العمل ، وبعد فترة بسيطة حدث الحمل ، فماذا ستفعلين ؟ لأنني لن أسمح لك بالعمل وقتها.

كان يشعر بأنه وضعها هي تحت الضغط بهذا السؤال وأنها سترتبك ، لكنها أجابته ببساطة :

– أنا سأعمل بالقطاع الخاص يا (جلال) ، ووقت حدوث الحمل إن شاء الله سأنهي تعاقدي فوراً لأني سأنشغل بالعمل الأهم لأي أنثي .

ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت :

– الأمومة.

وجد (جلال) نفسه مرة أخري مضطراً هو لأخذ القرار ، لم يشأ أن يغضبها أو يحزنها ، لكنه لن يترك هذه الفرصة السانحة ، فكر قليلا ثم قال:

– حسناً يا حبيبتي ، دعيني لا نستبق الأحداث وننتظر نتيجة الانتخابات ، فكما أخبرتك أنا مستقل ولا أتبع قائمة الحزب ، فإذا حققت الفوز بالانتخابات سأسمح لك بالعمل.

هتفت بسعادة جمة :

– حقاً ! أشكرك يا (جلال) ، لم أكن أعلم أنك تحبني بهذا القدر ، أنا لا أصدق نفسي .

شعر (جلال) بالفرح لرؤيتها بهذه السعادة فقال لها مداعباً:

– إذن فادعي لي أن أفوز لأحقق لك رغبتك في العمل.

قالت بسعادة :

– سأصلي ليل نهار وأدعو لك بالفوز ، لقد أفرحتني حقاً يا (جلال)

ابتسم (جلال) وفي أعماقه راحة كبيرة ، فلم يكن يريد أي منغصات في الفترة القادمة ، وعليه الآن الاستعداد للتزاوج.

تزاوج المال بالسلطة.

****

الفصل الرابع

لم يكن تجهيز الحملة الانتخابية لـ(جلال) سهلا أبدا ، فقصر المدة المتبقية علي خوض الانتخابات ،وعدم الخبرة الكافية لمراوغات الانتخابات كانا عاملين يرهقا (جلال) كثيرا، وكان بالكاد يعود للفيلا لينال قسطا يسيرا من النوم والراحة .

لا شك أن خبر خوضه الانتخابات كان مفاجأة للكثيرين ، خاصة العاملين بالشركة والذين تساءلوا منذ متي يهتم رئيس مجلس الإدارة بهذه الأمور ، أما في الوسط السياسي فكانت المفاجأة في خوض (جلال) الانتخابات دون سابق خبرة في العمل السياسي والعمل العام ، صحيح أن والده اشتهر بحبه وتأييده للرئيس الراحل مُحَمَّد أنور السادات وأنه دائما ما ساند الحزب الوطني حين اقامه السادات ، ولكن لم يكن عضوا في الحزب ابدا .

لكن مع مرور بعض الوقت بدى للجميع أن (جلال) يسير بخطوات ثابتة لدخول المجلس الموقر ، شخصيته المسيطرة والقوية كانت واضحة تمام الوضوح في كل ندواته الدعائية ، كان قد اختار وبمعاونة (صفوان) مجموعة من المساعدين له في حملته الانتخابية والتي كان مديرها محاميه (ثروت) ، وكانت مجموعة المساعدين هذه لديها من الخبرة ما جعلها تدفع بـ(جلال) لينال ثقة الناس في أسرع وقت ، وأعدوا له برنامج مختصر يتركز في تحسين أوضاع أصحاب المعاشات والتأمينات وكذلك تطوير التعليم ، وبأنه يكفيه تحقيق النجاح في هذه الامور فقط كخطوة أولي له في المجلس ، وأقنع العديد من الناخبين بوجهة نظره ، خاصة أن الغالبية من اعضاء مجالس الشعب علي مدي سنوات طويلة كانت لهم برامج انتخابية كبيرة رائعة لكنهم لم يحققوا منها شيئا للناس .

وعندما اقتربت الساعات الأخيرة ، كان (جلال) قد اكتسب شعبية كبيرة ، لكنه كان أكثر قلقاً في المنزل ، فكان قد انشغل تماماً عن (أمل) مابين العمل بالشركة وبين الحملة الانتخابية ، صحيح أنها لم تكن

مصدر ارهاق له في أوقات تواجده معها في الفيلا ، لكن نظراتها له كانت تحمل كلمات وعبارات الغضب والملل والضيق ، كانت (أمل) انسانة تتفهم متي يجب عليها الصمت ، لكن ما في القلب لا يمكنها ان تخفيه عن زوجها ، وكانت تفضحها عينيها دائماً.

كانت الايام الاخيرة تحمل الكثير من الاجتماعات بين (جلال) و (ثروت) ومساعديهم ، وكان الاتصال مع (صفوان) يحدث بين حين وأخر ، وكان (جلال) يتفاجئ بالتحضيرات ليوم الانتخابات ، لم يكن يتصور أن العملية الانتخابية تدار بهذه الطريقة ، لكنه كان يعلم أنها الطريقة الضامنة لنجاحه ووصوله لمبتغاه .

وفي اليوم المشهود ظل جلال في مكتبه يتابع سير العملية الانتخابية وعملية الفرز لمدة وصلت إلي ثلاثين ساعة متصلة بدون نوم ، كان القلق يعتريه وبشده ، هل سيفعلها بالفعل ؟

كانت كلمات (صفوان) معه في الهاتف أثناء عملية الفرز تطمئنه لدقة الخطة المتبعة ، ومكالماته التليفونية مع اعضاء حملته في مقر الفرز مطمئنة لحد كبير ، ومع الساعات الأولي بعد شروق شمس اليوم الجديد كان (جلال) يحتفل بالفوز مع أخيه في مكتبه بالشركة ، ويتلقى التهاني من العاملين بالشركة ، ويتلقى التهنئة من (صفون) عب الهاتف ، بعدها فقط شعر بالتعب والإرهاق الشديدين ، وقرر العودة للفيلا لنيل قسطاً وفيرا من الراحة بعد ضغط كبير لمدة حوالي الشهر .

عاد (جلال) إلي الفيلا مبتهجاً ولكن في قمة الإرهاق ، وما إن دخل داخل الفيلا حتي وجد (أمل) جالسة في الصالون الفخم فهبت واقفة ونظرت إليه بقلق فقد كان رث الحالة بشكل ملحوظ ، فبادرها مبتسماً:

— قولي لي مبروك.

فعقدت حاجبيها دون أن تنطق فقال وهو يلقي بجسده علي أقرب مقعد:

— لقد فزت في الانتخابات يا (أمل).

قالت له ولم يبدو عليها أي مظاهر للفرحة :

– لهذا بت خارج البيت ولم تفكر حتي في الاتصال بي.

تركته واتجهت نحو السلم المؤدي للطابق العلوي ثم توقفت قبل أن تصعد والتفتت إلي (جلال) وقالت:

– مبروك.

ثم صعدت مسرعة إلي غرفتها دون أن تنتظر منه كلمة إضافية ، في حين (جلال) كان علي وشك فقد الوعي من شدة الارهاق والتعب ، فقام من مقعده متحاملا وصعد بباقي قوة كانت في جسده قبل ساعات قليلة ودخل غرفتها ليجد (أمل) نائمة في السرير وتوليه ظهرها فخلع سترته وحذائه وألقي جسده علي الفراش واستسلم للنوم.

وبجواره كان هناك بركان مستعر في صدر (أمل) ، توشك حممه أن تغرق الفراش ، بل وتغرق الغرفة والفيلا بأكملها ، لقد تركها دون اتصال ودون أي كلمة منذ ٤٨ ساعة كاملة ، ولم يعتذر لها عن هذا بل يطالبها بالمباركة له علي فوزه في الانتخابات ، كانت تريد أن تنفجر باكية لولا أنها خشيت أن يسمع نحيبها وهو نائم بجوارها.

كانت (أمل) في غاية القلق علي (جلال) في الـ٤٨ ساعة الماضية ، لكن اهماله لها أصابها في مقتل ، وبدأت تشعر بالحنق أكثر من شعور القلق ، وفي النهاية لم يهتم هو بتوضيح الأمر بل ألقي بنفسه في بحر النوم العميق دون أي اهتمام ، غالبت غضبها واستسلمت هي الأخرى للنوم.

لم تدري كم مر عليها من الوقت وهي نائمة حين شعرت (أمل) بيد تحرك كتفها فاستيقظت علي الفور لتجد (جلال) يبتسم لها ويقول :

– استيقظي يا حبيبتي لنتناول طعام الغذاء سوية.

أغمضت عيناها غاضبة وقالت باقتضاب :

– لا أريد الأكل . دعني أنام

قال (جلال) بصوته كله حنان و رقة :

– لن تكون لي رغبة في الأكل بدونك .

قالت :

– وأنا لا أرغب في تناول الطعام.

فجأة حملها (جلال) بين ذراعيه ، ونظر في عينيها مباشرة وصمت للحظات ، كانت لغة العيون هي المسموعة في لحظات الصمت هذه ، كانت تعاتبه وكان يعتذر لها ، كانت تلومه وكان يبرر انشغاله ، ظلا علي هذا الوضع ثم ابتسمت ، كانت ابتسامتها كفيلة لتذيب جبل الجليد بينهما ، وما إن رأي (جلال) هذه الابتسامة الساحرة حتى تنهد بارتياح وقال متسائلا:

– سماح ؟!

قالت برقة وقد ازدادت ابتسامتها إشراقاً:

– نعم ، سماح.

ثم صار بها نحو باب الغرفة فقالت :

– ماذا تفعل يا مجنون ؟ هل ستنزل وأنت تحملني هكذا؟

قال بحزم:

– طبعاً.

قالت ضاحكة :

– أنت مجنون ، ألا تخشي أن يرانا أحد العاملين بالفيلا ؟

قال بثقة :

– لقد طلبت منهم اعداد الطعام ثم صرفتهم فوراً ، ولا يوجد سوي (سيد) وهو بغرفته وأمرته ألا يخرج منها إلا عندما نناديه.

قالت بدلال:

– يبدوا أنك اعددت كل شيء ، فلماذا يا تري ؟

قال :

– لأني أدين لك ، وسأعوضك عن تقصيري في حقك اليومين الماضيين.

احتضنته بشده وتركته يهبط بها للطابق السفلي وقد زال معظم غضبها وحنقها ، لكن لا يزال القلق يحيط بها ، فلقد دخلوا سوية مرحلة مختلفة من حياتهما ، و يا لها من مرحلة.

****

لم تكن (أمل) تتخيل مدي صعوبة أن يكون زوجها رئيس مجلس إدارة واحدة من أكبر شركات التجارة في مصر ، وفي نفس الوقت عضوا بمجلس الشعب ، لقد أصبحت بالكاد تراه ،فلقد أصبح نادر التواجد بالمنزل إلا للنوم فقط ، صحيح أنه دائم الاتصال بها علي الأقل مرتين يومياً ، إلا أنه دائم الانشغال بالعمل والاجتماعات والجلسات والندوات .

فكرت أن تشتكي لـ(مها) ، ولكنها تراجعت عن تلك الفكرة لكي لا تشغل غضب (جلال) ، إنها تحتاج للحديث معه ولكن أين هو، حتي أيام الجمعة فيذهب لمكتبه لمراجعة امور تتعلق بجلسات مجلس الشعب ، لقد اتخذت قراراً قد يكون مفاجئ لـ(جلال) .

ذهبت (أمل) إلي مكتب (جلال) في أحد أيام الجمعة ،كان المكتب عبارة عن شقة فخمة جدا في ديكوراتها وأثاثها وموقعها أيضاً ، يتكون المكتب من ثلاث حجرات كبيرة ، غرفة ل(ثروت) مجهزة بمكتب كبير ومقاعد جلدية ودولاب كبير للملفات وشاشة تليفزيون ، والحجرة الثانية عبارة عن قاعة اجتماعات صغيرة بها طاولة اجتماعات ودولابين للملفات ومجهزة بشاشة عرض وجهاز عرض بروجكتور، والحجرة الأخيرة هي بالطبع مكتب جلال والذي يحتوي مكتب فخم عليه أحدث أجهزة الكومبيوتر المحمول، ومكتبة كبيرة تحتل جدار كامل من الحجرة ، ومقاعد جلوس فخمة مكسوة بالجلد ودولاب أنيق للملفات وشاشة تليفزيون كبيرة أمام المكتب مباشرة ، وفي الصالة كان هناك ثلاث مكتب للسكرتيرة (مروة) وأمام المكتب عدد من الكراسي للانتظار يجلس علي أحدها (عوض) العامل بالمكتب يتابع أحد البرامج الحوارية علي شاشة التليفزيون التي تقع في أحد الأركان ، كما يوجد ودولاب كبير للملفات ، وما إن دخلت (أمل) المكتب ورأتها (مروة) حتي قامت هذه الأخيرة من خلف مكتبها مرحبة بـ(أمل) وهي تهم بإخبار (جلال) عن وصولها ،غير إن (أمل) منعتها وقالت أنها تريد أن تفاجئ زوجها ، وفتحت الباب ودخلت وأغلقت الباب خلفها بهدوء.

ارتفع حاجبا (جلال) بدهشة حقيقية وهو ينهض مستقبلا زوجته متسائلاً:

– (أمل)!!! لماذا لم تخبريني بقدومك ؟

(أمل):

– أفهم من كلامك أن وجودي غير مرحب به؟

ضحك (جلال) وهو يقودها لتجلس في أحد المقاعد الوثيرة المكسوة بالكامل بالجلد الاسود وجلس بجوارها وهو يقول:

– حبيبتي يمكنك القدوم في أي وقت ، لكن حقاً هناك سبب قوي لقدومك.

قالت:

– أردت أن ألتقي بك.

اندهش (جلال) وهو يقول:

– حبيبتي ، أنا معك كل يوم في المنزل.

قالت بضيق واضح:

– تقصد حين تعود لكي تنام ليلا ، أليس كذلك؟

بدي علي (جلال) أنه لا يجد ما يقوله فعلا فتابعت (أمل):

– هل تستطيع أن تذكر متي أخر مرة جلسنا سوية لنتحدث في أي أمر؟ لقد أخبرتك سابقاً أنني أخشي أن اطلب مقابلتك بموعد سابق.

ربت (جلال) علي كتفها برفق وهو يقول:

– حبيبتي إنها فقط المرحلة الأولي من دخولي المجلس ، وبعد فترة وجيزة سأتمكن من ترتيب مواعيدي وإيجاد الوقت الكافي لكِ ولي أيضاً ، أن تعرفيني جيداً وتعرفي أنني لا يمكنني الفشل في شيء أفعله ، وهذا الأمر جديد بالنسبة لي ، وعليّ التجهيز والترتيب جيدا لأكون قدر المسئولية .

ثم نظر في عينيها مباشرة وقال:

– أم أنكِ تريدين لي الفشل في المجلس؟

قالت ولم يبدو عليها تقبل كلامه:

– أنت تعرف شعوري نحوك ولا تحتاج لمثل هذا السؤال ، لكن مر شهرين منذ أول انعقاد للمجلس ، وخلال هذه الفترة كدت أجن ، صحيح أنك تتصل بي هاتفياً بشكل مستمر ، لكن أشعر أنها مكالمات روتينية كموظف يقوم بعمله اليومي ، نحن زوجين يا (جلال) زوجين .. أتفهم؟

اقترب منها (جلال) كثيرا وهو يمد يده إلي شعرها ويقول:

– بلي . أفهم ، ما رأيك أن أصرف الموظفين وأتفرغ لكِ؟

دفعته برفق وقامت من جواره واقفة وبكل الحنق والضيق قالت:

– يبدو أنك لا تفهم.

همّت بتناول حقيبة يدها معلنة رغبتها في الخروج من المكتب ، فقام (جلال) بسرعة ممسكاً يدها يمنعها من أخذ الحقيبة ، ونظر في عينيها مباشرة مرة أخري.

كم هي بليغة لغة العيون هذه ، صحيح أن زواجهما لم يكن نتيجة قصة حب عنيفة مليئة بليالي السهر والسهد ، ولكن الانجذاب الذي جمعهما قبل الزواج قد تحول إلي حب كبير بعد الزواج ،كانت عيني (جلال) تسأل (أمل) فيما أخطئ ، وتجيبه عيني (أمل) بأن الوحدة قاتلة وأنها تحتاج لأكثر من مكالمة هاتفية كل بضع ساعات ، (جلال) يحاول أن يبرر ويجد مخرجا لنفسه و(أمل) ترفض كل مبرر يقدمه زوجها ، وتتمسك بحقها في الغضب والحنق منه.

كان يمكنهما التواصل عبر العيون بشكل مذهل ، لدرجة أن تلك النظرات بينهما استمرت لدقائق خمس كاملة بدون أي حرف يخرج من شفاههما ، لدرجة أن (أمل) سحبت يدها من يد (جلال) وذهبت نحو مكتبه وجلست أمام المكتب وأسرع (جلال) خلفها ليجس أمام المكتب أيضا علي المقعد المقابل لزوجته وهو يقول بهدوء وقد اكتسب صوته حنان ورقة:

– معك حق يا (أمل) ، إننا بحاجة للحديث طويلاً.

ثم أخذ نفساً عميقاً بل أن يقول :

– تأكدي أنني لا أريد أن يضايقك شيئاً

ثم وقف قائلاً:

– هيا بنا.

وقفت وهي تسأله:

– إلي أين؟

قال:

– ما رأيك في تناول العشاء علي ظهر أحد المطاعم العائمة بالنيل؟

ابتسمت وذهبت لتتناول حقيبة يدها وهي تقول :

– ومن يرفض عرضاً كهذا.

خرج (جلال) و (أمل) فوقفت السكرتيرة احتراما لهما و(جلال) يقول:

– يمكنك أخذ باقي اليوم إجازة يا (مروة).

ثم خرج هو وزوجته مغادرين إلي المطعم لقضاء سهرة صغيرة لتصفية الأجواء.

****

كانت الأجواء أكثر من رائعة علي سطح المطعم العائم وهو يشق النيل العظيم ، ومع نسمات الليل التي تكتسب بعض البرودة في هذا التوقيت من العام أصبح الجو منعشاً ، وزاد من روعة المنظر صوت الموسيقي الذي ينبعث من اعضاء الباند الشرقي الذي يقبع في مؤخرة المطعم مؤدياً أحد الألحان التي

وضعها موسيقار الأجيال مُحَمَّد عبد الوهاب وزاده لمعانا صوت كوكب الشرق أم كلثوم في ستينات القرن الماضي.

كل هذا جعل الطعام شهياً أكثر ، وخصوصا عندما عاد (جلال) بزوجته إلي ذكريات شهر العسل ورحلتهما الرائعة ، مما ساعد علي زوال التوتر الحاصل بينهما.

أنهيا طعامها وبدأ (جلال) يتناول قدح القهوة الخاص به ، عندما كانت (أمل) تتناول عصيرا طبيعياً ، وهنا عاد (جلال) للموضوع الرئيسي الذي جعله يأتي بزوجته للمطعم وهو يقول:

– اسمعيني يا حبيبتي ، انا احتاج لصبرك عليّ لفترة قصيرة ، وبعدها أعدك بتغير الوضع للأفضل لنا نحن الاثنين ، اعرف أن اعذاري توشك علي النفاذ ،إن لم تكن نفذت بالفعل ، ولكن صدقيني لقد أوشكت علي الانتهاء من ترتيب أمور الوضع الجديد الذي أصبحنا عليه .

نظرت له (أمل) وهي تحاول ألا تعكر صفو هذه السهرة وقالت:

– وهذه المدة القصيرة هل يمكن تحديدها ؟

ابتسم (جلال) وقال:

– نعم يا حبيبتي ، فقط تحمليني اسبوعين لا أكثر ولا أقل .

ابتسمت وهي تقول بدلال:

– حسنا يا جناب النائب ، سأمهلك خمسة عشر يوماً ، ولكن بعدها عليك تحمل ما سأفعله بك.

قال (جلال):

– يمكنني تحمل أي شيء تفعلينه بي ، فأنت حبيبتي.

شعرت (أمل) بالخجل لمغازلة (جلال) لها ولم تتمكن من إيجاد كلمة تقولها فتابع (جلال):

– كما أنني أعد لكِ مفاجأة كبيرة جداً

تحمست (أمل) وقالت:

– مفاجأة؟! مفاجأة من أي نوع؟

ضحك (جلال) وقال:

– لا يمكنني اخبارك الآن ، لكن بعد اسبوعين ستعلمين كل شيء ، وصدقيني ستفرحين بها كثيراً ، وربما أكثر مما تتخيلين.

اشرق وجه (أمل) بابتسامتها الساحرة الجذابة وهي تقول:

– حسناً ، لكن اعلم جيداً أن مهلتك هذه بدأت من الآن ، ولن أتنازل عن حقي في معرفة مفاجئتك بعد اسبوعين.

شعر (جلال) بارتياح وقال:

– شكراً لكِ يا حبيبتي ، فقط اسبوعين ،وعندما اخبرك بما اعده لكِ ستعرفين كم أحبك يا (أمل).

مرة أخري وجد الخجل طريقة إليها من كلمات (جلال) الرقيقة ، ولم تحاول أن تعقب علي كلامه ، وهو أيضاً لم يحاول إضافة المزيد ، دامت نظرات العيون لحظات إضافية بدت وكأنهما قررا فيها بلغة سرية أي يستمتعا بباقي السهرة دون تبادل الحديث ، وستنتظر (أمل) فترة الاسبوعين ، لكن يا تري ماذا يخبئ لها القدر بعد هذين الاسبوعين؟

****

كانت (مها) تجلس مع (أمل) في حديقة الفيلا حين دخل (سيد) حاملا صينية فضية انيقة بها كأسين من العصير الطازج للسيدتين ، في حين كان (جلال) الصغير يسبح في المسبح امامهما ، لم تكن

(أمل) تشكو (جلال) أمام زوجة أخيه بل كانت تحاول تبرير انشغاله عنها في حين كانت (مها) تشكو من غياب (مُحَمَّد) لانشغاله مع (جلال) ، تناولت (مها) رشفة من كأس العصير الموجود أمامها قبل أن تقول متعجبة:

– لازلت لا أجد مبرر لدخول (جلال) مجلس الشعب ، فقط أصبح علينا العيش وحدنا بين الجدران ، أكان هناك سبب ملحاً لهذا الأمر؟

(أمل):

– أنت تعرفي (جلال) جيداً ، وطالما قرر شيء فلن يردعه رادع أبداً ، ولكن ربما هي مسألة وقت حتى يرتب أوضاعه الجديدة ثم تعود الحياة لما كانت عليه.

(مها):

– تعود لما كانت عليه !!!؟ كيف ؟ بعدما زادت مسئولياتهما واهتماماتهما ، تخيلي يا (أمل) أن (مُحَمَّد) لم يعد يتناول معنا طعام الغذاء إلا يوم الجمعة فقط!

كتمت (أمل) ضيقها وهي تكاد تحسد (مها) علي اجتماعها بزوجها كل يوم جمعة وهو الأمر الذي لم تحصل عليه كثيراً في أخر ثلاثة أشهر ، وقالت في محاولة منها لعدم الشكوى :

– يا (مها) علينا أن نعتاد علي الوضع الجديد ، وأن نجد لأنفسنا ما يشغلنا للوقت الحالي ، وصدقيني لن يدوم هذا الحال طويلا.

تنهدت (مها) ثم قالت :

– في بداية زواجك من (جلال) كنت أنا من ينصحك بالصبر والتعود علي الوضع الجديد ، والآن ها أنت تردين الجميل ، هذا حال الدنيا ، ولكن الحمد لله فـ(جلال) الصغير يشغل معظم وقتي بالمذاكرة والدروس.

اعتدلت (مها) فجأة وكأنها تذكرت شيئاً وهي تقول :

– لقد قارب عمر زواجكما علي العام ، أليس هناك جديد؟

تفهمت (أمل) السؤال فعقدت حاجبيها وقد شعرت بشيء من الغضب لتلقيها مثل هذا السؤال وقالت:

– لقد أخبرتك سابقاً أنه إذا حدث شيء ستكونين أول من يعلم.

قالت (مها):

– يا (أمل) لقد مر وقت طويل لحدوث حمل ، هل الأمور علي ما يرام بينك أنتِ و(جلال)؟

بدأ شعور الغضب يتصاعد قليلا وأضيف له قليل من الحنق أيضاً قبل أن تجيب:

– نعم الامور علي ما يرام والحمد لله.

كانت تريد إضافة أي جملة أخرى لتؤكد اطمئنانها وعدم شعورها بالقلق ، لكن (مها) بادرت بالكلام وقالت:

– هل فكرتي في الذهاب للطبيب؟

عقدت (أمل) حاجبيها بشده ، وطغي القلق علي ملامحها رغم محاولتها كتمان الأمر وهي تقول :

– ولمَ؟

(مها):

– فقط لتطمئني

صمتت قليلا ثم قالت وهي تحاول تغيير الموضوع:

– دعك من هذا الكلام الآن ونادي علي (جلال) حتي نتناول الطعام

فهمت (مها) محاولة (أمل) ورغبتها في عدم الخوض في هذا الموضوع ، ولم ترغب في زيادة الضغط عليها وقامت لتخرج ابنها من المسبح وتجفف جسده الصغير بمنشفه خاصة ، وفي هذه الأثناء كان هناك بركان مشتعل يصب حمماً في عقل (أمل) ، صحيح أنها تبدو متماسكة ولم تتحدث مع (جلال) في تأخر الحمل مطلقاً ، إلا أنها وكأي أنثي بداخلها جحيم مستعر ، ولا يكاد يمر عليها يوم دون تفكير في هذا الأمر ، حتي أنها فكرت فعلا في الذهاب لإجراء الفحوصات اللازمة عند طبيب متخصص ، ولكنها كانت تخشي من التحدث في الأمر شأنها في ذلك شأن أي أنثي أيضاً ، وهناك خوف رهيب يغلف تفكيرها من أن لا يكون لها القدرة علي الإنجاب.

حاولت طرد الفكرة من عقلها ، وقامت لتناول الطعام مع (مها) وابنها ، حاولت أن تبدو طبيعية ، لكن رغم هذه المحاولات كان القلق يرسم نفسه بمهارة فوق ملامحها ، وأثناء تناولهم الطعام دق جرس هاتفها المحمول ووجد عليه اسم (جلال) فتناولته وردت عليه بسرعة وسمعته يقول:

– حبيبتي حضري حالك فسوف أمر عليك في تمام التاسعة لنتناول عشاءنا في المطعم العائم في النيل.

تسلل إليها ارتياح مفاجئ وعلت وجهها الابتسامة وهي تقول :

حسناً يا (جلال) ، بالمناسبة ، (مها) و(جلال) الصغير معي الآن ونحن نتناول الطعام وهي تقرئك السلام .

ضحك (جلال) وقال:

– أبلغيها تحياتي وأخبريها أيضاً أن (مُحَمَّد) سيكون معي في تمام التاسعة لأنهم ذاهبون أيضاً لقضاء سهرة أسرية ومشاهدة أحد الأفلام التي تحبها (مها) في السينما.

ثم أنهي المكالمة مودعاً زوجته التي رفعت عينيها لـ(مها) وقالت وهي تضع الهاتف المحمول علي طاولة الطعام :

– لدي خبر مفرح ، قرر (مُحَمَّد) اخذكما للسينما هذه الليلة.

تهللت اسارير (مها) وابنها علي السواء وهي تقول بفرح :

– حقاً ! لابد وأن هناك شيء جيد في العمل حدث اليوم ، فهذه عادة (مُحَمَّد) منذ زمن طويل .

ابتسمت (أمل):

– حمدا لله ، يبدو أن انشغالها عاد بفائدة .

غمزت (مها) بعينها وتساءلت :

– ألن يقوم (جلال) بالمثل؟

ابتسمت (أمل) وقالت:

– بلي ، سوف يصحبني لتناول العشاء في احد المطاعم.

تنهدت (مها) وقالت:

– حمدا لله ، هناك أخبار سارة بالفعل في أمور العمل .

قالتها ثم عادتا لتناول الطعام ، وما إن انتهوا من تناول الطعام حتى قاموا جميعا وجلسوا أمام التليفزيون يتابعون أحد الأفلام الكوميدية القديمة بطولة الراحل اسماعيل يس ، وغمرهم الضحك لمتابعة هذا الفيلم بالتحديد ومع كل مشهد من مشاهدة اللاتي يحفظونها عن ظهر قلب .

لم يكن الفيلم الممتع وحده هو سبب السعادة ، ولكن خبر خروج كل اسرة من الاسرتين للاستمتاع بسهرة خاصة ، كان له مفعول السحر علي كل منهما ، وربما يكون ما في السهرة من أخبار لهو تعويض

عن ثلاث أشهر كاملة من المعاناة والوحدة والشعور بالإهمال ، كان الوقت بالنسبة لهما طويلا قبل بداية السهرة المرتقبة .... سهرة عودة المياه لمجاريها.

****

فرغ (جلال) و(أمل) من تناول طعام العشاء علي متن المطعم الذي يشق مياه النهر الخالد ، وسط أجواء مبهجة في وجود فرقة موسيقي عربية ، كانت (أمل) بدأت تعتاد علي هذا المطعم وتشعر بالسعادة كلما ذهبا إليه وعبرت عن ذلك قائلة:

– أتعرف يا (جلال) . لقد بدأت اعتاد هذا المطعم الرائع.

(جلال) مبتسماً:

– لا عليك سوي أن تفكري وعليّ التنفيذ ، وقتما تشائين نأتي لقضاء السهرة هنا.

(أمل):

– لقد انتهينا من الطعام الان ، وماذا بعد؟

(جلال) متصنعا البراءة :

– هل ترغبين في تناول شيء أخر يا حبيبتي؟

(أمل):

– بالطبع لا ، أنا أتحدث عن المفاجأة.

(جلال) بخبث :

– أية مفاجأة؟

قالت (أمل):

– لا تحاورني يا (جلال) ، ما هي المفاجأة التي اخبرتني عنها؟

صمت (جلال) لحظات وهو ينظر مباشرة إلي عينيها قبل أن يباغتها قائلاً:

أحبك.

لم تستطيع (أمل) النطق ولا النظر في عيني (جلال) من الخجل الذي اعلن عن حضوره باللون الاحمر الذي غطا وجنتيها ، استغرقت عدة ثواني حتي تستطيع النطق فتمتمت:

– وأنا أيضاً.

قال (جلال):

– تتساءلين عن المفاجأة ، أليس كذلك؟

انتبهت له (أمل) جيدا دون أن تتكلم فتابع هو :

– حسناً ، متي يمكنك البدء في العمل؟

تهللت اساريرها بفرح كبير وهي تقول فيما يشبه الهتاف:

– العمل؟! ... حقاً؟! ... لا يمكنني تصديق هذا ، أي عمل ؟ وأين ؟ و....

قاطعها (جلال) ضاحكاً

– مهلا مهلا ، اصبري وسأخبرك كل شيء.

هدأت (أمل) قليلا وهي تقول:

– هيا هات ما عندك.

قال (جلال):

– سبق وأخبرتك أنني سأفعل أي شيء يحقق لك السعادة.

ابتسمت وهي تقول:

– لا توجد كلمات يمكنها ان تصف سعادتي الان يا (جلال).

ابتسم (جلال) بارتياح وتابع:

– لقد تحدثت مع الدكتور وزير الصحة في أحد جلسات مجلس الشعب ، ورحب بشدة بالفكرة ، واليوم اخبرني بأن مكانك جاهز وفوراً.

قالت متسائلة بشيء من الدهشة:

– وزير الصحة؟ أنا أعرف بأنه يمتلك مستشفى خاص من المستشفيات ذات الخمسة نجوم ، لكن ماذا سأعمل معه ؟ ولماذا وزير الصحة بالتحديد؟

ضحك (جلال) وقال بشيء من التهكم:

– لماذا وزير الصحة؟ وهل كنت سأطلب لك وظيفة من وزير الداخلية مثلا!

ابتسمت لدعابته وهي تقول :

– لا أقصد هذا ولكن انت تعرف ما يقال عن الوزير وتعرف ايضا العمل في المستشفيات الخاصة وهي إلي حد ما بعيدة عن مجال تخصصي كصيدلانية.

قال بشيء من الجدية:

– اولا دعك من الشائعات فلا يوجد أكثر من الشائعات في مصر ، ثانيا أنا لم اذكر ابدا العمل في مستشفى خاص ولقد أخبرت الوزير بكفاءتك وأنك من أوائل دفعتك وتميلين للعمل البحثي والأكاديمي وقد تمكن من ايجاد عمل مناسب لك بهذه المواصفات.

قالت :

– لقد كنت دائما احلم بالعمل في احد الشركات العالمية لصناعة العقاقير ، فأنا احب البحوث والتركيبات وحلم حياتي أن اتوصل لتركيبة طبية جديدة .

ابتسم (جلال)وقال بثقه:

– لك هذا يا دكتورة.

تساءلت (أمل):

– وكيف هذا ؟

قال:

لقد تم تعيينك في أحد شركات المستحضرات الطبية العالمية ، وهي شركة لها فرع في دولة الامارات به الإدارة لمنطقة الشرق الاوسط والخليج العربي وطبعا لها فرع في مصر هنا في القاهرة .. ويمكنك بداية العمل من أول الشهر القادم.

قالت (أمل) :

– لابد من توجيه الشكر للوزير لتوسطه لنا.

ابتسم (جلال) وقال:

– الوزير نفسه شريك رئيسي في هذه الشركة.

بدت الدهشة واضحة عل (أمل) ، ثم لم تلبس ان ضحكت ساخرة وهي تقول:

– فعلا ! ما يقال عن الوزير درب من الشائعات ، يبدو أننا في زمن تقاس قدرات الوزراء المهنية بحجم أرصدتهم في البنوك حقاً إنها حكومة رجال الأعمال .

(جلال):

– دعك من هذا الهراء ، كنت أظن أنك ستفرحين بهذا الخبر.

ارتبكت قليلا قبل أن تغمرها فرحة حقيقية وتقول:

– لا يمكنك تخيل قدر الفرحة التي اشعر بها الان ، إنني كطفل يحتضن ملابسه الجديدة ليلة العيد وينتظر الصباح بفارغ الصبر.

(جلال):

– ستجديني دائما أفعل ما يسعدك ، ولكن ...

صمت متعمدا لجذب اهتمامها فقالت بقلق:

– لكن ماذا؟

قال:

– أنا أخشي أن تضطرين لترك العمل.

قالت بدهشة:

– ولم؟

قال :

– أقصد بعد حدوث الحمل ، لقد قارب زواجنا علي اتمام عامه الاول ، وبصراحة لقد بدأت أشعر بالقلق.

وقعت جملته الأخيرة علي رأسها كالجبل ، وارتبكت بشدة وهي تقول :

– تشعر بالقلق ؟!!

قال مطمئناً:

– لا تجعلين افكار حمقاء تلعب برأسك ، أنا أفكر بأن نقوم سوياً بعمل بعض الفحوصات ،

شعرت بقليل من الاطمئنان وهي تقول:

– لم أتخيل يوما أن تقول هذا الكلام يا (جلال).

قال:

– ولم؟ أنا اتمني انجاب طفل منك ، ولقد صبرنا عام كامل ولا مانع ابدا من اجراء بعض الفحوصات للاطمئنان لا أكثر.

صمتت قليلا وهي تفكر بهدوء فيما قاله ، لقد كانت تتوقع منه ثورة وغضب إذا طلبت هي منه هذا الأمر ، وها هي تجده هو من يطلب منها القيام بالفحص ، لكن كان هناك قلق ورهبة غريزية تعتريها ، فكانت تخشي من أن لا يكون لها القدرة علي الانجاب ، فكرت قليلا قبل أن تقول :

– حسنا يا (جلال) لنقم بهذا .

قال (جلال):

– إذن فلتقومي بالفحص قبل استلام العمل وإن أحببت إجراء الفحص خارج مصر فلا مانع لدي إطلاقاً ، المهم الولد يا (أمل)

قالت :

– لا داع للفحص خارج مصر الامر بسيط إن شاء الله.

قال:

– كما تشائين ، دعينا نستكمل سهرتنا الليلة يا حبيبتي.

لم يكن (جلال) علي نفس الثقة التي يتحدث بها ، بل كان أكثر قلقاً من زوجته ، شيء مبهم في أعماقه يخبره أنه لن ينجب ابداً ، لكن طالما كذب هذا الهاجس ، كان لا يطيق صبرا لمعرفة النتيجة حتي قبل اجراء الفحص اللازم ، فماذا ينتظره في الايام المقبلة؟

الفصل الخامس

لقد كانت سهرة رائعة بحق ، استمتع بها (جلال) و(أمل) ، واستغرقا في النوم لدرجة أن النهار كان قد انتصف تقريبا عندما فتح (جلال) عينيه وهو يتثاءب بكسل كبير ، تأمل زوجته الراقدة جواره بحنان وظل لأكثر من دقائق خمسة يتأمل ملامحها بإعجاب قبل أن تفتح عينيها مبتسمة وتقول:

– أمازلت هنا يا (جلال)؟

ابتسم (جلال) ومرر يده علي شعرها وهو يقول :

– بلي ، أنا هنا ، ولن أذهب اليوم للشركة فعندي بعض الاعمال هنا في الفيلا لكن هناك أمر هام يجب أن اخبرك اياه.

سألته باهتمام:

– وما هو؟

قال بحنان:

– أنت خرافية الحسن هذا الصباح.

تبسمت وهي تضع رأسها فوق كتفه وتقول :

– لم أكن أعلم أنك تقرأ أشعار (نزار قباني).

ثم ابتسمت وهي تلف يدها حول صدره:

– إذن دعني أقول لك صباحك سكر.

ضمها (جلال) برقة أكثير لصدره وهي تسأله:

– وما هو هذا العمل الذي منعك من الذهاب للشركة ؟

قال:

– سيأتي مهندس لمعاينة الفيلا لأني أريد إجراء تعديل بسيط في الساحة الجانبية .

قالت باستغراب :

– الساحة الجانبية دائما مهملة فما الذي دفعك للاهتمام بها فجأة.

قال:

– أنا أرغب في بناء مبني صغير من دور واحد فقط في جزء صغير من الارض الخالية ، وسأستغلها لحفظ بعض الاشياء .

قالت :

– مخزن صغير ، فكرة لا بأس بها .

قال :

– تعلمين أن ذكري يوم زواجنا الاولي اقتربت وأنا أعد لك مفاجأة كبيرة واتمني أن تنال رضاك.

سألته :

– وماهي ؟

ضحك وقال:

– وكيف تصبح مفاجأة إذا أخبرتك بها الآن ؟! انتظري فبعد شهرين وعدة أيام ستعلمين ما المفاجأة

ثم قام من الفراش وهو يقول :

– هيا يا حبيبتي لنتناول طعام الافطار ، فالمهندس والعمال علي وشك الوصول.

قالت وهي تنهض بدورها:

– يبدو أن الأمر عاجل بالنسبة لك ، العمال سيحضرون اليوم أيضاً؟

قال :

– نعم بالتأكيد أنا متعجل للانتهاء من البناء ، وسيبدأ العمل اليوم.

بالفعل لم يمضي وقت طويل حتى امتلأت الفيلا الهادئة بالصخب والحركة ، جلست (أمل) في الحديقة تطالع أحدي المجلات العلمية وهي تتابع من بعيد ما يحدث في الفيلا ، فقد كان هناك الكثير من العمال والمعدات ، وهذا المهندس يقف مع (جلال) ويتناقشون حول عدة مخططات ومن وقت لأخر يقوم المهندس بتوجيه بعض العمال لأمر ما.

كانت هناك كمية من الأخشاب التي تستخدم في البناء ويقوم نعض العمال بتجميع بعض الالواح معاً بمقاسات متعددة ، وهناك مجموعة أخري تتلوي أمر كمية من حديد التسليح ويقومون بتقطيعه حسب مقاسات محددة وتشكيلة في ورشة أقاموها في دقائق معدودة ، وهناك معدة حفر تقوم بحفر جزء من أرض الفيلا وتنقل ناتج هذا الحفر لمنطقة مجاورة لمنطقة عملهم ، وكل فترة يقوم المهندس بمراجعة مناسيب عملية الحفر.

كانت هناك دهشة كبيرة تحيط بعقل (أمل) من هذا العمل المفاجئ ، والأكثر إدهاشا هو مدي سرعة هؤلاء العمال في إنجاز العمل ، صحيح أن المساحة التي يعملون علي إنشاءها لا تتجاوز المائة متر مسطح

، لكن كان هناك عمال في عدة مجالات ومعهم المهندس الذي واضح عليه النشاط والحماس والدقة ايضاً رغم أنه في مرحلة شبابه لا يزال ، وما إن مالت الشمس للمغيب حتى كانت أعمال الحفر قد انتهت تماما وقام النجارين بوضع صناديق من الخشب بطريقة حرفية في أماكن محددة ، ووجدت (جلال) قادماً نحوها بصحبة هذا المهندس فقامت لاستقبالهما و(جلال) يقول:

— هذا المهندس (خالد) يا (أمل).

صافحها (خالد) وهو يقول :

— تشرفت بلقائك سيدتي.

ابتسمت وقالت :

— ما شاء الله ، ما هذا النشاط ؟

ابسم المهندس بدوره وهو يجيب:

— تعليمات الاستاذ (جلال) ، فهو يريد انجاز العمل في اقل وقت مهما تكلف الامر.

قال (جلال) :

— لقد اخترتك تحديدا لشهرتك بأنك تستطيع إنجاز المهام في وقت أقل وبنفس الجودة وهو المطلوب .

(خالد):

— اسمحا لي بالانصراف لنيل قسطاً من الراحة فغداً سيبدأ العمل بعد صلاة الفجر إن شاء الله .

قالها ثم ودعهما منصرفاً فقالت (أمل):

– ما كل هذا يا (جلال) ؟ كل هذا الصخب من أجل مخزن ؟!

ابتسم ثم قال:

– لقد أخبرتك مسبقاً يا حبيبتي أن هذا الأمر هام جداً وعاجل بالنسبة لي.

وضع ذراعه حول كتفيها وسارا معاً لدخول الفيلا وهو يقول:

لم أكن أتخيل كم هو مرهق العمل في الانشاءات ، لقد مر الوقت بسرعة لم اتخيلها ، وأرجو أن نكون انجزنا فعلا.

قالت:

– أنا لست خبيرة في هذا المجال لأعرف مدي الانجاز في اليوم الاول ، لكن أتصور أن حجم العمل الذي تم كبير بالفعل.

دخلا للفيلا لتناول الطعام والراحة بعد هذا اليوم الشاق ، في نفس التوقيت وفي داخل مقر (جلال) الانتخابي ، كان (مُحَمَّد) يجلس علي مكتبه ويقابله (ثروت) ويتابعون أحد البرامج الحوارية علي قناة إخبارية عربية ، يدور الحوار عن التغير السياسي الحادث في مصر بعد انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥ .

فقال (مُحَمَّد) بعد أن ارتشف رشفة ن فنجان القهوة أمامه:

– لا أدري لماذا هذا اللغط من هؤلاء الساسة لمجرد فوز الاخوان بعدد من مقاعد المجلس.

التفت له (ثروت) وقال:

– عدد من المقاعد ؟! لقد فازوا بما يقارب عشرون بالمائة من المقاعد يا (مُحَمَّد) بك.

هز (مُحَمَّد) رأسه وقال:

– ولا تزال الأغلبية الساحقة للحزب الوطني ، فما الداعي للقلق.

قال (ثروت):

– صدقني يا (مُحَمَّد) بك ، أنت لا تعرف هؤلاء القوم كما أعرفهم ، هؤلاء القوم سيكون من الخطأ وصولهم للحكم ، إنهم يدعون النزاهة والأمانة وحب الوطن وما إلي هذا ، لكنهم يعملون علي أمر واحد فقط ، السيطرة علي البلاد بأي طريقة لتحقيق احلام ومعتقدات قديمة.

تناول جرعة من كوب الشاي خاصته قبل أن يتابع:

– ألم تلاحظ سيطرتهم علي معظم النقابات ومراكز الشباب وبعض الاندية أيضاً ، إنهم يتوجهون للشباب الصغير كما كانوا دائماً ، ويقدمون الخدمات للفقراء والأهالي في الاحياء الشعبية ، حتي يظهروا بمظهر الحمل الوديع ، والمظلوم دائما لكن إذا تصدروا المشهد سيتحول هذا الحمل إلي كلب مسعور.

تعجب (مُحَمَّد) قائلا:

– أنا أختلف معك يا (ثروت) ، كل هذا لحصولهم علي أقل من ربع المجلس ، في النهاية سيفعل الحزب ما يحلو له لأنه صاحب الاغلبية.

ضحك (جلال) وقال:

– بالطبع لن يتمكنوا من فعل شيء ، فحتى أعضاء المجلس من الاخوان يوجد بينهم عدد كبير له مصالح وثيقة الصلة مع رجالات الحزب ، لكن المشكلة الحقيقية أنهم سيظهرون في الفضائيات بمظهر البطل الأعزل الذي لا سيف له ولا درع ، دائما سيكونون في خانة رفض أعمال ومشاريع قوانين الحكومة ، حتي الجيد منها ، وسيتصيدون الاخطاء لأنهم يعملون علي إفشال الحكومة ، وستكون الحجة الحاضرة أنهم لا يملكون أغلبية تمكنهم من تغير أي شيء.

قال (مُحَمَّد) :

– أنا لم أحب السياسة يوماً من الأيام ، ولكنه كان قرار (جلال) ، وصدقني المهم هو الصالح العام للبلاد.

قال (ثروت):

– حاول أن تتعرف علي تاريخ الإخوان ، وانظر كيف كان تعاملهم مع الملك فاروق ثم عبد الناصر والسادات ، إنهم دائما يدعون البطولة ، ثم يتحولوا لمهاجمة الحاكم ، وعندما يقسوا الحاكم عليهم يظهروا بمظاهر الشهداء والضحايا ، ولكن في كل الاحوال يتوددون للحاكم ويتقربون منه للحصول علي اكبر مكاسب ممكنه ، ولا يمكنك إطلاقاً أن تجد لهم موقف ثابت تجاه أي قضية يتصدون لها.

لم يحاول (مُحَمَّد) الخوض في هذا الحديث أكثر من هذا ، فهو لا يحب حديث السياسة ، فقام وهم بالمغادرة فداعبه (ثروت):

– ما هذا يا (مُحَمَّد) بك ؟! هل سترحل هكذا دون دعوتي لطعام عشاء فاخر؟

ابتسم (مُحَمَّد) وقال:

– يا لك من رجل أكول ، أنت تعيش من أجل شيء واحد فقط ، هذا الكرش المختفي خلف سترتك.

ربت (ثروت) علي بطنه وقال:

– هذا دليل علي العز يا (مُحَمَّد) بك

قالها وخرجا من المكتب ، ليذهب كل منهم في طريقه .

دخلت (أمل) للمقر الانتخابي لـ(جلال) وألقت التحية علي (مروة) التي قالت:

– مرحبا بك يا سيدتي ، الاستاذ (جلال) غير متواجد الآن.

جلست (أمل) فوق أقرب مقعد قابلها وهي تتمتم :

– كان ينبغي أن أتصل تلفونيا به قبل أن آتي.

قالت (مروة) :

– هل أحضر لك شاياً أم عصير؟

تنهدت (أمل) وقالت:

– لا داعي يا (مروة) ، سأستريح قليلا ثم أعود للبيت.

قالت (مروة) بإصرار :

– لا يمكن أبداً ، سأحضر لك كوباً من العصير وسأعده بنفسي ايضاً.

ثم انصرفت للمطبخ لتعد العصير ، في الوقت الذي أخرجت (أمل) هاتفها المحمول من حقيبة يدها وقامت بالاتصال بـ(جلال) ، وما إن سمعت صوته علي الجانب الاخر حتي قالت :

– أين أنت ؟! أنا في المقر الآن.

أجابها (جلال) عبر الهاتف:

– أنا في الفيلا مع المهندس (خالد) لقد بدأنا في مراحل تشطيب البناء وهناك بعض الخامات يجب أن اختارها بنفسي.

قالت:

– حسناً ، سأعود للبيت سريعاً.

دخلت (مروة) حاملة معها كوبا من العصير الطبيعي وقدمته لـ(أمل) ثم جلست خلف مكتبها ، وتناولت (أمل) رشفة من العصير وقالت:

– لا بد من أنك ربة منزل جيدة يا (مروة).

أجابت (مروة):

– شكراً يا سيدتي .

هزت (أمل) رأسها وهي تقول:

– لا أدري سبب اهتمام (جلال) بهذا المخزن لهذه الدرجة.

تساءلت (مروة):

– أي مخزن ؟

ظنت (أمل) أن (مروة) لا تدري شيئاً عن أمر المخزن فقالت:

– ذلك المخزن الذي قرر (جلال) فجأة بنائه في أحد أركان الفيلا.

ابتسمت (مروة) وهي تقول:

– آه . هذا البناء الذي يقوم عليه المهندس (خالد) أليس كذلك؟

تعجبت (أمل) فقد كانت تظن (مروة) لا تدري بأمر المخزن وقالت:

– بلي ، هو نفس البناء.

ضحكت (مروة) ضحكة بسيطة وقالت:

– إذن فهو مخزن ، يبدو أن الاستاذ (جلال) يحبك جدا يا سيدتي.

بدأ القلق يدب في (أمل) وطغت الطبيعة الأنثوية علي أي طبيعة أخري ، فنظرت بحدة لـ(مروة) وسألتها (أمل) سؤالا انثوياً ذو مغزي :

– هل أنت متزوجة يا (مروة)؟

أجابت (مروة):

– نعم متزوجة ، ولدي بنت اسمها (نور).

قالت (أمل):

– لكن من الواضح أنك صغيرة السن علي أن تكونين زوجة وأم.

ابتسمت (مروة) وقالت:

– إن عمري ٢٤ عاماً ، ولكني متزوجة منذ خمسة أعوام ، بعدما أنهيت تعليمي مباشرة ، و (نور) عمرها أربعة سنوات الأن ، وأنا أتركها مع والدها أثناء عملي في المساء حيث يعود هو من عملة الصباحي.

سألتها (أمل):

– وما هي الشهادة التي حصلتي عليها؟

أجابتها :

– إنني حاصلة علي دبلوم تعليم تجاري ، لكني لم أدخل الجامعة لظروف الاسرة المادية.

قالت (أمل):

– أعانك الله يا (مروة) وحفظ لك ابنتك.

قالت (مروة):

– شكرا لك يا سيدتي.

قالت (أمل):

– لا داعي للرسميات بيننا يا (مروة) فنحن لنا نفس العمر تقريباً ولا أحب أن تعامليني كأنني مديرتك ، فلقد شعرت نحوك بارتياح .

ثم قامت لتعود لبيتها ، كانت تشعر براحة كبيرة بعد حوارها مع (مروة) فقد كانت كأي أنثي تشعر بقلق تجاهها لعملها كسكرتيرة لزوجها ، لكنها فعلا ارتاحت لها ، ووضح أن (مروة) من النوع المكافح الذي يواجه مصاعب الحياة بنفسه ويتحمل مسؤلياته وهي متزوجة وأم وتعاون زوجها علي المعيشة.

أما (أمل) فكانت عائدة من فرع الشركة الدولية المختصة بالبحث في العقاقير الطبية والتي التحقت بها اليوم ، وبعد ما قامت بتوقيع عقود العمل وتسلمت مكانها في الشركة كانت تود أن تفاجئ (جلال) بالخبر.

عادت للفيلا ودخلت مباشرة تبحث عن (جلال) ، حتي وجدته يجلس أمام التليفزيون يتابع مباراة في كرة القدم ، فجلست جواره ، وما إن رآها حتي سألها :

– أين كنت؟ ولم مررت علي المقر؟

ابتسمت (أمل) وقالت :

– لقد كنت أود مفاجأتك.

ضحك (جلال) وقال:

– لقد تعلمتي تدبير المفاجآت.

ضحكت وقالت :

– تلميذتك يا استاذي.

سألها :

– وما هي المفاجأة يا ترى ؟

قالت:

– لقد تسلمت عملي اليوم.

وضحت السعادة علي (جلال) وهو يقول:

– مبروك يا حبيبتي ، اتمني أن تكوني سعيدة بالعمل.

قالت:

– سعيدة هذه كلمة لا تصف مشاعري ، إن هذه الشركة بالتحديد تناسب تخصصي وميولي تماماً وكأنك انتقيتها خصيصاً ، كما أن الراتب بالدولار وبصراحة الراتب كبير.

قال بحنان:

– دائما سأعمل علي تحقيق السعادة لك.

شعرت بالخجل يستل طريقة إليها فحاولت تغيير دفة الحديث فقالت:

– لقد قابلت (مروة) سكرتيرتك ، وتبدو مجتهدة فالعمل.

تعجب (جلال) وقال:

– تدافعين عنها في ثاني لقاء بينكما! هل اشتكت إليك عن شيء؟

قالت بسرعة :

– أبداً ، لقد دار بيننا حوار نسائي وعرفت انها تساعد زوجها في المعيشة ، اعتقد إنها جيدة.

قال:

– بالفعل هي جيدة في العمل ، ثم أنها من اختيار (مُحَمَّد) وهو من حدد راتبها ، واطمئني فراتبها مرتفع.

قالت:

– تصور أنها تعرف أمر المخزن الذي تقوم بإنشائه؟

عقد حاجبيه وسألها :

– وماذا قالت بالضبط؟

ردت:

– أثناء الحديث قلت أنك تولي هذا المشروع اهتماما زائد عن اللازم فوجدتها تعرف بأمر الانشاء بل وتعرف المهندس (خالد).

سألها مرة أخري:

– أهذا ما قالته فقط ؟

قالت:

– نعم ، لكن أستغرب من معرفتها بأمر يحدث في بيتنا ، وتعرف أيضاً المهندس المسؤول عن المشروع ، هل تجد هذا طبيعياً.

ضحك (جلال) وقال:

– من الطبيعي أن تعرف أمر كهذا ، يبدو أن غيرة النساء بدأت في الظهور هنا.

قالت بسرعة :

– ليست غيرة ، لكن كيف أنها من الطبيعي أن تعرف بما يدور هنا.

بدت الجدية علي ملامح (جلال) وصوته وهو يقول:

– أولا هي لا تعرف شيئا عن أمورنا الخاصة ، وهذا تفكير خاطئ منك ، ثانيا هي تعرف بموضوع الانشاء لأنه ليس سراً.

ثم صمت ثواني قبل أن يقول ضاحكاً:

– كما أن العقد المبرم بيني وبين (خالد) وملف المشروع وحساباته من اختصاص عملها ، أم أنك نسيتي أنها سكرتيرتي.

شعرت بالإحراج لأنها لم تفكر في الأمر بهذه الصورة ، ووجدت كلام (جلال) منطقي وطبيعي فعلا ، فقالت :

– لم أكن أعلم أن الامر يحتاج لعقود وملفات ، كنت أظن أنه موضوع بسيط.

قال:

– هو بسيط بالفعل ولكن لابد من وجود عقود لضمان الحقوق.

ثم اعتدل في جلسته وقال:

– دعيني نعود لأول أيام عملك ، كيف وجدتي العمل؟

كان الحماس طاغيا علي صوتها الذي لا يخلو من سعادة طاغية وهي تقول:

– رائع ، بل أكثر من رائع ، لقد تسلمت أوراقي ومكتب خاص ، ودخلت المختبر ، ويا له من مختبر ، كل ما يمكنك أن تتمناه من أدوات متوفر ، والبيئة تساعد علي العمل ، إن هذا اليوم من أسعد أيام حياتي.

ابتسم(جلال) وهو يقول:

– أنا أعرف جيداً أنك ستكونين علي قدر المسئولية ، وأريد أن أباهي بك وزير الصحة.

قالت:

– شكرا علي الثقة الكبيرة.

ثم تنهدت قليلا وسألته:

– هل سينتهي المخزن قريباً؟

قال:

– الاسبوع القادم ، ولم تسألين؟

قالت:

– لقد أحببت هذا المشروع لأنه يجعلك تتواجد كثيراً في المنزل بجواري.

قال:

– لقد أصبحتي الأن امرأة عاملة ، وستجدين ما يشغل وقتك .

قالت :

– أنت تعرف جيداً أنه لا يوجد شيء يشغلني عنك.

ثم قامت وهي تقول:

– دعين ابدل ثيابي ثم نتناول غذائنا سوياً.

صعدت للطابق الثاني في حين قام (جلال) من مقعده وخرج نحو البناء الجديد ، كان البناء شبة منتهي تقريباً، فقد تم تشطيبه من الخارج تماماً وتم تركيب نوافذ عاكسة للشمس ، كان الشكل العام لا يوحي علي الإطلاق بأنه مجرد مكان لحفظ الأشياء القديمة.

دخل جلال للبناء وكان من الداخل عبارة عن غرفة كبيرة جداً، تم كسوتها بالكامل بالسيراميك ، وملحق بها حجرة أخري وحمام كبير ، كان هناك عدد من العمال يقومون بتنظيف السيراميك والأبواب وبعضهم يقوم بتركيب وحدات الإضاءة ، في حين كان المهندس (خالد) يجلس في الغرفة الملحقة ،فدخل عليه (جلال) وحياه ثم سأله:

– ما أخر أخبار الأدوات والمعدات يا باشمهندس؟

ابتسم (خالد) بثقة وهو يقول:

– اطمئن يا سيد (جلال) ، لقد أنهيت بعض الاتصالات مع شركة المعدات والأجهزة منذ دقائق ، وجميع الأدوات والمواد والتجهيزات ستصل للفيلا غداً.

شعر (جلال) بالارتياح وقال:

– أهم شيء أن تصل هذه الأشياء وتدخل البناء في الليل .

قال (خالد) بثقته المعهودة:

– لقد تم ترتيب كل شيء كما طلبت، لا تقلق.

(جلال):

– ثقتي بك كبيرة يا مهندس (خالد) وأنت تستحقها ، حسب ترتيبنا يمكنني تسلم المشروع بداية الاسبوع المقبل، أليس كذلك؟

ابتسم (خالد) وقال:

– إن شاء الله سيتم تسليم المشروع يوم السبت المقبل .

تركه (جلال) وعاد مرة أخري إلي الفيلا ، ليلحق بزوجته علي طعام الغذاء.

كانت (أمل) تشعر بسعادة كبيرة لعملها في تلك الشركة ، كانت بطبيعتها ممتلئة بالنشاط ، ويتملكها حماس كبير ، كانت تريد إثبات كفاءتها بالعمل حتي لا يقال أنها مجرد دكتورة صيدلانية توظفت بالمحاباة ، وهو الأمر التي تأكدت منه نفسها بعد مرور أيام معدودة علي عملها بتلك الشركة ، فالشركات علي هذه الشاكلة لها متطلبات خاصة في الكوادر العاملة بها ، والكفاءة شرط أساسي ، تأكدت من ذلك عندما أخبرها مديرها المباشر بعض مرور شهر ونصف الشهر علي عملها بأنها قد تم قبولها في الشركة كموظفة متعاقدة ، وبأن الفترة الماضية بالكامل كانت فترة اختبار.

كان العمل يستحوذ علي وقتها واهتمامها تماماً، صحيح أن انشغال (جلال) عنها بالعمل وأمور السياسة ترك لها المجال لتتفرغ للعمل ، إلا أنها كانت تعطي لعملها وقتاً وجهداً إضافياً ، لقد كانت متميزة بحق ، ويمكن القول بأنها موهوبة في مجالها ، حتي أن زملائها في العمل توقعوا لها الصعود سريعاً داخل الشركة ، فقد تمكنت بإجادتها وحسن تعاملها ومهاراتها الواضحة من اكتساب ثقة الجميع ، وبسرعة أصبحت ضمن الفريق المسئول عن تطوير أحد العقاقير الجديدة لمرضي القلب.

في ذلك اليوم الذي يصادف ذكري يوم زواجها من (جلال) ، كانت تجلس داخل كافتيريا الشركة أثناء ساعة الراحة تتناول فنجان من القهوة، وهي تتحدث مع والدتها عبر الهاتف وتحاول إقناعها بضرورة حضورها للحفا الذي سيقام مساء نفس اليوم في هذه المناسبة ، غير أن الأم اعتذرت منها نظراً لمرور (فضل) والد (أمل) بحالة أنفلونزا ارقدته الفراش .

أنهت المحادثة مع والدتها ، ثم تناولت فنجانها بهدوء قبل العودة مرة أخري للعمل.

في نفس الوقت كان (جلال) في مكتبه يتحدث مع (مروة) حول ترتيبات حفل الليلة وهي تقول:

– اطمئن يا سيد (جلال) ، كل شيء علي ما يرام .

قال:

– أريد كل شيء كما طلبته بالضبط.

(مروة):

– لا داعي للقلق ، كل شيء كما أمرت تماماً.

(جلال):

– أنا أعتمد عليك يا (مروة) .

أومئت برأسها ثم غادرت إلي مكتبها لتكمل عملها المعتاد ، أما (جلال) فقد التقط هاتفه المحمول الذي دق في نفس اللحظة التي خرجت فيها (مروة) ، وكانت شاشة الهاتف تحمل اسم (صفوان باهر) فأجابه (جلال) علي الفور قائلاً:

– مرحبا يا (صفوان) باشا

أتاه صوت (صفوان) عبر الهاتف يقول:

– لقد أردت شكرك يا (جلال) علي دعوتك بخصوص الليلة.

(جلال):

– سيكون تشريف سيادتك بالحضور هو أهم ما في الحفل البسيط.

(صفوان):

– سوف آتي يا (جلال) فيبدو أنك تجيد قراءة المستقبل.

(جلال):

– وكيف ذلك؟

(صفوان):

– هذا الصباح كنت سأتصل بك هاتفيا لتدبير لقاء بيننا ، لكنك سبقت وأرسلت دعوتك الكريمة.

(جلال):

– عل الأمر خيراً.

(صفوان):

– لا تقلق يا (جلال) ، خيراً إن شاء الله .

قالها ثم أنهى المحادثة علي الفور ، مما جعل (جلال) يستغرق في تفكير عميق لدقائق ، تري ما الذي يريده (صفوان) بالتحديد ؟ الغريب أنه لم يكن يشعر بالقلق حقاً ، فقد كان لديه شعور قوي بأن الأمر عبارة عن صفقة جديدة ستعود عليه بمكاسب جديدة ، مما جعله بعد دقائق من التفكير يبتسم وهو يقول لنفسه:

– حسنا يا (صفوان) موعدنا الليلة.

كانت حفلة رائعة ، جو من المرح والفرح يسود المكان وينعكس علي الحاضرين ، الفرقة الموسيقية الصغير تقوم بتقديم أغنيات مبهجة ، (جلال) و (أمل) متألقين في ازهي الملابس ،

الكثير من الخدم جاءوا خصيصا من أجل الحفل ولا يتركوا أحد من المدعوين بدون تقديم الحلوى والعصائر ، لكن كان التنظيم رائعا جداً وجهد (مروة) بدى للجميع مما جعل (جلال) و(أمل) يبحثان عنها بين الحاضرين حتي وجداها وذهبا إليها وأسرعت (أمل) بالحديث قائلة بسعادة واضحة:

– شكراً جزيلا يا (مروة) ، حفل رائع بحق

ابتسمت (مروة) وقالت:

– لا داعي للشكر ، هذا عملي.

مال (جلال) علي (مروة) قائلا:

– سوف تستحقين مكافأة مالية علي هذه الحفلة.

قالت (أمل) :

– أين ابنتك يا (مروة)؟

أشارت (مروة) بيدها تجاه حوض السباحة وقالت :

– ها هي تلعب هناك.

قالت (أمل):

– دعيني أرحب بها علي طريقتي.

قالتها ثم ذهبت نحو البنت مباشرة ، في حين ترك (جلال) سكرتيرته وتوجه ناحية مدخل الفيلا عندما لمح وصول (صفوان باهر) بموكبه المثير، أسرع (جلال) ليستقبل السياسي المحنك الذي هبط من سيارته وأشار للحرس المرافقين له بالابتعاد.

رحب به (جلال) ثم سارا معاً بين الحاضرين اللذين تسارعوا لتحية رجل الدولة الكبير صاحب السيجار الفاخر ، وبعد ما فرغ من تحية الحاضرين قال (صفوان) :

– وأين سيدة القصر حتي أقدم لها هديتها بنفسي ؟

أشار (جلال) لزوجته التي كانت تتجه نحوهما بالفعل وقال:

– ها هي أتية.

سلم عليها (صفوان) وعلي وجهه ابتسامة كبيرة قبل أن يخرج من جيب سترته علبة مخملية حمراء توحي بأنها تحوي قطعة من المجوهرات ، وقدمها لـ(أمل) قائلا:

– عيد زواج سعيد يا دكتورة.

تناولت (أمل) العلبة وفتحتها لتجد بداخلها ساعة فاخرة مرصعة بالألماس ، نظرت إليها بدهشة وقالت بعفوية:

– لكن هذا كثير جدا يا (صفوان) باشا.

قال (صفوان) بنفس الابتسامة:

– إنها أقل مما يجب يا دكتورة .

تدخل (جلال) في الحديث مداعباً:

– وأين هديتي أنا إذن ؟

ضحك (صفوان) وقال:

– أتطلب مني هدية ؟ عليك أنت تقديم هدية مناسبة لزوجتك الجميلة.

ابتسم (جلال) وقال:

– وهل تظن أنني أنسي أمر كهذا ؟! لكن موعد تقديم هديتي سيحين بعد قليل.

ثم وجه حديثه لزوجته وقال:

– لم لا تذهبي لحفظ هدية (صفوان) باشا وتتابعي باقي المدعوين ؟

ابتسمت (أمل) وقد فهمت اشارة زوجها لها كي تتركهما بمفردهما فأومأت برأسها وقالت:

– صدقت فلدي الكثير للقيام به يا (جلال).

ثم حيّت (صفوان) مرة أخري وتركتهما منصرفه ، في حين تحرك (جلال) وضيفه المهم نحو الفيلا ، ودخلا حجرة مكتب (جلال) الذي أغلق بابها والتفت لـ(صفوان) الذي جلس علي أحد المقاعد وقال:

– خيراً يا باشا ، ما الأمر الذي حدثتني بشأنه ؟

قالها وجلس علي المقعد المقابل تماما أمام (صفوان) الذي اخرج من جيب سترته علبة معدنية أنيقة ووضعها علي الطاولة الضغيرة بينهما أمام (جلال).

تناول (جلال) العلبة وفتحها واتسعت عيناه بدهشة عندما وجدها تحتوي علي نوع من السيجار الفاخر لكن السيجار رفيع ويشبه السجائر العادية غير أنه أطول وفي جانب العلبة مبسم من الفضة الخالصة محفور عليه حرف G أول حروف أسمه باللغة الانجليزية مما يدل علي أنه معد خصيصا له.

كان (جلال) ينظر بدهشة لـ(صفوان) وهو الذي ابتسم وقال:

– هذه هدية صغيرة يا (جلال) وأنا متأكد أن هذا النوع سينال استحسانك ، حتي أنك ستترك السجائر العادية للأبد.

تناول (جلال) واحدا من العلبة وأشعله وسحب منه نفساً قبل أن يهز رأسه قائلاً:

– إنه رائع بحق.

مال (صفوان) نحوه قليلا وقال:

– يجب أن تتعرف علي صديقي مستورد هذا النوع الفخم من السيجار، فلن تجده إلا عنده.

سحب (جلال) نفس أخر من السيجار وهو ينقل بصره بين السيجار و(صفوان) دون أن ينطق ، وكأنه يتذوق طعم السيجار الجيد ، مما دفع (صفوان) للكلام وهو يعتدل مرة أخري في مقعده قائلا:

– وهذا هو الموضوع الذي أريدك بشأنه.

ارتفع حاجبا (جلال) وتساءل بدهشة :

– السيجار ؟!

لم تتغير ملامح (صفوان) وقال:

– بل مستورد السيجار.

صمت قليلا يتابع (جلال) قبل أن يكمل:

– هذا الرجل صديق لي شخصيا ، بكل تأكيد قد سمعت عنه ، هذا الرجل له نشاط اقتصادي كبير وخدم البلاد كثيراً ، وهناك صفقة كبيرة يجب أن يفوز بها ، لكن هناك شركات أجنبية تقدمت ضده في المنافسة وللأسف تم استبعاده بحجة أن لديه الكثير من الأعمال مما يجعله غير قادر علي متابعة الصفقة الجديدة ، لذا فكرنا فيك.

قال (جلال) :

– لا أفهم بالضبط ما المطلوب مني.

قال (صفوان):

– مطلوب منك الدخول في المنافسة وبعد فوزك بها ستتركها لصديقي الذي أخبرتك عنه.

صمت (جلال) وبدأ يفكر في الأمر ثم سأل:

– ومن أدراك بأنني سأفوز بالصفقة؟

عقد (صفوان) حاجبيه وقال:

– اسمع يا (جلال) وافهم ما أقوله جيداً ، الخبير المثمن المسئول عن الصفقة في صفنا وسأضمن لك الفوز ، بل سنخبرك بالأرقام التي تضمن لك الفوز بالصفقة وبعدها ستقوم بتوقيع عقد تنازل لشركة أخري ، وهي بالتأكيد تابعة للرجل المنشود والذي سيدفع لك مبلغا يستحق أن تتنازل به عن العملية وسيتحمل هو أيضا كافة العمولات التي ستقدم لأصدقائنا لترسية العطاء عليك.

سأل (جلال) مجدداً:

– ومن هو هذا الصديق؟

ابتسم (صفوان) وقال:

– سأخبرك ، لكن هذا الأمر لا يخرج من هذه الحجرة.

ثم مال نحو (جلال) بشدة وهمس له باسم الرجل ، وهنا اتسعت عينا (جلال) بدهشة ، فهذا الاسم تهتز له اقوي الشخصيات في مصر ، مجرد ذكر اسمه جعل (جلال) يفهم بأن هذا الرجل لا يجب أن يكون في مقدمة المشهد ولابد من وجود شركات تعمل من أجله علي أن يكون هو بعيداً تماماً.

مرت دقائق أخري علي (جلال) و (صفوان) في حجرة المكتب أصبح فيها الحديث أكثر صراحة ومباشرة بعد معرفة هوية المستفيد الحقيقي من الصفقة ، دام اجتماعهما لقرابة نصف ساعة قبل أن يخرجا مرة أخري لمواصلة الحفل ، وانصرف (صفوان) سريعاً بموكبه وحراسه في حين طلب (جلال) من الفرقة الموسيقية أن تتوقف قليلا ليقل كلمة، وامسك بالميكرفون وقال:

– اليوم ذكري مرور عام علي زواجي من (أمل) كما تعرفون جميعاً ، وبهذه المناسبة أحب أن أقدم لزوجتي هدية بسيطة.

قالها ثم نزل من فوق المسرح الصغير وشق طريقه بين الحضور متوجها نحو زوجته التي كانت تجلس مع (مُحَمَّد) وزوجته وابنهما ، كانت تشعر بالخجل من هذا الموقف خصوصا عندما وقف (جلال) امامها مباشرة مادا يده نحوها ، ارتبكت اكثر ووضعت يدها في يده وقامت معه ، فوجئ الجميع بـ(جلال) يصحب زوجته نحو البناء الجديد في ركن الفيلا ، دبت الحيرة في نفوس الجميع ، وبدأوا في السير ببطء خلف (جلال) و(أمل) بكل فضول ، وما إن وصلوا ووقفوا أمام البناية الجديدة حتي قام (جلال) بتقبيل يد زوجته ثم أخرج من جيبه مفاتيح هذه البناية وهو يقول لها :

– تفضلي وافتحي الباب.

كانت (أمل) في قمة الخجل والارتباك ولا تدري ماذا تقول ، فتناولت المفاتيح من زوجها وفتحت الباب ببطيء ودخلت بحذر وتبعها (جلال) الذي مد يده وأضاء المكان ثم دخل خلفهما كثير من الحاضرين ، واتسعت عيون الجميع باستثناء (جلال) و (مروة) ، فقد كان هذا البناء المكان ما هو إلا معمل

للاختبارات والتحاليل مجهز بالكثير من الادوات والأجهزة الحديثة ، ومصمم بشكل أنيق ، سرت حالة من الانبهار بين الحاضرين جميعاً وخصوصاً (أمل) التي بحثت كثيراً عن الكلمات لتعبر عن سعادتها ، لكن خجلها وارتباكها جعلاها تلتزم الصمت لبعض الوقت ، وفجأة قامت (مروة) بالتصفيق وتبعتها (مها) ثم تبعهما الباقين ، فالتفت (جلال) نحو (أمل) وسألها:

– أعجبك؟

تنهدت تنهيدة عميقة وقالت:

– بل قل أبهرني .

(جلال) :

– ما عليك إلا أن تطلبي المواد والخامات التي تحتاجينها لأقوم بتوفيرها لكِ.

قالت:

– هذا كثير جدا يا (جلال).

لم يعلق (جلال) علي قولها ولكن وجه كلامه للحاضرين وقال:

– هيا بنا لنكمل الحفل ، هذا موعد العشاء .

هم الجميع بالخروج وتأبطت (أمل) ذراع زوجها ، وقالت لـ(مروة) :

– إذن فكنتِ تعرفين بالأمر ولم تخبريني.

ابتسمت (مروة) وقالت:

– هذه طبيعة عملي ، حفظ اسرار صاحب العمل.

قال(مُحَمَّد) :

– صدقيني يا دكتورة ، (جلال) مليء بالمفاجآت.

ابتسمت (أمل) وقالت:

– لقد تأكدت من ذلك تماماً.

ثم زادت من تعلقها بذراع زوجها وهمست في أذنه :

– ولماذا لم تخبرني ؟ علي الأقل لتأخذ رأيي في الديكورات.

ابتسم (جلال) وقال:

– وأين المفاجأة ؟

لم تكن (أمل) تتوقع مثل هذه الهدية بأي حال من الأحوال ، لقد تفاجأت بالفعل ، لكنها مفاجأة أسعدتها سعادة غامرة.

ذهب الجميع إلي مائدة الطعام الكبيرة ، وبدء كل شخص في اختيار الاصناف التي تروقه من بين الاصناف المتعددة ، كان الجميع يشعرون بمرح كبير ومستمتعين جدا بالحفل، كما أن مفاجأة (جلال) الغير مسبوقة والغير متوقعة أضافة جوا خاصاً علي الحفل.

المهم بعد هذا الحفل السعيد ، كيف ستمضي بهم الحياة ؟

هذا هو المهم ...

****

الفصل السادس

مرت اسابيع عادية علي (أمل) بعد الحفل ، كانت متحمسة جداً للمعمل الخاص بها ، وكل ما طلبته من مواد وخامات تم توفيره بالكامل واصبحت تقضي وقتا كبيرا في المعمل بعد عودتها من الشركة ، عكس (جلال) الذي سلك منعطفا جديدا بعد تعاونه مع اعلي المناصب في الدولة وتم توقيع عقد الصفقة التي اتفق علي تفاصيلها مع (صفوان باهر) ، دون علم أخيه بالأمر ، فقط (ثروت) هو من اطلع علي الأمر ، كان (جلال) يشعر بزهو السلطة والنفوذ الكبيران اللذان حققهما بسرعة ، الأن له كلمة ماضية في كل الأوساط التي يريدها.

وذات يوم وهو جالس في مكتبه بالشركة مع أخيه بعد اجتماع عمل مع موظفي الشركة ، وما إن خرج جميع الموظفين والموظفات حتي قال (مُحَمَّد):

– اجلس يا (جلال) ، فأنا أريدك في أمر هام.

جلس (جلال) وتبعه (مُحَمَّد) علي المقاعد الجلدية الوثيرة في أحد أركان المكتب و(جلال) يقول:

– خيراً يا أخي ؟

تجاوز (مُحَمَّد) سؤال أخيه علي غير عادته وقال :

– لقد مر علي زواجك أكثر من عام الآن ، ونحن نحقق ارباح اكثر من الخطة المستهدفة لنا ، ودخولك لمجلس الشعب اضاف لنا عكس ما كنت اظنه في البداية ، كل هذا ولم اجد منك جدية في موضوع الإنجاب يا أخي.

عقد (جلال) حاجبيه وقال بدهشة:

– جدية!! من الذي أوحي لك بهذه الفكرة السخيفة ؟ أنا لم أمنع زوجتي من الانجاب يوما واحداً .. إنها مسألة وقت لا أكثر .

أشاح (مُحَمَّد) بوجهه للحظات بدي وكأنه يسترجع ما سيقوله لأخيه الاصغر ، ثم تنهد تنهيدة عميقة ونظر لـ(جلال) قائلا:

– الأمر ليس وقت وحسب يا (جلال) .. كما أنه ليس بيد زوجتك وحدها.

زاد انعقاد حاجبا (جلال) وقال :

– هات ما عندك مباشرة يا (مُحَمَّد) ولا داعي للحديث الغير مباشر .. ماذا تقصد بكلامك هذا؟

صمت (مُحَمَّد) قليلا قبل أن ينطلق قائلا:

– اسمح لي يا (جلال) ، ولا تغضب مما سأقوله الآن .. بصراحة أنا أخشي أن يكون هناك سبباً طبياً يمنع حدوث الحمل سواء منك أو من (أمل) هذا الأمر أصبح شائع هذه الأيام لأسباب مختلفة .. لكني وبمنتهي الأمانة أخشى أن تمر بكَ الأيام دون التحرك لعلاج الأمر.

لم يعلق (جلال) وإن بدت التساؤلات علي وجهه بعد عبارة أخية الأخيرة فتابع (مُحَمَّد) قائلا:

– أنا أريدك أن تقوم بإجراء الفحص الطبي اللازم يا (جلال).

ضحك (جلال) ضحكة غاضبة وتساءل متهكماً:

– هل تشك بقدراتي يا (مُحَمَّد)؟

هز (مُحَمَّد) رأسه بالنفي وهو يقول :

– ليس هذا ما أقصده بالطبع .. سأكون أكثر صراحة معك.

ثم عاد لصمته لثواني بدت لـ(جلال) كأنها ساعات طويلة وهو ينتظر ما سيقوله أخيه الذي تكلم أخيرا وقال:

– بصراحة يا أخي أخشي أن تكون أصبت بمرض ما من علاقات القديمة .

ساد صمت رهيب علي الحجرة ، ولم يجد (مُحَمَّد) كلمات اخري بعد ما قاله ، في حين كان (جلال) في نار مستعرة مما قاله أخيه منذ لحظات ، إن المقربين منه دائماً ما حذروه من عواقب علاقاته الغرامية المتكررة الكثيرة ، وبعض اصدقائه كان كثيراً ما ينصحه قائلا : " إن كل ما تفعله سيرد عليك يوما ما بطريقة أو بأخري " .

كانت هذه الافكار تعصف به عصفاً وعجز عن النطق ، وظل محدقاً في وجه (مُحَمَّد) الذي نهض من مقعده وتحرك مغادراً ثم توقف عند باب الحجرة للحظة والتفت مرة أخري لأخيه قائلا:

– يجب استشارة طبيب مختص يا (جلال).

قالها وخرج سريعا من المكتب تاركاً أخيه في نار الجحيم ، كانت الأفكار تتلاحق في رأس (جلال) ، هل ممكن أن يكون مريضاً ؟

وإن كان كذلك فربما يكون قد نقل مرضه لزوجته ، لا إن أخيه مخطئ تماماً وهو سليم ومعافى ، لكن لماذا تأخر الحمل ل هذه المدة ، أكثر من عام مر علي الزيجة فما السبب ، لابد أن يكن له ولد يشاركه امبراطوريته التي تتسع يوما بعد يوم ، هل من الممكن أي يحرم من الولد ؟ هل يذهب كل شيء لأخيه وابن أخيه من بعده؟

توقف عند هذه النقطة بالذات ، لم يكن يوماً ليفكر في أمر كهذا ، ربما قبل زواجه لم تكن تلك الفكرة لتؤرق باله ، لكنه الآن يشعر بالعجز بعدما كان يشعر بالسلطة والنفوذ ، ومن يمتلك شعور السيطرة والهيمنة هذا لا يمكن أن يفقد ما حصل عليه بسهولة ، فلابد من أن يكون له ولد ، لابد من أن يظل

اسم (جلال صالح) هو الأكبر والأشهر ، تساءل ماذا فعل (مُحَمَّد) للشركة وهل قدم للشركة مثلما فعل هو ، امبراطورية (جلال صالح) ستستمر بهذا الاسم مهما كان الثمن.

فما السبب الذي يمنعه من الانجاب ؟ هل هو السبب أم هي زوجته ؟

وجد في نفسه ميلا لهذه الفكرة التي تنقذه من الاحساس بالعجز الذي يسيطر عليه الآن ، عليه ان يطلب منها اجراء فحص طبي ، لكن ماذا إن كانت نتيجتها طبيعية ؟

مر أكثر من شهر بعد ذلك و(جلال) يفكر في كل الاحتمالات والظروف التي يمكن أن تحدث ، حاول جاهداً ألا يبدو عليه التغيير أمام (أمل) في حين لم يستطع التعامل مع (مُحَمَّد) بصورة طبيعية ، كلما نظر في وجه أخيه يتملكه شعور بالعجز والنقص ، وأحياناً كثيرة شعور بالغضب أيضاً

ثم وصل لقرار نهائي ، عليه هو أن يقوم بإجراء الفحص اللازم في سرية وإن جاءت النتيجة طيبة فلا مانع أن يخبر (أمل) بالأمر ويعلل كتمانه الأمر بالخوف علي مشاعرها ، أما إن كان هناك خلل أو مرض فعليه التصرف بسرعة حتى يعود طبيعياً دون أن يعلم أحد بشيء ، هذا قرار ذكي.

لم تمضي أيام كثيرة علي قراره هذا إلا وكان قد ذهب لواحد من أشهر مراكز فحوصات الزواج والخصوبة ، ودفع مبلغاً كبيراً لتكون له مواعيد خاصة وسرية بحكم كونه رجل أعمال ونائب برلماني ولا يريد لأمره أن ينتشر واستمر الفحص والتحليل لمدة اسبوع فقط.

كان القلق يعصف به وهو يدخل إلي مركز فحوصات الخصوبة الشهير في ذلك الحي الراقي من ضواحي القاهرة ، ودخل لمكتب الدكتور (منير عفيفي) مدير المركز الذي أصر أن يقدم نتائج التحاليل بنفسه ، كان يشعر في أعماقه أن الأمور لن تكون كما يريد.

جلس (جلال) أمام مكتب الدكتور (منير) ذلك الرجل والوقور بسنوات عمره التي تجاوزت الخمسين وبشرته البيضاء المائلة للحمرة قليلا وشعره الذي اصبح البياض اللون الغالب علي خصلاته ونظارته الطبية الأنيقة بإطارها الذهبي.

بدء الدكتور (منير) الكلام أولا وقال:

– يا سيد (جلال) أنت مؤمن بالله سبحانه وتعالي وتعلم أن الأمر كله لله وتعلم بالطبع ....

لم يستطيع (جلال) سماع باقي كلام الدكتور وقاطعه بقلق واضح:

– لا داعي لهذه المقدمة يا دكتور وكما يقول المثل الشعبي "الجواب يعرف من عنوانه" فلتعطني النتيجة مباشرة.

أحس (منير) بقلق (جلال) وقرر إنهاء الأمر بسرعة فقال:

– لقد قررت مقابلتك بنفسي حفاظا علي طلبك بالكتمان الشديد للأمر .. لكن أنا أسف لأخبارك بأنه لا قدرة لديك علي الإنجاب.

صمت (جلال) ثواني ، شيء ما بداخله كان يعرف النتيجة مسبقاً بل يشعر بأنه كان متأكد منها ، مرت ثوان لم ينطق فيها أي منهما إلي أن قدم (منير) ملف النتائج لـ(جلال) الذي تناول الملف ونظر إليه لحظات أخري دون أن يفتحه ثم التفت إلي (منير) متسائلا:

– والآن ما هي اقتراحاتك يا دكتور؟

خلع (منير) نظارته ووضعها علي المكتب برفق وهو يقول بهدوء:

– يبدو أن الأمر غير واضح تماماً لك ، في مثل حالتك لا توجد اقتراحات أو حلول ممكنه .. فقط إنها إرادة الله سبحانه وتعالي.

ارتفع صوت (جلال) وقال بحدة :

– ماذا تقصد بأنه لا توجد حلول ممكنه؟ أين ثرثرتكم الدائمة بأن لديكم حلول لمشكلات العقم ومثل هذه الامور .. أم أنها مجرد دعاية كاذبة لضمان أكبر عدد من الزبائن؟

نظر (منير) لـ(جلال) قليلا ثم رجع بظهره في كرسيه وقال بنفس الهدوء:

– أنا مقدر تماماً لما تشعر به يا سيد (جلال) ولكي تفهم خلاصة التقرير دعني أقول لك بأنك لا تملك قدرة علي الإنجاب بصورة طبيعية أو حتي عن طريق الحقن المجهري أو كما يقول العامة "أطفال الأنابيب" لأن في حالتك فإنك تنتج حيوانات منوية ميتة بصورة كاملة فلا يمكننا زراعة حيوان واحد في رحم زوجتك .. إن الله يجعل من يشاء عقيماً فاصبر لعل الله يشفي عنك.

كان هناك عشرات الافكار تتحارب داخل عقل (جلال) ولم يجد ما يقوله بعد كلام (منير) فقام ونظر مرة اخري علي الملف في يديه ثم نظر إلي منير وخرج في صمت.

قاد سيارته إلي جوار النيل في ذلك المكان الذي يفضله للتفكير في مشكلاته ، ترجل من السيارة ووقف أمام النهر الخالد ، نصف ساعة كاملة لم يتحرك من مكانه كتمثال من الرخام ولم يشعر بقطرات العرق التي غمرته من الوقوف تحت شمس العصر القوية، مشاعره متضاربة وعنيفة ، حزن مغلف بغضب وحنق واستنكار ، خوف من المستقبل ، كيف سيتصرف مع زوجته ، إلي من ستؤول الثروة الكبيرة ، كيف سيعامله أخوة الوحيد، هل حقا لا يوجد حل ؟ أم أن عليه استشارة طبيب أخر.

لم يصل لشيء محدد عندما أخذ سيارته عائداً لمنزله ، واتصل بـ(مروة) وأخبرها أنه لن يذهب لمكتبه لبقية اليوم ، دخل الفيلا وترجل من سيارته وهم بالدخول لكنه لاحظ أن باب المعل مفتوح قليلاً فذهب إلي هناك ودخل ليجد (أمل) التي تفاجأت لرؤيته وقالت:

– (جلال) !! لماذا عدت باكراً اليوم؟

اقترب منها واستند علي الطاولة التي تعمل عليها وهو يقول :

– لا لشيء يا حبيبتي لكن قررت الحصول علي الراحة لبقية اليوم.

قالت وهي تميل لتنظر في جهاز الميكروسكوب الموجود أمامها :

– سأنهي بعض العمل سريعاً لنتناول الغذاء معاً.

ثم نظرت ناحية (جلال) فوجدته ممسكا بأحد القوارير الزجاجية ويقربها من أنفه محاولاً شمها فهتفت بانزعاج:

– توقف يا (جلال) ودع تلك القارورة جانباً

ابتسم وهو يتركها علي الطاولة قائلاً:

– وماذا بها حتي تنزعجي هكذا؟ هل هو سم؟

اخذت القارورة الصغيرة من أمامه وأحكمت اغلاقها ثم ذهبت ناحية أحد الدواليب وفتحته لتضع القارورة بين مجموعة أخري متماثلة وهي تقول:

– إنها مادة تحتوي بنسبة كبيرة علي كلوريد الماغنسيوم وهذه المادة تسبب لمن تدخل جسده أزمة قلبة وغالبا تودي بحياته .. يمكنك أن تعتبرها سم.

ضحك (جلال) قائلاً:

– هل تصنعون أدوية لشفاء الناس أم لقتلهم؟!

ابتسمت (أمل) قائلة :

– هذه المادة تدخل في أشياء متعددة ومختلفة .. دعك من هذا الحديث وهيا بنا لتناول الطعام فأنا جائعة.

قالتها وهي تتأبط ذراعه وتسير بجانبه ليغادرا المعمل متجهين إلي الفيلا.

تغيرت طبيعة (جلال) وحالته المزاجية بشكل عام بعد ذلك اليوم الذي عرف فيه فقدانه للقدرة علي الانجاب ، أصبح قليل الحديث مع (مُحَمَّد) إلا في أمور العمل ، لم يعد يهتم بحضر جلسات مجلس الشعب

كما دأب من قبل وطبعاً كانت علاقته بـ(صفوان) ورجالات الحزب تسمح له بالغياب دون ازعاج ، فجأة لاحظ أن العاملين بشركته في جلسات الاستراحة تدور معظم احاديثهم عن الأطفال والمدارس والدروس الخصوصية ، حتي (مروة) لاحظ انها تقوم بإجراء اتصال بزوجها كل ساعة تقريبا لتطمئن علي ابنتها، للمرة الأولي في حياته يشعر بأنه عاجز عن فعل شيء أو عن امتلاك شيء.

حاول دائما أن يتودد لـ(أمل) بشكل واضح ، زاد من تقديم الهدايا لها، اصبح ينتهز الفرص ليظل بجوارها كما في بداية زواجهما ، لكن كان هناك وسواس يغالبه كلما نظر في عينيها ، هل يخبرها بما يعرفه ويكتمه في صدره منذ مدة أم يظل الوضع كما هو.

مرت شهور منذ عرف النتيجة الصادمة للفحوصات ، هذه المدة جعلته يقلل من اختلاطه بالأخرين لكنها قربته أكثر وأكثر من (أمل) وبات حريصا علي مشاركتها تفاصيل يومها ، كثيرا ما يختار لها ما تلبسه بنفسه ، كثيرا ما يمر عليها في نهاية فترة دوامها ويصحبها في رحلة نيلية كما يعشق.

وفي أحد هذه الرحلات علي ظهر المطعم العائم الفاخر الذي اعتاد ارتياده الزوجان الشابان ، بعدما تناولا طعامهما وقفا علي حافة الشرفة لمشاهدة منظر النهر الخالد ومن خلفهما باند شرقي يعزف مقطع من أغنية أم كلثوم الشهيرة انت عمري والتي لحنها موسيقار الاجيال مُحَمَّد عبد الوهاب ، كان الجو رومنسي بدرجة كبيرة ويدفعك للتأمل ، لكن (أمل) راحت تراقب زوجها الذي شرد قليلا وهو ينظر أمامه لمجري النهر وبين لحظة وأخري يسحب نفسا من سيجارته الفاخرة الرفيعة دون أن ينطق ، فقررت هي تحريك المياه الساكنة وقالت:

— ماذا بك يا (جلال)؟

نظر لها وقال:

— لا شيء

قالت:

– لا ، هناك شيئاً ما يحدث .. أنا اعرفك جيداً يا (جلال) وفقط اريد أن اطمئن.

قال جلال مبتسماً:

– صدقيني لا شيء يدعوك لقلقك .. اطمئني يا حبيبتي .. ربما بعض الأمور المتعلقة بالعمل تشغل بالي هذه الأيام.

صمتت وفهمت أنها لن تخرج منه بشيء ، معرفتها بشخصية (جلال) وطبيعتها كأنثى تصرخ بأن هناك أمر ما ، فما الذي يشغل باله هكذا ؟

سرحت في أفكارها وهي تشاهد النيل العظيم ، انها تتحرق لتكون أم ، لقد أصبحت في موضع تحسدها عليه الكثيرات من بنات جيلها ، زوجة لرجل ذو مكانة كبيرة رغم صغر سنه ، تعمل في أحدي كبريات شركات تطوير المستحضرات الطبية في الشرق الأوسط ، تسكن في فيلا رائعة بحي راق ولديها سيارة حديثة أنيقة ، لكنها لا تملك طفل أو طفلة ، غريزة الأمومة تصارعها في كل يوم ، صحيح أنها تقضي معظم وقتها في العمل سواء في الشركة أو في المعمل الصغير في الفيلا لكنها ما إن تضع رأسها علي وسادتها حتي يبدأ الصراع.

دائما ما تحاصرها والدتها و (مها) بنفس السؤال النسائي "ألم يحدث شيئا بعد؟" والحاحهما المستمر بنفس السؤال ، خاصة مع مرور الايام والشهور وقد اكتمل العام الثاني لزواجها من (جلال).

حقيقة الأمر هي تخشي من الكلام في الأمر معه ، تخشي أن يثور في وجهها ويعنفها إن طلبت منه إجراء الفحص والتحليل المطلوبين ، دائما تقاوم رغبة في فتح الموضوع معه خشية موجة غضبه المتوقعة ، فهو كأي رجل شرقي يرى أن عدم الانجاب فيه انتقاص لرجولته أو بالأحرى ذكورته ، وهي تظن أن أول ما سيقوله (جلال) بأنها هي السبب في عدم الإنجاب وستبدأ فصلا مريرا من فصول الحياة بينهما ، لذا هي تظن أن عليها الصمت والكتمان ، فيا ترى هل ستتمكن من كتمان الرغبة والغريزة والفطرة الطبيعية في صدرها دون بوح ؟

وإن استطاعت الكتمان ، فإلى متى هذا الصمت؟

سيأتي يوماً ما تنفتح فيه فوهة البركان وتنطلق الحمم والشرارات في كل مكان ، وتخشي أن تحرق تلك الحمم حياتها وبيتها للأبد.

وبمرور الوقت بات (مُحَمَّد) علي يقين من تعمد أخيه الأصغر الابتعاد وتحاشي الحديث معه ، كان يدرك أن ما قاله لأخيه منذ شهور هو السبب الحقيقي في فتور العلاقة بينهما ، كان (مُحَمَّد) يعتبر (جلال) ابنا وليس أخاً له ، ودائماً يحرص علي مصلحته ونجاحه ، كان يشعر بأن طيش أخيه قبل الزواج ونزواته المتوالية لن تمر مرور الكرام ، كان دائما ما يدعو الله سبحانه وتعالي لهداية أخيه الشاب الجامح ، لم ييأس يوما من الدعاء له ، وعندما صارحه (جلال) أنه قد اقتنع بنصيحته ويفكر في الزواج شعر بأن الله استجاب لدعائه وغفر له سوابق أفعاله ، لكن بعد كل هذا الوقت من الزواج ولم يحدث الانجاب عادت له مخاوفه من أن غضب الله سبحانه وتعالي قد أحاط بأخيه ، لذا شعر أن من واجبه مواجهة (جلال) ومصارحته بما في صدره وقد كان ما كان.

ذات ليلة جلس (جلال) و (أمل) علي المقعد الوثير أمام شاشة التلفاز الكبيرة يشاهدا فيلما من كلاسيكيات السينما المصرية ، فيلم الحفيد ، كانت (أمل) تضع رأسها علي صدر (جلال) الذي احاط كتفها بذراعه.

بين دقيقة وأخري كان (جلال) يحتضن كف زوجته ويقبله برقة ، أحداث الفيلم كانت تشعل في داخله النار من جديد ، وفي عقله كان تعبير النار أقل دقة في وصف الحالة ، ربما كان لفظ الجحيم مناسبا لما في عقله ، وبين ذراعيه كانت (أمل) هي الأخرى تأن في صمت ، إنها تشتاق لطفل ، لقد بلغ صبرها مداه ، غاصت في بحر افكارها حتي انسابت من عينها دمعة متمردة أبت أن تظل حبيسة جفنيها وانطلقت غاضبة ، فمسحتها بتلقائية وعفوية ، فاعتدل (جلال) قائلا:

– هل تبكين يا (أمل)؟

حاولت ان تبتسم وهي تقول:

– لقد تأثرت قليلا بأحداث الفيلم.

لم يقنعه جوابها وهز رأسه معلنا اعتراضه وسألها:

– أخبريني بالحقيقة ماذا هناك ؟

وجدتها فرصة سانحة لتخرج ما تحمله في صدرها ، فاعتدلت لتواجه (جلال) وجهت له السؤال التي تتمني اطلاقة من فترة طويلة:

– ألم ترى أننا تأخرنا في انجاب طفل؟

بدوره (جلال) أدرك أن وقت المواجهة قد حان ، صمت للحظات يحاول ايجاد ما يقوله ، هل يخبرها بالحقيقة أم لا ؟ استمر الصمت بينهما فبادرته مرة أخري:

– أجبني يا (جلال) ألا تريد أن تصبح أباً؟ إنني اتحرق شوقا لأكون أم.

قال :

– أنت لا تتصوري حجم رغبتي في أن يكون لي ولد يا (أمل).

قالت بسرعة :

– إذن وجب علينا التصرف حيال الأمر وعلينا إجراء بعض الفحوصات .

انعقد حاجباه وبادرها بنظره حادة قائلا :

– ما قصدك بالضبط ؟

قالت بسرعة :

– اهدئ قليلا ولا داعي للغضب ، كل إنسان معرض لأشياء كثيرة علي مختلف الأصعدة وعندما يصاب المرء بشيء فعليه الاطمئنان.

ازداد انعقاد حاجباه وسألها بغضب فطري:

– الاطمئنان علي ماذا ؟

ابتسمت وقالت بهدوء:

– الاطمئنان علي الصحة الانجابية لكلينا .

وجد في اجابتها مخرجا مؤقتاً ، فقال متسائلا:

– تريدينا أن نجري فحوصات طبية . أليس كذلك؟

قالت بشيء من الحماس :

– بلى ، حتى أنني قمت بذلك بالفعل.

قالتها وقامت مسرعة وذهبت لخرج شيئا ما من المكتبة الموجودة في أحد الأركان ، ولم تلاحظ اتساع عينا (جلال) الذي فهم ما ستحضره زوجته ووجد نفسه محاصر.

عادت أمل وناولته ملفا يحمل أسم وشعار أحد أشهر المراكز الطبية في مصر وجلست بجواره مرة أخرى ، تناول (جلال) الملف وتصنع عدم الفهم وهو يسأل:

– ما هذا يا (أمل) ؟

قالت بحماس واضح:

– هذه نتيجة الفحص الذي قمت به منذ فترة يا حبيبي .. كنت أريد أن اطمئن أنني بخير كي أُفرحك.

فتح (جلال) الملف ووقع عينه علي تاريخ إجراء الفحص ، واتسعت عيناه بدهشة بالغة فقد كان التاريخ بعد اجرائه هو للفحص بأسبوع واحد فقط وقال بعفوية :

– غير معقول هذا التاريخ!

قالت (أمل) مندهشة :

– ماذا تقصد ؟ ما الذي يعبر عنه هذا التاريخ؟

ارتبك قليلا قبل أن يقول:

– أقصد أن التاريخ قديم يا (أمل) فلماذا لم تخبريني وقتها؟

ابتسمت وقد ارتاحت قليلا لردة فعل (جلال) وقالت:

– كما قلت لك أردت الاطمئنان علي حالتي وعندما تأكدت والحمد لله لم يعد هناك ما يدعو لإزعاجك خاصة أنك في هذا الوقت كنت مشغول وشارد الذهن معظم الوقت ولم أرغب بإزعاج يا حبيبي.

أردك أنه لم يعد يملك أي فرصه للهرب من المواجهة ، نظر إليها بحيرة ، ماذا سيقول الآن ؟ لقد أخبرته بطريقة غير مباشرة أنها فعلت ما عليها وحان دوره هو للقيام بالفحص ، وهي لا تدرك أنه سبقها بأسبوع واحد فقط ، لكن نتيجته مختلفة كلية.

لم ينطق بكلمة وظل يحدق في عينيها مباشرة ، فلاحظت حالته وسألته بقلق :

– ماذا بك يا حبيبي ؟

صمت لثواني قبل أن يقول:

– الآن عليّ القيام بالتحاليل . أليس كذلك ؟

اقتربت منه بشده حتي شعر بأنفاسها علي وجهه واشتم رائحة عطرها وهي تقول:

– أنا أعرف أنك بخير يا حبيبي لكن ما المانع من التأكد عن طريق متخصص ؟

احتضنها بشده ، كان يحاول تجنب نظراتها وهمس في أذنها :

– سأخبرك بشيء يا (أمل)

ضمته أكثر لصدرها وقالت:

– قل يا حبيبي

استجمع شجاعته وسحب نفسا عميقاً ليسيطر على انفعاله وقال:

- لقد قمت بالفحص بالفعل.

تراجعت مبتعدة عنه قليلا لتراه وعلى ملامحها دهشة كبيرة وهي تكرر كلامه:

– لقد قمت بالفحص بالفعل ؟!

قام من جلسته وتحرك قائلاً:

– نعم يا (أمل) لم يعد هناك داعٍ من إخفاء الأمر .. لقد قمت بالفحص قبلك بأسبوع واحد فقط.

زادت دهشتها وهي تغمغم بقلق :

– قبلي بأسبوع ؟!

أومأ برأسه بالإيجاب ثم دام الصمت للحظة قبل أن تقوم وتتجه نحوه وتتعلق في رقبته ناظرة مباشرة إلي عينيه وتقول:

– ولماذا لم تخبرني كل هذه المدة ؟

قال:

– لم أكن لأستطيع .

تساءلت:

– ولم؟

صمت قليلاً محاولا استجماع قوته وشجاعته ليقول:

– النتائج جاءت غير جيدة يا (أمل).

حلت ذراعيها من حول عنقه ونظرة في عينيه مباشرة ، هذه المرة لم يحاول تجنب النظر في عينيها ، ووجد أن لغة العيون أفضل في مثل هذا الموقف ، ويبدو أن لغة العيون بين المحبين لا تخطئ أبداً.

فهمت (أمل) ما يعجز (جلال) عن البوح به ، فهمت سر تغيره الشهور الماضية ، فهمت لم اقترب منها متوددا ، فهمت شروده الدائم ، وفهمت أنه لن يكون هناك طفل ...

وهنا هاجت كل الدموع المحبوسة خلف جفنيها وانطلقوا في ثورة عارمة ليغرقوا خديها بنار اللوعة والألم ، ضمها (جلال) لصدرة بقوة ولم يحاول حرمان دموعه من حقها في الخروج من سجن عينيه وتركها تنساب ربما لأول مرة في حياته كلها ، كان يخرج مع دموعه الحمل الثقيل الذي ارهق صدره بحمله كل تلك الفترة ، في حين كانت دموع (أمل) يخرج معها الأمل ... الأمل في أن تكون أم في يوم من الأيام.

****

لم تعد الأمور كما كانت بين الزوجين الشابين ، (أمل) تغالب حزنها الذي اثقلها حمله ، (جلال) يشعر بأن رجولته منقوصة ، دائما ما يفكر ويبحث عن حل ما ، لكنه لا يجد ما يبحث عنه ، لقد أعطي التقرير الخاص به لـ(أمل) والتي منذ رأت نتائج الفحص أصبحت واحدة أخرى ، ذهب عنها الفرح

والابتسام ، إنها لتبدو أكبر من عمرها الحقيقي ، الغريب أنها أخفت الأمر عن أمها وعن الجميع دون طلب من (جلال) .

مرت عليهما الايام ثقيلة الايقاع ، حديث العيون هو الغالب بينهما ، الصمت ايضا لغة بليغة يستخدمها كلاهما ، وذات يوم عندما جمعتهما طاولة الطعام قالت (أمل):

– أريد منك شيئاً يا (جلال)

ترك الطعام ونظر إليها قائلاً:

– أي شيء يا (أمل) فقط أشيري بإصبع وعليّ التلبية فوراً.

قالت :

– لا أقصد أن تحضر لي شيء بعينه وإنما أريد أن نعقد اتفاق .

تساءل:

– أي اتفاق هو ؟

قالت:

– أن يظل وضوع الفحوصات ونتيجتها سرنا الصغير ولا يعلمه أحد سوانا علي الإطلاق .

لم يجب (جلال) فأخذت نفسا عميقا لتكمل :

– أنا أعلم أنها إرادة الله سبحانه وتعالي ولا يمكننا تغير القدر ولكن هل تعجبك حياتنا هذه الأيام ؟ أنا لا أريد أن نصبح غرباء تحت سقف واحد وعلينا تقبل الأمر واكمال حياتنا لعل الله فاعل أمرا.

كم هي رائعة حقاً ، لقد أذابت جبل من الجليد أكبر من ذاك الذي أغرق تايتانيك ، يا لها من امرأة ... قالها (جلال) في أعماقه قبل أن ينطق قائلا:

– معك حق يا حبيبتي ... لكني لا أكل في البحث عن حل.

ابتسمت برقة ومدت يدها ووضعتها فوق يده وقالت بحنان:

– هذه أول مرة تقول فيها يا حبيبتي منذ اسبوع كامل.

أمسك كفها وقبله برقة وقال:

– لن أدخر جهدا في البحث عن مخرج يا حبيبتي.

لم تفارقها ابتسامتها وهي تقول:

– أي بحث يا حبيبي ؟! إنها إرادة الله عز وجل .. وعلينا الصبر والاحتساب لعل الله يبدلنا خيراً.

كان كلامها كافيا له ليسترد روحه المفقودة وقال:

– طبعا يا حبيبتي أنا أعرف تماماً أنها إرادة الله ..لكن علينا السعي. أليس كذلك؟

قالت:

– بلي ، لكن سامحني فالأمر لا علاج له.

بادرها وقال:

– ربما لا علاج حتي الآن لكن من يدري ماذا يحدث غداً.

قالت :

– حقا من يدري ماذا يحدث غداً.

كان (جلال) يشعر بأن هناك وسيلة ما للخروج من هذا الوضع ، لكن ما هي ؟

هو لا يعلم....

حتي الآن.

****

تستطيع أن ترى الدفعة المعنوية التي تسببت فيها كلمات (أمل) مع (جلال) ، شعوره بالعجز والنقص قل لحد ما ، بدء يعيد اندماجه مع الاخرين ، عاد للانشغال بالعمل كما كان من قبل وبدء يعود لحضور لجلسات مجلس الشعب وإن كان هذا الحضور شحيح بعض الشيء ، جعل من مكتبه مقر لخدمة أهل الدائرة حتي ولو بشكل شخصي ، بدا أكثر اهتماماً بالفقراء وذوي الدخل الضعيف ، كان هناك شيء بداخله يخبره أن فعل الخير بلا مقابل سيجعله يجد ضالته قريباً ، لكن ما لم يعود كما كان من قبل هو علاقته بـ(مُحَمَّد) ، صحيح أن العلاقة بينهما تحسنت كثيراً لكن (جلال) ظل لديه هذا الشعور كلما رأي أخوه ، الشعور بالحرمان ، هذا الشعور الذي لم يختبره في حياته علي الاطلاق ، منذ نعومة اظافره يمكنه تلبية رغباته وشهواته وطلباته بأقل جهد ودون عناء ، الشيء الوحيد العاجز عن الوصول إليه هو الأبن ، ولكن (مُحَمَّد) لديه هذا الأبن ، للمرة الأولي يشعر بتفوق أخيه ، وهو يمقت هذا الشعور ، ويوما بعد يوم كانت الكراهية والحقد والحسد يتوغلان بداخله تجاه أخيه الوحيد ، حتي (جلال) الصغير ابن أخيه لم يعد يحبه كذي قبل ، بل أصبح يكره النظر في وجهه الطفولي.

علي النقيض تجد (أمل) ، التي وجدت في (جلال) الصغير ضالتها ، ابنها الذي لن تلده ابداً ، وتعودت علي دعوة (مها) وصغيرها كثيراً لبيتها ، كان (مُحَمَّد) سعيد جدا بهذه الدعوات التي جعلت شعوره بأن أخيه عاد كما كان معه يتزايد ويتأكد ، و(جلال) لم يعارض زوجته فهو يحاول إرضائها بكل وسيلة ممكنه ومستعد لتقبل أي فعل تقوم به لتكون سعيدة بعد وقوفها بجانبه بهذا الشكل في محنته ، بل قل في أزمة عمره كله.

كانت (أمل) تحاول كتمان مرارتها عن أعين الجميع ، ونجحت في هذا بشكل كبير ، خصوصا عن والدتها و عن (مها) اللتان تحاصرانها بالسؤال القاتل عن تأخر الحمل وهداها تفكيرها لتخبر الجميع بأنها وزوجها قررا

تأجيل موضوع الحمل لظروف عملها في الوقت الحالي وللاستمتاع بزواجهما قبل الانشغال بالأولاد ، طريقتها في التعامل بهذا الشأن جعل الجميع يصدق كذبتها ويقتنعوا بأنها و (جلال) متعمدان تأخير الحمل.

كل هذا جعل العاصفة تهدأ من علي السطح ، لكن في الداخل فكل من (جلال) و (أمل) به ما يشتعل.

(جلال) دائم التردد علي المختصين في الذكورة ولكن النتيجة واحدة ، يبحث عن علاج لحالته عبر شبكة الانترنت ولا يجد ضالته.

(أمل) لا يمكنها قتل غريزة الأمومة وشعور الحرمان ينمو في الظل بداخل قلبها ، لكنها لا تملك شيء.

****

دخل (جلال) مكتبه ليجد (مروة) جالسة علي مكتبها تتحدث عبر هاتفها المحمول لشخص ما فحياها وهم بدخول حجرة مكتبة لكنه توقف لحظة عندما سمعها تقول لمن تتحدث معه :

– هذا غير معقول ؟! إذن فهذا الرجل لديه علاج لكل الأمراض.

هذه العبارة جعلته يتسمر في مكانه أمام باب مكتبه لثوان ، لم تلاحظ (مروة) أي شيء ، فتح الحجرة ودخل وأغلق بابها خلفه وجلس خلف المكتب الأنيق وأشعل شاشة التلفاز عن طريق جهاز التحكم عن بعد إلي جواره ، كعادة الكثير من المصريين يكون التليفزيون في بعض الأحيان جهاز يبث موسيقي تصويرية لأي شخص غارق في أمر ما ، فـ(جلال) لم يلاحظ حتي ما هي القناة الفضائية التي أمامه ، كان مشدود لقول (مروة) ، عقله الباطن يريد التعلق بهذا الأمل ، هناك من يعالج كل الأمراض ، بينما عقله الواعي يستهزئ بهذه الأقاويل ، صحيح أن لكل داء دواء حتي وإن كان هذا الدواء مجهولاً للعامة ، لكن من هو هذا الرجل الذي لم تصل شهرته مداها رغم امتلاكه جميع العلاجات ، إن كان صحيحا فلابد أن يكون أشهر من هرم خوفو الأكبر وبرج إيفل وتمثال الحرية ، ربما يكون هذا الرجل من الدجالين والمشعوذين الذين يمكنهم خداع البسطاء وخصوصا النساء لسحب الأموال منهم قبل أن يلوذوا بالفرار ،

ما هذا الذي يفكر به ؟ هل سيسير في هذا الطريق ويصبح من رواد الحضرات وأصحاب المقام والخطوة وما شابه؟

انتزع نفسه من هذه أفكاره وضغط زر الاستدعاء ولم تمر لحظات حتي دخلت (مروة) قائلة:

– كيف يمكنني أن أخدمك يا (جلال) بك؟

أشار لها لتجلس قائلا :

– اغلقي الباب واجلسي يا (مروة).

فعلت ما قاله وجلست علي المقعد أمامه متسائلة:

– ماذا هناك ؟

سألها :

– مع من كنتِ تتحدثين عندما دخلت للمكتب؟

ظهر الاستغراب والاستنكار علي ملامحها وقالت بشيء من الارتباك:

– إحدى صديقاتي. لم هذا السؤال؟

شعر بأنه لم يحسن السؤال فقال:

– لم أقصد التطفل عليكِ ولا التدخل في شؤونك .. لكني سمعتك تتحدثين عن رجل يعالج الناس أو شيء من هذا القبيل وأردت الاطمئنان عليكِ .. إذا كنتِ تشعرين بأي شيء فاذهبي لأي مستشفى تختاريها ولا تقلقي من ناحية المصروفات.

نجحت مناورته بكل تأكيد ، فقد انفتح الكنز المسمى فم المرأة وقالت ضاحكة:

– أشكرك يا (جلال) بك والحمد لله أنا بخير .. إنها صديقتي تلك فابنتها الصغيرة لديها تأخر في النطق كما أنها تعاني من ضعف السمع لحد ما .. وقد نصحتها صديقة مشتركة بيننا بالذهاب إلي المستوصف الطبي بمسجد (.....) بالمهندسين حيث أن هناك شيخاً يمكنه علاج مثل هذه الحلات وهناك نماذج حققت نجاح بالفعل.

صمتت لتأخذ نفساً لتكمل قائلة :

– إنهم يقولون أن هذا الشيخ عالج حالات كثيرة ومتعددة منها ضعف السمع وضعف البصر والآم العظام وخشونة المفاصل وتأخر نمو الأطفال ويعالج ضعف مناعة الاطفال والصداع النصفي وينظم نسبة السكر في الدم ويضبط أيضا ضغط الدم ويعالج أيضا الصدفية والعقم وأمراض الكبد وأمراض الكلي .. إنه هدية من السماء .. ويفعل ذلك بأجر رمزي فقط من أجل رواتب العاملين معه والخامات التي يحضرها.

طبعاً لم يهم (جلال) في كل ما قالته سوي كلمة "العقم" فهذا مبتغاه ، حاول اخراج المزيد من المعلومات فقال:

– لو ما تقوليه صحيح فلابد أن هذا الرجل ساحر.

قالت بحماس :

– لا ساحر ولا دجال .. إنه شيخ وقور .. صديقتي تذهب له بانتظام منذ شهرين تقريباً وأخبرتني بأن ابنتها قد تحسن نطقها كثيراً كما أصبحت تسمع دون ارتداء سماعات الأذن .. وتقول بأن الناس في هذا المستوصف يدعون للشيخ بالصحة ودوام العافية لما فعله معهم وكلهم في تحسن مستمر .. المشكلة أن العلاج يستغرق وقت طويل بعض الشيء كما قالت صديقتي.

سألها:

– وما تخصص هذا الرجل أو من أتى بخبراته هذه؟

قالت :

– من القرآن ! فهو يستخدم النحل وعسل النحل الطبيعي في العلاج فقط.

ضحك (جلال) وقال :

– يستخدم النحل! يمكن أن أفهم استخدام العسل مثلا ، لكن كيف يستخدم النحل ؟

قالت :

– يقوم بإعطاء المريض لسعات من النحل في أماكن محددة في الجسم حسب كل حالة.

ضحك (جلال) مرة أخري وقال:

– إذن فهو يضع المريض المسكين في منحل ليخرج ذلك المسكين وقد قام النحل بلسعه وتورم جسده بالكامل .. هل يعقل أن يكون علاجاً؟

قالت باستنكار :

– ومن قال هذا ؟! إنه يمسك بالنحلة باستخدام أداه تشبه الملقط ويضعها علي نقطة محددة في الجسم حسب كل حالة كما قلت وعندما تلسع النحلة المريض في المكان المنشود فإن ذنب النحلة ينفصل عن جسدها وسرعان ما تموت بعد أن تكون قد أفرغت ما في بطنها داخل جسد المريض أي أن الأمر يشابه تماماً الحقن بالمحقن.

قال:

– يبدو أنك مقتنعة تمام الاقتناع بهذا الأمر.

قالت:

– لو سمعت صديقتي وكلامها عن تحسن حالة ابنتها بشكل ملفت في شهرين فقط ومدي فرحتها الطاغية لما وصلت له البنت لصدقت الأمر .. إن صديقتي تبدو كميت عادت روحه لجسده فجأة.

قال (جلال) لينهي هذا الحوار بعد ما حصل علي مراده :

– المهم أني اطمأننت عليكِ وأنكِ وأسرتك بخير وحمدا لله علي سلامة ابنت صديقتك تلك.

فهمت فوراً أن الحوار انتهي فقامت لتخرج قائله:

– شكراً لاهتمامك يا (جلال) بك.

خرجت وأغلقت الباب تاركة (جلال) في الداخل وفي عقله تترد كلماتها " إن صديقتي تبدو كميت عادت روحه لجسده فجأة"

هل ما قالته (مروة) عن صديقتها بحق هذا الرجل صحيح ؟

هل يعالج الرجل العقم حقاً؟

الأهم من هذا كله هل يمكن أن يذهب له بنفسه؟

هذا هو السؤال المهم ..... والحاسم.

****

الفصل السابع

أوقف (جلال) سيارته أمام مسجد (.....) بالمهندسين الذي قالت عنه (مروة) ، ترجل من السيارة ودار حول المسجد باحثا عن المستوصف الطبي الملحق بالمسجد ، لم يكن من الصعب أن يخطئه بهذه اللافتة الكبيرة المضيئة ، بوابة كبيرة من الحديد المشغول مفتوحة علي مصراعيها وواضح فعلا الزحام بالداخل.

وقف في مكانه مترددا في الدخول ، لا تمضي دقيقة واحدة دون أن يدخل بعض الاشخاص ، رجال ونساء وأطفال وشباب وشيوخ ، يبدو أن هذا الرجل له شهرة كبيرة بالفعل.

حائرا بين الدخول والعودة من حيث أتى ، تفاجئ بفتاة شابة كانت علي وشك الدخول للمستوصف قبل أن تقف وتنظر له مباشرة ، يغلفها الوقار بذلك النقاب الذي يحفظها من العيون ، ثم تحركت نحوه مباشرة وما إن وصلته حتي قالت:

– هل تبحث عن مركز الشيخ (حسن)؟

أومأ (جلال) برأسه علامة الإيجاب دونما كلام فتابعت الفتاة وهي تشير بيدها نحو المركز:

– تفضل بالدخول .. أنا مساعدة الشيخ وهو علي وشك الوصول بإذن الله لكنك ستنتظر كثيرا من الوقت.

تساءل (جلال):

– ولم سأنتظر كثيرا من الوقت؟

قالت :

- هذه هي المرة الأولى التي أراك فيها هنا .. أنا متأكدة من ذلك .. وبالتالي فستكون في أخر قائمة المنتظرين.

تحركا تجاه المركز وهو يقول:

– يمكنني أن أقوم بكشف مستعجل أليس كذلك؟!

التفتت له قائلة:

– فالحقيقة لا يوجد لدينا كشف عادة ومستعجل الجميع يأخذون دورا حسب ترتيب وصولهم للمركز .. هذا ببساطة لأننا لا نأخذ مقابل للكشف.

قال مندهشاً:

– هل الكشف مجاني؟

أومأت برأسها دون أن تنطق ، كانا وصلا لبوابة المركز فوقف (جلال) وقال:

– اخبريني ، هل يقوم الشيخ بزيارات خارجية ؟

قالت :

– نعم ، فبعض الحلات لا يمكنها الحركة ويذهب الشيخ بنفسه لزيارتهم.

ابتسم وقال:

– إذن فلتعطني رقم تليفون الشيخ لأكلمه شخصياً فأنا أحتاجه لحاله لا يمكنها المجيء إلي هنا.

قالت الفتاة:

– حسناً .. لكن اعطني أنت اسم الحالة وعنوانها وما شكواها بالضبط لأسجلها في جدول زيارات الشيخ الخارجية في أقرب وقت.

قال :

– لا داعي فيجب أن اتحدث شخصياً مع الشيخ .. إنها حالة خاصة ومعقدة بعض الشيء ويجب أن أتفاهم مع الرجل بنفسي.

هزت الفتاة رأسها وقالت :

– لا مانع ، إليك الرقم.

ثم أملته الرقم وقام هو بتسجيله علي هاتفه ثم عاد إلي سيارته، ركبها وانطلق بها نحو مصدر الهامه ، نحو مجري النيل الخصيب ، فهو لايزال متردد جداً تجاه أمر هذا الشيخ، هل يجرب ؟ ما المانع من التجربة ؟ لن يخسر شيئا علي الاطلاق شريطة السرية التامة ، فأمر كهذا قد يضر بصورته كرجل برلماني أصبح له الكثير من المتابعين والمؤيدين ، ناهيك عن كونه بالأساس رجل أعمال ممن يشار لهم بالبنان ، هو يحتاج لحسم الأمر سريعاً، فربما يجد ضالته عند هذا الرجل ...

ربما يجد ضالته بعيدا عن كتب الطب المكتوبة باللاتينية أو الانجليزية ، في هذه الأيام أصبح مصطلح الطب البديل شائعا ورائجاً ، العلاج بالإبر الصينية أثبت نجاح في بعض الأمور، وهناك الحجامة والعلاج بالأعشاب ، لكنها المرة الأولي التي يسمع فيها عن العلاج بالنحل.

وصل لذاك الذي شابت علي أرضِهِ الليالي وضيعتْ عُمرَها الجبالُ ، وصل للنهر الخالد.

لم يضيع (جلال) الكثير من الوقت ، عاد لمكتبه بعد ما حسم قراره علي ضفاف النهر ، جلس في حجرته وامسكه بتليفونه المحمول وطلب رقم الشيخ (حسن المهدي) وانتظر لحظات حتي سمع صوت مجيبه علي الجانب الأخر ، لم تستغرق المكالمة الوقت الكثير ، ووجد (جلال) أن الشيخ متفهماً لوضعه جيداً ، بل

تم ترتيب موعد بينهما في اليوم التالي مباشرة وفي مكتب (جلال) ، لم يتبقى سوي (مروة) ، لابد أن يخبرها بمدي سرية الأمر وعدم بوحها به أمام أي شخص .... خصوصاً (أمل).

دخلت (مروة) بصحبة الشيخ (حسن) لداخل مكتب (جلال) الذي قام مرحبا بالرجل الذي تبدو عليه ملامح الوقار ولحيته المهذبة وبدلته الأنيقة كحلية اللون ونظارته الطبية فكان أشبه بأحد أساتذة الجامعة ، جلس (جلال) و (حسن) وأشار بيده لـ(مروة) التي خرجت فورا مغلقةً خلفها الباب لتترك لهما الخصوصية المطلوبة.

لم يهتم (جلال) كثيرا بأي مقدمات وأخرج الملف الذي يحتوي علي نتائج التحليل والفحص الذي اجراه مسبقاً وقدمها لـ(حسن) قائلاً:

– صدقني يا شيخ (حسن) .. إن طلبك مطالعة نتيجة التحليل جعلني أشعر ببعض الثقة تجاه موضوع العلاج بالنحل هذا .. فبمنتهي الصدق لدي الكثير من الشكوك.

تناول(حسن) الملف وقال وهو يفتحه وينظر ما به:

– معك الحق بالطبع خاصة أن الأمر غير ذائع الصيت بعد .. لكن المهم النتائج.

تفحص الرجل ما أمامه من أوراق بتمهل ، كان واضحاً أنه يفهم ما جاء بالتقرير ، وهو ما أدهش (جلال) ، فقد كان يتوقع رجلاً أشعث اللحية يرتدي جلباب أبيض وعلي كتفيه عباءة سوداء وبيده مسبحة ما ، لكنه فوجئ برجل يناقض فكرته تماماً.

انتزعه (حسن) من أفكاره عندما قال:

– ما أراه هنا أن الحالة هي العقم يا سيد (جلال) وليس صعوبة في الانجاب كما قلت لي في المكالمة الهاتفية.

عقد (جلال) حاجباه قائلاً:

– هل أفهم من كلامك أن الأمر منتهي.

أعاد (حسن) الملف فوق المكتب أمام (جلال) مباشرة وهو يقول:

– لا تيأس من رحمة الله يا ولدي .. إن الأمر كله بيد الله عز وجل وهو الذي يقول للشيء كن فيكون .

قال (جلال):

– أرجوك يا شيخنا حدد أجابتك فكلامك محير بعض الشيء .. هل هناك أمل أم لا ؟

ابتسم (حسن) قائلاً:

– قلت لك لا تيأس من رحمة الله .. سنقوم بعمل جلساتنا و نرجوا من الله التحسن القريب .. ببساطة فأنت غير قادر علي انتاج حيوانات منوية حية حتي تكن لك قدرة علي الانجاب ولو تمكنا من انتاج حيوانات حية حتي لو ضعيفة فسيكون الانجاب ممكناً حتي لو عن طريق الحقن المجهري.

سأله (جلال):

– قل لي ما هي مهنتك الأصلية يا شيخ ؟

ابتسم الرجل وقد فهم ما يفكر به (جلال) فأجابه:

– إنني طبيب باطني يا ولدي ، والعلاج بالنحل مهنة أمارسها مع الطب العادي الذي يعرفه الجميع مع الحالات التي تحتاج لعلاج من نوع خاص.

شعر (جلال) بالراحة لكلام الشيخ ودب الأمل في صدره مرة أخري واعتدل في جلسته وقال :

– أهم شيء أن تكون هذه الجلسات هنا في مكتبي ويظل الأمر سراً كما اتفقنا.

(حسن):

– لا تقلق فلا يوجد طبيب يبوح بسر مريضه.

(جلال):

– لكن أخبرني ماذا سنفعل بالضبط؟

(حسن):

– سنقوم بتحفير جهازك التناسلي بلسع النحلات الملكة في محاولة لإنتاج الحيوانات المنوية الحية .. ومع تناول أكلات معينة طوال فترة العلاج التي ربما لن تقل عن ثلاثة شهور.

(جلال) :

– إذن لنبدأ من الغد ولن نختلف علي المقابل المالي.

قالها وهو يقف معلناً انتهاء المقابلة ، فقام (حسن) وتصافحا ، ثم اصطحبه (جلال) حتي غادر المكتب ، فقالت (مروة) :

– هل من الممكن أن يعطيني الشيخ بعض الجلسات أنا الأخرى؟

ضحك (جلال) وقال:

– ومما تشتكين يا (مروة)؟! يا لك من طامعة.

****

مضت فترة الشهور الثلاثة كما حددها الشيخ (حسن) ، ومع الجلسة الأخيرة طلب الشيخ من (جلال) إعادة الفحص ، وأسرع (جلال) يعيد الفحص وكله أمل ، كان هذه المرة يشعر بأن الأيام التي تمر عليه منتظراً النتيجة وكأنها سنوات طوال ، كان يشعر بأن هناك تحسن في صحته بشكل عام ، أصبح أكثر نشاطا ، وهو ما جعله ممتلئ بالأمل.

وانتهت فترة الانتظار وجاءت النتائج ، بل قل جاءت الصدمة ، لم ينتج ع الجلسات أي تقدم يذكر ، نفس النتيجة السابقة ، هذه المرة كانت الصدمة أكبر ، ويصاحبها شعور بالغضب ، لقد ذهبت محاولته سدى ، تحمل ألم لسعة النحل ثلاث مرات اسبوعيا لمدة ثلاثة شهور كاملة وفي النهاية النتيجة صفر.

ذهب للمكتب ودخل إلي (مروة) وألقي التقرير الحالي أمامها بعنف وهو يصيح في وجهها:

— انظري أيتها العالمة القديرة نتيجة علمك العجيب وشيخك العجيب .. كم كنت مجنوناً عندما صدقت خرافتك اللعينة تلك.

قامت (مروة) مصدومة من خلف مكتبها ، ولم تنظر حتي ناحية التقرير الملقي أمامها وهي تقول:

- اهدئ يا (جلال) بك .. ما الذي أخطأت فيه بالضبط ؟

قال بحدة :

— أتسألين ما الخطأ؟! لقد جعلتني اتحمل تلك النحلات ثلاثة شهور كاملة بلا فائدة .. ستنالين مكافئتك عن هذا الأمر.

صمتت لحظات قبل أن تقول:

— يا سيدي أنا لم أعرض عليك هذا الشيخ .. فإن كنت قد نسيت فاسمح لي بتذكيرك بما حدث .. أنت الذي سمعتني صدفة اتحدث عن الرجل .. أنت الذي أخذ المعلومات وذهب واتفق مع

الشيخ ولست أنا .. أنت من اقتنع من نفسه بكلام الشيخ .. أنا حتي لم أعرف بما دار بينكما.. ورغم كل هذا التزمت بواجبي ولم يعلم أحد بأمر هذه الجلسات .. والأن تهاجمني وتهددني ؟!

ظل (جلال) ينظر لها دون أن ينطق ولم تختفي عنه نظرات الغضب فقالت:

– يا أستاذ (جلال) لقد عملت في هذا المكتب لأكثر من ثلاث سنوات ولم يحدث مني مرة واحدة أن أخطأت في عملي .. وإن كان في رحيلي حل لمشكلتك فسأجمع أغراضي وأرحل الأن.

جلس (جلال) علي أقرب مقعد قابله وألقي رأسه بين كفيه ، ظل علي حالته هذه لخمس دقائق كاملة ، وكانت (مروة) تترقب بحرص ما سيصدر عنه أو ما سيقوله.

رفع (جلال) رأسه ببطء ونظر لـ(مروة) ، وقال وقد هدئت فرائسه:

– معك حق .. لا شأنك لك بما حدث .. أنت الوحيدة بعد (أمل) التي عرفت بما أعانيه ولقد أخفينا ما بي عن الجميع حتي عن (مُحَمَّد) وعن والدي (أمل) .. والأن ضاع أخر أمل تعلقت به.

قام وسار حتى وقف أمام النافذة الكبيرة وأخرج أحدى سجائره الرفيعة وأشعلها ببطيء وسحب منها نفساً قبل أن يقول:

– هل يمكنكِ تخيل الشعور بأن تعيشي حياتك وأنت علي يقين بعدم حصولك علي ولد ؟ هل يمكنك تخيل إحساس أن حياتك ما هي إلا أيام تقضيها في انتظار الموت .. وإن جاءك الموت فسينتهي كل ما يتعلق بك ولن يكون لكِ امتداد في هذه الدنيا .. هل يمكنك أن تتصوري ما أعانيه؟

قامت (مروة) واقتربت منه قائلة:

– منذ أخبرتني بالأمر وأنا أشعر بالألم الذي تعانيه .. وكنت أدعو لك الله بأن يخرجك مما أنت فيه .. لكن من يدري ، المهم ألا تفقد إيمانك بالله فالأمل موجود طالما الحياة مستمرة.

هم بالمغادرة وهو يقول:

– لا تحدثيني عن الأمل مرة أخري .. لقد مات الأمل منذ سويعات عندما تسلمت هذا التقرير على مكتبك.

فتح باب المكتب ولكنه توقف لحظة والتفت إلي (مروة) وقال:

– لقد مات الأمل يا (مروة).

قالها وخرج مغلقا الباب خلفه.

****

هل يمكنك التنقل بين دروب اليأس والمرارة والحسرة والعجز والحرمان؟

إنه سؤال صعب.

لكن رغم صعوبة الاجابة فإن هذا السؤال لا يصف بدقة ما يمر به (جلال) ، فوق كل ما سبق أصبح لديه شعور بالموت ، أو بالأحرى انتظار الموت ، دمره اليأس وغلبه الشرود معظم الوقت ، ولكن بعض من اصراره لم يمت بداخله ، فبين حين وأخر يبحث علي شبكة الانترنت عن علاج لحالته ، يكون متحمسا إلي حد ما في بحثه ، لكنه يعرف النتائج مسبقاً ، حالته لا علاج لها حتي الآن ، و "حتي الآن" هذه هي ما يستمد منها سبب الحياة ، ويطرد فكرة الموت بعض الشيء عن رأسه متمسكاً بـ"حتي الآن".

لم يعد يمكنه اخفاء مرارته عن أحد ، لم يعد يمكنه سجن حزنه بصدره ، لكنه حافظ علي سره ، كان كثيرا ما يفكر في أنه لم يخفي الأمر عن أهله ؟ اجلا أم عاجلا ستظهر الحقيقة ، لكنه لا يمكنه البوح بالأمر الذي يشعر أنه اهانة لرجولته .

ألقي جسده علي سريره في غرفة نومه بالفيلا ، لا يمكنه منع عقله من التفكير طوال الوقت ، لا يمكنه منع روحه من الشعور بالحسرة والحزن ، مرارة الحرمان ترهقه ، رغم كل ذلك لايزال راجيا حدوث المعجزة العلمية التي تعطيه الولد ، كما أن هناك (أمل) ، إنها الركن الذي يلجئ إليه ليحتمي من عواصف الألم والأسي ،إنها أصبحت أكثرا قربا منه ، أكثر لطفا معه ، نهر من الحنان يغمره ولا ينضب نبعه ، ربما اعتبرته ابنا لها ، حتي إنها تدللله كثيراً ، أصبحت (أمل) الشيء الوحيد الذي يمنحه الابتسامة ، مجرد الابتسامة ، وهو أيضا يشعر بها ويعرف أنها تعاني ما يعانيه ، وربما أكثر مما يعانيه ، فهي ليست سبب المشكلة وهي السليمة المعافاة ، لكنها تحملته ببسالة عجيبة ، تحملت ما لا يمكن لأنثى عادية أن تحتمله ، تحملت العيش مع رجل عقيم ، وهي الشابة المقبلة علي الحياة والنجاح ، كم هي رائعة ، كم هي أصيلة حقاً ، كان دائماً يفكر أن الله يعاقبه علي نزواته وطيشه قبل الزواج ، لكن سرعان ما يطرد هذه الفكرة من رأسه ويقول في داخله أن الله أكرمه بزوجة مثل (أمل) ، إن لها نصيباً كبيراً من اسمها ....

أمل.

دخلت (أمل) عليه وهي خارجة من الحمام الملحق بالغرفة وقد اغتسلت بعد عناء يوم أخر مجهد في العمل ، كانت تجفف شعرها بالمنشفة وتفاجأت بوجود (جلال) أمامها ، ابتسمت وقالت:

— متي عدت ؟! لم أشعر بك وأن تدخل.

قال :

— رجعت منذ دقائق يا حبيبتي.

تمددت بجواره تاركة رأسها علي صدره وقالت بدلال:

— ما أروع أن أتفاجئ بك علي الدوام.

احتضنها وضمها بقوة دون أن ينطق ، كانت تشعر به وتمر بما يمر به ، قالت وهي تمسك كفه بيدها الرقيقة:

– أريد أن أطلب منك طلبا وأخشي أن لا تقبل.

قال بسرعة:

– لا تطلبي يا حبيبتي ، بل أؤمريني وعلي التلبية.

قالت:

– اريد أن نقضي معا اجازة صغيرة بعيدا عن الفيلا.

قال متعجباً:

– اجازة !

قالت :

– نعم ، ونحن نحتاجها بشدة ..ونحتاج الابتعاد لعدة ايام عن الفيلا وعن العمل وعن التفكير في أي شيء .. أريد أن نقضي معا بضعة أيام بعيداً عن كل شيء.

شعر (جلال) بأنها علي حق ، هما في حاجة للخروج من هذا الجو بعض الشيء ، فسألها:

– وما هو هذا المكان البعيد الذي ترغبين فالذهاب إليه؟

شعرت بموافقة ضمنية في سؤاله فاعتدلت وجلست متربعة وقالت بحماس:

– ما رأيك في الاقصر أو مرسي مطروح؟

اعتدل (جلال) ورفع ظهره ليستند إلي ظهر السرير وقال:

– بل أنا أفكر في مكان أخر.

ابتسمت بفرح وقالت:

– إذن فقد وافقت .

ألقت نفسها عليه وقبلته علي خده قائلة:

– أشكرك يا حبيبي .. أشكرك بشدة .. كم أحتاج لهذه الرحلة.

لف ذراعه علي كتفها وقبل رأسها برقة وقال :

– ما رأيك في رحلة كرحلة شهر العسل؟

احتضنته بقوة وهي تقول بحنان:

– لا يهم يا حبيبي .. أي مكان تريد .. المهم أن نكون سوية ولا يشغلنا شيء أخر.

في داخلها كان هناك أمل بأن تكون هذه الرحلة بداية جديدة ، ومكاناً لغسل همومها وأحزانها ، بداخلها أمل في الحصول علي بعض من راحة النفس.

بداخلها أمل في تصفية الأجواء التي تحيط بهما.

بداخلها أمل...

كبير.

****

لم يمر اسبوعان حتي كان الزوجان الشابان قد انطلقا إلي أوروبا بالفعل ، كان برنامج الرحلة عبارة عن ثلاثة أيام في اسبانيا وأربعة ايام في ايطاليا وثلاثة أخرى في انجلترا ، ربما كانت هذه الرحلة أجمل وأفضل من رحلتهما في شهر العسل ، كانا يضحكان من القلب ، و (جلال) لا يتوقف عن الدعابات والمرح ، وعندما كانا في ايطاليا فاجئ (جلال) زوجته بمفاجأة رقيقة ، اصطحبها في قارب في مدينة

السحر "فينيسيا" ومعهم فرقة من عازف واحد علي ألة الأوكورديون ومعه مطرب ايطالي يغني لهما ، مرت أيام وليالي الرحلة وحاولا فعلا الاستمتاع بكل ما في الرحلة ، لا ينامان إلا قليلا ، وهذه هي الليلة الأخيرة في لندن وغدا سيعودان مرة أخري لحياتهما .

كانا في مطعم الفندق الذي يقيمان به يتناولان طعام العشاء ، كانت السعادة واضحة علي وجهيهما بشكل لفت انظار الجميع ، كان كل من حولهما يظنهما فعلا في شهر العسل ، قالت (أمل) بسعادة:

– أشكرك يا (جلال) لقد جعلتني اعيش أيام من أسعد أيام حياتي .

قال :

– الشكر لكِ أنتِ .. فهذه فكرتك .. بصراحة إنها أمتع رحلة قمت بها علي الاطلاق حتى إنها أجمل من رحلة شهر العسل.

اومأت برأسها وقالت بفرح:

– فعلا ، هذه أجمل بكثير .

مد يديه وأمسك كفيها برقة وقبلهما بقبلة حانية قبل أن ينظر في عينيها مباشرة ويقول :

– أحبُكِ يا (أمل).

ارتبكت في خجل وتدرج وجهها بحمرة جميلة وقالت:

– الناس تنظر لنا يا (جلال).

ابتسم وتلفت حوله ثم قال:

– أي ناس؟ أنا لا أرى سواكِ.

ثم طبع قبلة جديدة علي يدها ، فقالت وهي تسحب يديها منه بنعومة وخجل ، ضحك وترك يداها وهو يقول مداعباً:

– أنت لا تعرفي الانجليز ، فأحدهم لا يهتم بأمور غيره حتي لو تم قتل من يجاوره فلن يلتفت.

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت:

– إنهم شعب عملي.

قال بسرعة:

– كلا ، الشعب العملي فعلا هو الشعب الألماني والشعب الياباني وربما الصيني أيضا .. أما الإنجليزي فإنهم متمسكين بعادات عتيقة حتي الآن .. تخيلي أنه حتي الأن يفتخرون بذلك العسكري الملكي المسكين ذو السترة الحمراء الشهيرة والذي عليه ألا يلتفت مجرد التفاته صغيرة أو حتي ترمش عينيه بشكل مستمر .. لدرجة أن جميعهم تتيبس فقرات رقابهم في سن مبكرة.

وجدها تنظر أعلي كتفيه وقد ارتفع حاجباها وبدى عليها المفاجأة وقبل أن يلتفت خلفه ليرى ما تنظر إليه ،شعر بيد توضع علي كتفه وسمع صوت مألوف يقول:

– لا تسخر من عادات الانجليز حتى لا تكتسب عداوتهم يا صديقي.

عرف (جلال) صاحب الصوت علي الفور فقام ولف ليرحب بالدكتور (رأفت) وصافحه قائلاً:

– مرحباً يا دكتور (رأفت) يا لها من مفاجأة سعيدة.

صافحه (رأفت) وصافح (أمل) وهو يقول :

– لقد كنت هنا مع صديق لي نتناول العشاء ورأيتكما فودعت صديقي بعد الطعام وجئتكما .. أحقاً هي مفاجأة سعيدة أم أنك تقول في أعماقك لقد أتى الرجل وقطع خلوتنا.

ضحكوا جميعاً وقالت (أمل) بسرعة:

– بالطبع لا يا دكتور .. فأنت مُرحب بك في أي وقت.

قال (رأفت):

– لو كان الأمر كذلك لكنتما أخبرتماني بقدومكما لأقوم بواجب الضيافة لا أن نلتقي صدفة.

ضحك (جلال) وقال:

– المثل يقول "رب صدفة خير من ألف ميعاد" لكن في الحقيقة وقتنا ضيق جدا فلقد وصلنا بالأمس فقط وسنستقل طائرة العودة غدا في المساء.

قالها وهو يفسح مكانا للرجل ليجلس ، فجلسوا و (رأفت) يقول:

– كان هذا أدعى أن تتركوني اقدم لكم برنامجا شيقا في لندن.

قال (جلال) :

– لك الشكر يا دكتور .. أخبرنا عن أحوالك .

قال:

– أخباري جيدة .. فقد انتهيت من بحث كبير وأنا في اجازة هذه الايام.

أضاء شيء ما في عقل (جلال) ولمعت عيناه للحظة لم تمر علي (أمل) ملاحظة هذه اللمعة فقال (جلال):

– إذن فاسمح لنا بدعوتك لتناول الغذاء معنا في الغد ما دمت في اجازة.

أومأ (رأفت) علامة الايجاب وهو يقول:

– لكن بشرط واحد.

تساءلت (أمل) :

– ما هو هذا الشرط يا ترى؟

أشار بيده قائلا:

– أن يكون الطعام علي حسابي أنا.

بادره (جلال) :

– لكننا أصحاب الدعوة واسمح لي .....

قاطعه (رأفت) :

– وأنتما في الأصل ضيفين عليّ .. هل نسيتما أنني من سكان هذا البلد .

قالها وقام يودعهما قائلاً:

– الآن سأترككما لما كنتما تفعلان وغداً سأمر عليكما في الفندق صباحاً لنقضي بعض الوقت معاً.

ثم غمز بعينه لـ(جلال) وقال بصوت خافت:

– أرجوا ألا يزعجك هذا .

ضحك (جلال) وقال :

– على العكس يا دكتور .. فلقائك مصدر سعادة لكلينا.

صافحهما وانطلق وتركهما خلفه فجلسا و(أمل) تقول :

– يا لها من صدفة.

هز (جلال) رأسه وظهرت تلك اللمعة في عينيه مرة أخرى وقال:

– صدقت ، يا لها من صدفة .

لا يمكن أن تغفل (أمل) تلك النظرة في عيني (جلال) لكنها لم تفهما فسألته:

– ماذا هناك ؟

تعجب (جلال):

– ماذا تقصدين ؟

قالت :

– أشعر أنك تفكر في شيء ما ولا يمكنني استنتاجه.

ظهر شبح ابتسامه خفيفة علي شفتيه وقال:

– لا شيء يا حبيبتي .. إنها المفاجئة فقط .. هيا لنصعد لغرفتنا حتي نودع لندن جيداً.

احمر وجهها خجلاً ثم امسك يدها وغادرا المطعم ، في داخلها كانت تعرف (جلال) جيداً ، هنالك شيء ما حدث ، نظرته توحي بالاطمئنان ولا تقلقها لكنه لم يبوح بما يفكر، وهي لا تجبره ابدا علي البوح بشيء رغما عنه.

أما هو فكان في داخله قد اشتعل فتيل لقنبلة ما، قنبلة من الحماس والأمل...

من جديد.

****

في الصباح ، كان (جلال) و(أمل) مستلقيان بجوار بعضهما البعض علي السرير في غرفتهما الأنيقة بالفندق ، وكانت (أمل) تتصفح إحدى مجلات الأزياء ، وبجزارها (جلال) يتنقل بين القنوات التليفزيونية عن طريق جهاز التحكم عن بعد عندما دق الهاتف الموجود بجواره فالتقط السماعة مجيباً ، أتاه صوت (رأفت) يقول:

– أسعد الله صباحكم

(جلال)

– مرحبا يا دكتور ... كيف حالك؟

(رأفت):

– في خير حال .. انا في انتظاركم في بهو الفندق .

(جلال):

– سنلتحق بك في أسرع وقت يا دكتور.

قالها وأنهى المكالمة واعتدلت (أمل) قائله:

– لقد أتي مبكرا .. لم استعد بعد او اجهز حقيبة السفر للمساء.

ابتسم (جلال) وهو يقوم متجها لدولاب الملابس وقال:

– لابأس .. سأذهب وأقابله في البهو وقومي أنت بتجهيز الحقيبة وسننتظرك في الأسفل.

كان يستبدل ملابسه بسرعة كبيرة ، وما إن انتهي حتي قبلها علي خدها وقال:

– خذي كامل وقتك ونحن في انتظارك يا حبيبتي .

ابتسمت له وهو يغادر الغرفة بسرعة هابطا لمقابلة (رأفت) ، فقامت متكاسلة واحضرت حقيبتها ووضعتها فوق السرير لتجمع ملابسها وأغراضها فقد انتهت الرحلة السعيدة ، ثم دخلت الحمام لتأخذ دشاً دافئ لينعشها قليلا ، وخرجت لترتدي ملابس مناسبة لقضاء اليوم بالخارج قبل العودة للوطن في المساء ، ثم بدأت تضع مساحيق التجميل الخاصة بها قبل أن تلحق بزوجها والدكتور (رأفت).

استغرقت قرابة خمسة وأربعون دقيقة تقريباً قبل أن تنضم لهما في بهو الفندق فقاما لاستقبالها وسلم عليها (رأفت) مرحباً ، وجلست بجوار زوجها الذي ظهرت عليه سعادة كبيرة وهو يقول لها:

– عندي لك خبر يستحق مليون دولار.

رفت حاجباها مندهشة وقالت:

– مليون دولار .. وما هو ذاك الخبر يا ترى؟

قال:

– كنا نتحدث قبل نزولك وخطر ببالي أن اطرح نتيجة تقرير تحليل الانجاب علي دكتور (رأفت) عسي أن تكون هناك وسيلة حديثة لم نعرفها في مصر حتي الآن.

انعقد حاجباها بشيء من الغضب وفي أعماقها سألت نفسها "لماذا يا (جلال) تعيد تلك الذكري في هذه الرحلة السعيدة؟" لكنها كتمت سؤالها مع شعور بالأمل من نظرات (جلال) و(رأفت) والسعادة الواضحة علي زوجها الذي أكمل قائلاً:

– ولقد أخبرني الدكتور بأن هناك طريقة للإنجاب عن طريق إجراء جراحي بسيط.

زال غضبها الدفين لتحتل مكانها دهشة مختلطة بسعادة كبيرة ومغلفة بالأمل وهتفت فرحة:

– حقاً!

ابتسم (رأفت) وقال:

– لا شيء يقف أمام العلم يا دكتورة.

قالت:

– أتعني يا دكتور أن النتيجة مضمونة إن شاء الله؟

أومأ (رأفت) برأسه علامة الايجاب وقال:

– النتيجة مضمونة والعملية بسيطة .

سألت مرة أخري:

– وما هي الطريقة يا دكتور؟ هل أخبرك (جلال) بتفاصيل حالته؟

تدخل (جلال) هذه المرة قائلا:

– لقد أخبرته بكل شيء يا حبيبتي وأخبرني أن الأمر ممكن .. بل وممكن جداً.

(رأفت):

– سنقوم بأخذ عينه من (جلال) ونجري عليها تجربة معينة بالموجات الكهرومغناطيسية وبعض المواد الكيميائية لنحصل علي حيوان منوي قادر علي التخصيب ونجري عملية شبيهة بالحقن المجهري لكن مع بعض الاختلافات البسيطة.

(أمل):

– لم أسمع عن مثل هذه التجارب من قبل.

ضحك (رأفت) وقال:

– لو كل التجارب ذات المستوي المرتفع تحدث في مصر لكانت مصر هي القوة العظمي في العالم حالياً ... مثل هذه التجارب تحدث في بلدان مختلفة كأمريكا وألمانيا علي سبيل المثال.

بدء الاقتناع يتسلل لـ(أمل) ، فقال (جلال):

– هذه الرحلة يبدو أنها ستغير حياتنا يا حبيبتي ، وعندما نعود إلي هنا في المرة القادمة سنعود وفي أحشائك طفلنا المنتظر.

التفتت نحو (رأفت) وسألته:

– وكم من الوقت تستغرق هذه التجارب و العملية الجراحية يا دكتور؟

تبادل (جلال) و (رأفت) نظرة ذات مغزى قبل أن يجيب الأخير:

– من عشرة أيام إلي خمسة عشرة يوماً.

قالت لـ(جلال):

– يا حبيبي ولم نعود لمصر ثم نأتي هنا مرة أخري .. فلنؤجل حجز الطيران ونجري العملية الآن

تبادل الرجلان مرة اخري نظرة خاصة قبل أن يقول (جلال) :

– لا مانع لدي علي الإطلاق .. فهل الدكتور (رأفت) متفرغ في الوقت الحالي؟

قال (رأفت):

– بالتأكيد .. ألم أخبرك أمس بأنني متفرغ حالياً .. يبدو أن القدر دبر لكما كل هذه التدابير.

ابتسم (جلال) قائلا:

– فليكن .. سنؤجل العودة لمصر .. ومن الآن أنا رهن اشارتك يا دكتور.

قام (رأفت) وقال:

– فلننطلق إذن لنحتفل معا بهذه المناسبة السعيدة.

قاما معه للخروج من الفندق وقضاء اليوم معا كما اتفقوا .

لا يمكن وصف شعور (أمل) ، لا يمكن وصف مدي فرحتها ومدي سعادتها ، لن نبالغ إذا قلنا أن قلبها يوشك علي الطيران من صدرها من فرط الفرحة.

يبدو أن هذا اليوم سيغير حياتهما بالفعل ...

وللأبد.

****

الفصل الثامن

لم يمر يومين حتي كان (رأفت) قد جهز كل شيء ، وأخضع كل من (جلال) و (أمل) لبعض الفحوصات ، واخبرهما أن عملية الحقن او الزرع ستتم في اقرب وقت ممكن ، واستمر الزوجان في الاقامة بنفس الفندق وكانت الساعة حوالي السابعة مساءاً عندما اتصل بهما (رأفت) هاتفيا ليخبرهما أن العملية ستتم في الصباح ، كان (جلال) مستلقيا علي السرير وكانت (أمل) جالسة أمام المرآة تمشط شعرها عندما قال (جلال):

– هل أنتِ مستعدة للعملية يا حبيبتي ؟

(أمل) :

– بل قل أنني متحمسة .. أدعو الله أن يتمم لنا الأمر بخير إن شاء الله.

(جلال):

– لا تقلقي .. الدكتور (رأفت) أكد لي أن الأمر هين.

(أمل):

– أنا أعرف هذا .. لكني محتارة في أمر الخلايا الحية التي أخذها منا .. صحيح أن الأمر سهل جداً.. لكن هذا الأمر يربكني.

(جلال):

– ألم يقل لكِ أننا لم نتعرف علي هذا النوع من العلاج بعد في مصر ؟!

(أمل):

– وهذا أيضاً يحيرني .. فطالما هناك وسيلة لإسعاد ملايين البشر فلمَ تظل غير معلنة ولا ندري عنها شيئاً؟

(جلال):

– ربما الأمر في مراحل التطوير أو ما شابه .. ولا تنسين أن التكلفة عالية.

(أمل):

– صحيح لم أعرف كم ستتكلف العملية.

(جلال):

– دعك من هذا فأنا مستعد لأنفق نصف ثروتي ليكون لي ولد.

ابتسمت وقامت من أمام المرآة والقت بجسدها جواره واراحت رأسها علي صدره وهي تقول بحنان:

– أنا لا يهمني نوع الجنين سواء ولداً كان أم بنتاً.

ضمها إليه برفق وقال وقد لمعت عينيه ببريق ملحوظ:

– بل هو الولد .. الولد الذي يحمل اسمي ويرث ثروتي .. حتي أنني أفكر له في الاسم الذي سيحمله.

عقدت حاجبيها وضربته برفق ضبة خفيفة علي صدره وقالت:

– هل تفكر في اسم ابننا دون أخذ رأيي؟

قال ولم تفارقه ابتسامته ولا بريق عينيه:

– ما رأيك في (آدم)؟

قالت:

– (آدم) .. ياله من اسم .. حسناً أن كان ولداً فهو (آدم)

اتسعت ابتسامته اكثر وهو يقول بثقة :

هو كذلك .. هو (آدم).

بالفعل اجريت العملية ، وظلت أمل تحت رعاية (رأفت) ومساعده الشخصي فقط ، اجريت العملية في مركز طبي صغير لكنه مجهز تماماً ، كان (رأفت) هو صاحب هذا المركز ،وسمح لها (رأفت) بعد مرور عشرة أيام بالخروج والعودة للفندق ، ويمكنها السفر بعد مرور ثلاثة ايام أخري ليطمئن تماماً علي استقرار الحمل.

لا يمكن أبدا وصف شعورها أو شعور (جلال) ، كانا كالعطشان الجائع الضال في وسط الصحراء في منتصف الصيف والذي وجد نفسه فجأة في حديقة غناء اشجارها وافرة الاوراق والظلال ، وتحمل مختلف الثمرات ويجري بها نهر عذب فرات.

عادا لمصر ، وأخبرا عائلتها الصغيرة بحدوث الحمل ، واصبحت الايام أسعد الايام ، الفرحة غمرت الجميع بلا استثناء ، الكل كان ينتظر هذا الحدث ، لكنهما لم يخبرا أي شخص بأمر العملية كما اتفقا مع (رأفت) والذي قال أن هذا النوع من العلاج في المراحل النهائية قبل الإعلان عنه ولو تسرب الخبر سيتدمر تاريخه المهني خاصة أنه أجرى العملية بنفسه وفي مركزه الخاص.

اصبح (جلال) أكثرا عطفا وحنانا علي زوجته ، يتصل بها كل ساعة تقريبا للاطمئنان عليها ،وفي العمل عاد لحماسة ونشاطه بقوة ، بل قل تحول إلي شعلة من النشاط ، اضاف بعض التعديلات الادارية علي شركته مما عاد عليه بزيادة في الربح ،و (مها) أصبحت تقضي مع (أمل) معظم الوقت لمساعدتها ومعاونتها

علي مراحل الحمل الأولي ، وتعطيها دروس مبكرة في التربية ورعاية الاطفال ، وبدأتا في شراء ملابس للمولود ، وظهرت معالم الحمل عليها ، كانت متلهفة لمعرفة نوع الجنين ، وتستغرب ثقة (جلال) في كونه ولداً ، لدرجة أنه دائما ما يسألها "كيف حال (آدم)" ، هي الاخرى كانت تتمناه ولداً ، الجميع كان لا يخفي فرحه واهتمامه لحدوث هذا الحمل الذي طال انتظاره كثيراً ، ولم يكن غريباً علي (أمل) أن تجد (رأفت) علي اتصال دائم وثابت بها كل اسبوعين لمتابعة حالتها وحالة الجنين ، ودائماً ما يذكرها بأن يظل أمر العملية التي أجراها لها في لندن سراً لا يخرج عنهما وعن (جلال) بحجة أن هذه العملية لا تزال في مراحل البحث والتجريب وإذا تسرب أمرها فسيفقد مستقبله وتاريخه الكبير في هندسة الجينات والوراثة.

أما (جلال) فكان يهدف لتحقيق أكبر الارباح ولزيادة ثروته لأخر مدي يمكنه أن يصل إليه ، كان يريد لابنه المنتظر ان يملك السطوة في يديه منذ ولادته ، يرد له مستقبلا آمنا لدرجة تجعله لا يحتاج لشيء أو لشخص في الحياة ، يريد لابنه القوة المطلقة ، وسيعمل علي ذلك مهما كلفه الأمر.

هذا الشاغل دفعه لزيارة (صفوان) في مكتبه ، وعندما اجتمعا في مكتب رجل الدولة الكبير ، كان (جلال) يريد أن يضع اللبنة الأولي في استثمار جديد مضمون ولا يخضع لقواعد الربح والخسارة ، يريد استثمار يخضع للربح .. والربح فقط

اشعل (جلال) واحدة من سجائره الرفيعة الفاخرة التي اصبح معتاد عليها منذ أن أهداها له (صفوان) بنفسه ، سحب منها نفساً قبل أن ينفثه في الهواء باستمتاع في نفس الوقت الذي خلع (صفوان) نظارته الطبية ووضعاها فوق المكتب الوثير ، ثم اعتدل وعاد بظهره في المقعد الفخم وهو يقول:

– يبدو لي أن طموحك لا ينتهي بحق يا (جلال).

سحب (جلال) نفسا جديداً قبل أن يقول:

– هذه سمة رجل الأعمال الناجح يا (صفوان) بك.

(صفوان):

– ولكن ألم تكفيك التسهيلات البنكية التي نساعدك بها ؟ .. بضاعتك التي تخرج من الجمارك دون أي تفتيش .. دخولك شريك مع وزير الصحة في أحد المشروعات .. كل ذلك لا تجد فيه تعويض عما تقدمه لنا؟

قال (جلال) بسرعة:

– ومن قال هذا ؟! لا يمكنني أن انكر أي مما قلت .. بل ويمكنني أن أزيد عليه ولا أنكر أن وضع شركاتي الحالي أصبح أقوى بفضلكم .. لكن من قال أنني أبحث عن تعويض يا (صفوان) بك .. قما قلت لك في بداية حديثي .. إنني أريد خدمة منك و أمل أن تحقق مطلبي.

استند (صفوان) بمرفقيه علي مسندي المقعد وشبك اصابعه أمام وجهه وقال:

– لكن ما تطلبه مني أكبر من مجرد خدمة . أليس كذلك؟

سحب (جلال) نفساً من سيجاره الفاخر ونفسه ببطء ثم قال:

– هل تتذكر هذا النوع من السجائر؟

عقد (صفوان) حاجبيه لهذه النقلة في الحوار ، وأكمل (جلال) وكأنه لا يريد جواب منه قائلا:

– لم أعد راغب في الابتعاد عنها يا (صفوان) بك .. واصبحت اتلذذ بها في كل مرة ودائما ما افكر في اشعال واحدة جديدة قبل انتهاء الموجودة بين اصابعي.

ابتسم الرجل العجوز وانحني للأمام قليلا وهو يقول:

– لقد فهمتك .. لكن يجب أن تحذر من هذا التلذذ .. المثل يقول "الطمع يقلل ما جمع" .. لا تنسي هذا.

ابتسم (جلال) وقال:

– ليس طمعاً بالمعني الموجود في المثل .. بقدر ما هي رغبة في اضافة أمر جديد .

(صفوان):

– لكن طلبك يحتاج لموافقات من وزير الاسكان ووزير الاستثمار .. وهو طلب ليس بالهين أبداً

ابتسم (جلال) وفهم ما يرمي إليه الثعلب العجوز فقال بسرعة:

– ستجد مني التقدير المناسب للجهد الذي ستبذله في الحصول علي تلك الموافقات يا (صفوان) بك.

ابتسم (صفوان) ابتسامة كبيرة وقال:

– لم يكن اختياري لك بالخاطئ أبداً .. أنت طموح وذكي ولديك مقومات النجاح ... سأجري بعض الاتصالات وأخبرك بالنتائج قريباً.

قام (جلال) وصافح (صفوان) وقال:

– سأنتظر هذه المكالمة علي أحر من الجمر.

ثم أنهي اللقاء وغادر مكتب (صفوان) وهو يشعر بتحقيق انتصار جيد ،غادر البناية التي بها المكتب وهو يشعر بالسعادة والنشوة ، كان يعرف بأن سينال مطلبه ، فهو لم ولن يبخل ابداً علي الرجل العجوز الثعلب الكبير في أروقة الدولة ، كان متأكد من أنه سيحصل علي قطعة الأرض المخصصة لبناء الفيلات في شرم الشيخ بذلك السعر الزهيد الذي يقل كثيراً جداً عن ربع ثمنها الحقيقي ، ليس هو أول من حصل علي قطعة كتلك ، لكن هذه المنطقة بالتحديد في شرم الشيخ مخصصة بصورة غير رسمية لمجموعة منتقاه من علية القوم ، من الصفوة ، بل قل من المحيطين مباشرة بكرسي حكم البلاد.

مرت أيام الحمل بسرعة ، وتأكدت نبوءة (جلال) ، وأصبح الجميع في انتظار وصول الجنين الذي ظهر أنه ذكراً في كل الصور التي أخذها جهاز السونار ، لم يكن يوم الوضع بالعادي ، الكل في المستشفى ينتظر (آدم) ، حتي أن (رأفت) حضر خصيصاً من لندن للاطمئنان علي المولود ، كان يسرع الخطى ليقطع المسافة التي تفصله عن الحجرة التي استقرت بها (أمل) وطفلها الصغير ، وما إن وصلها حتي دخل بلهفة واضحة ، وتفاجئ الجميع بقدومه المباغت وأسرع (مُحَمَّد) سيتقبله بفرح وامتنان كبير ، وصافح (رأفت) العائلة الصغيرة التي اجتمعت بكاملها حول السرير التي تمددت فوقه (أمل) بجوار (آدم) وبالطبع لم تكن تحية (جلال) للدكتور بالعادية لكن تبادلت عيونهما الكثير من الكلام الصامت ، تقدم (رأفت) من (أمل) بلهفة وصافحها برقة وقال:

– لم أكن لأفوت يوم كهذا .. حمداً لله علي سلامتكما أنت و (آدم).

ابتسمت بوهن من اثر الوضع وقالت:

– لقد اكتملت سعادتي بحضورك يا دكتور (رأفت).

قال:

– هل لي بتقبيل هذا المشاكس إلي جوارك؟

قالت :

– بالطبع يا دكتور .

حمل (رأفت) الرضيع وقربه منه بحرص وقبله في جبينه وأعاده لجوار أمه ثم التفت ناحية (جلال) وقال:

– لقد كان اختيارك لاسم الولد رائع يا (جلال)

ابتسم (جلال) وقال:

– اشكرك يا دكتور .. أشكرك شكرا جزيلا علي الحضور بنفسك .

قال (مُحَمَّد):

– هل لاحظت يا (رأفت) الشبه الكبير بين (جلال) و (آدم)؟

نظر (رأفت) لـ(جلال) وتبادلا ابتسامة خاصة قبل أن يجيب الأول:

– بالطبع يا (مُحَمَّد) .. الولد صورة أبيه كما يقول المثل.

هز (مُحَمَّد) رأسه وقال:

– أستطيع أن أقسم أنني أري (جلال) وهو طفل كلما نظرت في وجه (آدم) .. سأحضر لكم صور (جلال) الفوتوغرافية عند ولادته .. سبحان الله .. إنهما نسخة واحدة تقريباً.

اتسعت الابتسامة علي وجه (جلال) و (رأفت) .. أما (مها) فقالت:

– حسنا يا (مُحَمَّد) لقد أصبح عندنا نسختان من (جلال).

ثم غمزت بعينها لـ(جلال) وقالت ضاحكة :

– يا لك من محظوظ يا (جلال) .. فزوجتك تحبك بشدة ودائمة التفكير بك حتي وضعت لنا (أدم) الذي يشبهك تمام الشبه.

تقدم (جلال) من زوجته وابنه وجلس بجوارهما علي السرير وقبل (أمل) في جبينها بحنان وقال:

– بل أنا الذي أحبها بشدة.

قالت (مها):

– يا لحظك يا (أمل)!

وبرغم من شحوبها ووهنها الواضحين إلا أن حمرة الخجل وضحت في وجنتي (أمل) غير أنها لم تعلق واكتفت باحتضان كف (جلال).

قال (رأفت) :

– اسمحوا لي بالانصراف .. فلقد اطمأننت علي (أمل) و (آدم) ويجب علي العودة للمطار حيث أعود بعد ساعات قليلة إلي لندن.

(مُحَمَّد):

– ماذا تقول يا صديقي ؟! فلتؤجل الرحلة لنقضي معاً يومين علي الأقل.

(رأفت) :

– لا يمكنني هذا يا (مُحَمَّد) فلدي موعد هام للغاية غدا صباحاً.

ثم التفت إلي (جلال) وقال:

– والآن أيها الاب اريدك لدقيقة قبل أن أرحل.

صاحبه (جلال) وخرجا من الغرفة ، فقال (رأفت):

– مبروك يا (جلال) .. لقد أتممنا العمل بنجاح تام.

قال (جلال):

– أنا مدين لك يا دكتور .

هز (رأفت) رأسه وسأل:

– أمازلت لا ترغب في معرفة المخاطر في ذلك الأمر الذي قمنا به؟

عقد (جلال) حاجبيه وقال غاضباً:

– أي مخاطر يا دكتور ؟! لقد نجح الأمر .. ولدي الان ابناً.

هز (رأفت) رأسه وقال:

– اسمعني جيدا يا (جلال).. أنا مقدر ما مررت به .. واعرف شعورك اليوم وأنت تري (آدم) بأم عينيك .. لكنك ترفض أن تعرف أن هناك أعراض ربما قد تحدث و....

قاطعه (جلال):

– ربما .. ها أنت قلتها بنفسك .. ربما قد تحدث وربما لا يحدث شيئا علي الاطلاق.

صمت (رأفت) قليلا وقال:

– قد يكون معك بعض الحق .. التجربة لا يمكن الحكم عليها الان .. لكن يجب متابعة نمو وتطور الطفل باستمرار لمنع حدوث أي شيء.

ابتسم (جلال) وقال:

– لا تقلق .. لن تجد علي سطح الأرض شخصاً يهتم بـ(آدم) كما أفعل أنا.

شعر (رأفت) أنه لا فائدة من النقاش فصافح (جلال) وانصرف بهدوء ، تابعه (جلال) ببصره حتي اختفي تماماً بين المتواجدين بالمستشفى ، كان في أعماقه جرس يدق ، لكن يحاول اسكات هذا الجرس البغيض ، كان يطمئن نفسه بأن كل شيء علي ما يرام ، لقد حصل علي غايته ...

لقد حصل علي الطفل الذي طالما سعى من أجله ...

لا يوجد شيء في الحياة يمكنه أن يوقف رغباته ، لقد حقق ما قال عنه كل الاطباء أنه غير ممكن ، لقد قهر العالم ...

لقد قهر الطب ...

لقد أثبت أنه قادر علي الحصول علي أي شيء يريده طالما يمكنه البحث عنه في المكان المضبوط.

كان يشعر في هذا اليوم بالذات أنه سيد العالم ..

بل سيد الكون كله ..

لقد حقق كل ما تمناه ، وسيقضي حياته في هدوء واستمتاع.

هكذا يتصور هو..

لكن ما هي الحقيقة التي تنتظره؟

سنعرف بالتأكيد.

****

يمكننا القول أن الحياة استمرت صورة طبيعية بالنسبة للجميع، بل أكثر من رائعة ، (جلال) يتقدم بخطوات واثقة في الاقتصاد المصري ، اصبح اسمه ذائع الصيت ليس فقط بين الطبقة الخاصة من رجال المال والأعمال ، وليس فقط بين اهالي دائرته الانتخابية والذي أمعن في خدمتهم بعد قدوم (آدم) ، بل أصبح يشار له بالبنان في كل أرجاء البلاد ، أصبح يحمل قدرا من الشهرة بين العامة من الناس ، بسبب ظهوره في بعض المحافل الرسمية ، وانتشار اعلانات شركاته في كل مكان ، وكذلك حيث اهل دائرته الانتخابية عنه بالخير ، وأصبح منقذا لهم وسندا قويا يتكلون عليه رغم عدم تأكدهم من صدق وعوده وعدم معرفتهم الكبيرة له ايام الانتخابات السابقة.

(أمل) حصلت في البداية علي اجازة من عملها اسمرت لمدة ستة شهور كاملة ، كان كل ما يشغلها هو العناية بـ(أدم) ، وحتي بعد انقضاء فترة الإجازة ، توصلت لإتفاق مع الشركة التي تعمل بها علي أن تجري الابحاث التي تطلب منها في معملها الخاص بالفيلا ، واسمرت في عملها بهذه الوضعية لأكثر من سنة إضافية قبل أن تستعين بمربية تجالس (آدم) عندما تكون في الشركة ، كان (رأفت) علي اتصال شبة

دوري بها لمعرفة حالة الصغير ومدي نموه وتطوره الطبيعي كأي طفل ، كانت تشعر بامتنان لهذا الرجل الذي كان سبباً في منحها و(جلال) ما كانا يحلمان به ، الشيء الغريب أن (جلال) لم يطالبها بترك العمل والتفرغ لتربية ابنهما كما اتفقا قبل الزواج ، بل لم يشر للأمر مجرد إشارة واحدة .

كانا يجتمعا دائماً على رعاية (آدم) ومتابعته نموه حركاته ، أول مرة ينطق فيها بعض الهمهمات الطفولية الغير مفهومة ، أول مرة يحاول التحرك ، أول مرة يحاول الوقوف ، كان (آدم) تماما مثل والده ، لم يمر كثيراً بمرحلة الحبو التي يمر بها الأطفال ، بل استطاع الوقوف ومحاولة السير بأكراً عن أقرانه ، ومع مرور الوقت بدء الشبه الكبير بين (آدم) ووالده يتأكد بصورة غير مسبوقة ، (مُحَمَّد) أحضر جميع صور (جلال) في نفس عمر ابنه ، إنهما نفس الشخص.

عندما أكمل الصغير عامه الثاني ، اتفق (جلال) مع المهندس (خالد) علي بعض الأعمال مرة أخري في حديقة الفيلا ، هذه المرة تم عمل ألعاب كثيرة وتم احاطتها بسور من الحديد المشغول بشكل أنيق ، وأصبح للصغير ساحته الخاصة التي يقضي فيها معظم نهاره عندما تكون الأم في عملها ، يمكن القول بأن الحياة كانت مثالية تماماً.

عندما تجاوز (آدم) السنة الثالثة بعدة شهور ، ألحقه والداه بروضة أطفال دولية التعليم ، من تلك المدارس التي يلتحق بها الطفل في مرحلة رياض الأطفال ويستمر حتي يحصل منها علي الشهادة الثانوية ، وبالتأكيد كانت المصروفات بالنسبة لـ(آدم) أعلي بعض الشيء لعدم وصوله لسن القبول بالمدرسة ، طبعاً تجد اللغة الإنجليزية العامل الاساسي في التعليم ، تلك النوعية من المدارس لا يمكن لأي شخص عادي أن يلحق احد ابنائه بها ، لأن مصروفاتها في الفصل الدراسي الواحد تفوق بكثير مدخرات الأسرة البسيطة في سنوات ، كان (جلال) يريد لابنه الافضل في كل شيء مهما تكلف الأمر.

اقتربت الانتخابات البرلمانية مرة أخري ، وكان من الطبيعي أن يجتمع (صفوان) مع (جلال) و(ثروت) من جديد لترتيب الأمور كما جرت العادة ، وبالطبع كان الاجتماع في مكتب (صفوان) نفسه هذه المرة ، علي عكس أول لقاء بينهما .

كان ثلاثتهم يجتمعون حول طاولة اجتماعات في مكتب (صفوان) الذي جلس علي رأس الطاولة بيضاوية الشكل ، وعلي يمينه جلس (جلال) ومحاميه ، كان (صفوان) أول من تحدث قائلاً:

– نريدك في المجلس يا (جلال) بك وهذه المرة كمستقل أيضاً كما في المرة السابقة .. وربما بعد سنة أو اثنين تنضم للحزب بصورة رسمية وعلنية.

ابتسم (جلال) وقال:

– ولماذا الدخول في الحزب ؟ .. أنا أفضل أن استمر كما أنا.

هز (صفوان) رأسه قائلاً:

– لم يعد الوضع كما كان في المرة السابقة ، فوجودك في الحزب في المرة السابقة لم يكن ليفيدنا في شيء .. بل كان سيرسخ فكرة أننا نسيطر علي جميع المقاعد وكان لابد من التنوع وقتها مع ضمان ولاء المستقلين .. لكن وجودك الان في الحزب سيعطي قوة إضافية للحزب .. يا (جلال) بك لقد أصبحت قدوة لكثير من الشباب الذين يرون فيك المثل الأعلى لشاب حقق نجاح غير مسبوق .

اتسعت ابتسامة (جلال) الواثقة ولم يعلق فقال (ثروت) متسائلاً:

– لكن ألن يؤكد انضمام (جلال) بك للحزب فكرة السيطرة مرة أخري ؟ المجلس الحالي به أطياف مختلفة بالفعل .. وهذا واضح للعيان .. لقد تحققت توجيهات سيادة الرئيس في هذا المجلس .. أليس كذلك؟

(صفوان):

– بلي ، قد تحققت توجيهات سيادة الرئيس .. وحصل ما أراده بوجود التنوع داخل المجلس .. لكنه لم يكن تنوع حقيقي .. لقد كان نحن والاخوان فقط .. كانت تنوع ظاهري يا (ثروت) .. لقد سمحنا للإخوان بالظهور بشكل غير مسبوق وهي غلطة لن تتكرر.

عقد ثروت حاجبيه وقال:

– أفهم من ذلك أن الحزب سيسطر مرة أخري علي مقاعد المجلس؟ .. وأين توجيهات الرئيس؟

ظهرت ابتسامة خبيثة علي وجه (صفوان) وهو يقول:

اسمعاني جيداً .. الانتخابات السابقة أرادها الرئيس كتجربة مثالية قدر المستطاع .. وكان هناك الكثير من الشفافية في مرحلة الاقتراع وتم تنفيذ طلبات الرئيس كاملة .. فكانت النتيجة كما رأينا جميعاً .. وهذه المرة التعليمات مختلفة تماماً .. فلن نسمح للإخوان الظهور بنفس الحجم الحالي أبداً.

(جلال) :

– إذن تعليمات الرئيس بأن يعود الأمر لما كان عليه سابقاً.

هز (صفوان) رأسه علامة النفي قبل أن يقول:

– كنت أظنك أذكى من ذلك يا (جلال) بك .. هذه المرة التعليمات ليست تعليمات سيادة الرئيس .. شخص بمثل ذكائك عليه أن يفهم كيف تسير الأمور هذه الأيام في البلد .. صاحب التعليمات شخص أخر تماماً.

لمعت عيني (جلال) وأومأ برأسه علامة الفهم في حين قال (ثروت) مندهشاً:

– شخص أخر ؟! .. هل تقصد ...

لم يكمل عبارته وتبادل النظرة علي وجه (صفوان) و (جلال) قبل أن يهز رأسه ويقول ضاحكاً:

– يا لغبائي ! كيف لم أفهم الأمر .. بالطبع هو ذلك القصير الذي.....

قاطعه (صفوان) بحدة:

– تأدب .. ذلك القصير يمكنه محو اسمك من سجلات الاحياء لو سمع قولك هذا.

امتقع وجه (ثروت) وقال:

– عفوا يا سيدي لقد خرجت كلمة عفوية بدون قصد .. أنا لا أقصد اساءة مطلقاً فالرجل صديق لـ(جلال) بك وشريكنا في بعض الأعمال .. لم أكن أقصد الاستهانة بالرجل .. الرجل الكبير.

نظر له (صفوان) نظرة حادة ، فحاول (جلال) تمرير الموقف بتغير دف الحوار عندما قال:

– وهل ستسير الأمور ككل مرة؟

عاد للرجل العجوز هدوءه وقال:

– قلت لك يا (جلال) بك هذه المرة الوضع مختلف .. سابقاً كنت تحتاج مساعدتنا لضمان النجاح .. وبالتالي كان عليك أن تدفع مقابل الخدمات التي تقدم لك .

ثم صمت قليلا واعتدل في مقعده وقال:

أما الأن فلقد أصبحت من الكبار .. نجاحك مضمون .. الناس في الشارع تريدك لما قدمته لهم .. ونحن نريدك كذلك .. وكما أخبرتك ستدخل الحزب بعد فترة وسيكون لك دور في مسرح الأحداث .. الرجل الكبير معجب بك

نطق جملته الأخيرة ببطء له معان كثيرة ، امتلئ (جلال) أكثر بالثقة ، وقد فهم ما هو مقبل عليه ، هو الآن علي مشارف الدخول بقوة للطبقة الأعلى في البلاد ... الطبقة الحاكمة.

****

مرت الفترة التالية كما وصفها (صفوان) ، تمكن (جلال) من النجاح بسهولة في الانتخابات ، تلك الانتخابات التي اشعلت غضب المصريين ، وزاد الغضب عندما تباهي رجال الحزب الكبار بذلك الاكتساح الغير منطقي ، وعندما لم يتم النظر في الطعون المقدمة ولا البلاغات في احداث مرحلة الاقتراع بالشكل المطلوب .

المهم أن (جلال) مرة أخري في المجلس ، الان اصبح علي مقربة من القمة التي تسيطر علي زمام البلاد ، كانت الحياة طوع بنانه الآن...

لقد وصل إلي ما يحلم به ... وأكثر.

****

الفصل التاسع

كانت حفلة مميزة للاحتفال بعيد ميلاد (آدم) الخامس ، تزينت الفيلا وامتلأت بالضيوف ، الجو الصحو والشمس الساطعة أعطي دفئا إضافيا للحفل ، (آدم) يرتدي حلة سوداء أنيقة ويلهو مع زملائه في المدرسة في ساحة الالعاب الخاصة به ، الجميع يتحدثون في مرح ، كان أكثر ما سمعه (جلال) من الحاضرين هو الحيث عن الشبه التام بينه وبين ابنه الصغير.

كان هناك مسرح صغير تم اعداده خصيصا لهذا الحفل امام المسبح مباشرة ، وعليه تراص العازفون وبدءوا في ضبط الآلات الموسيقية قبل أن يبدأوا بالعزف ليدخل بعدها مغني شاب ذائع الصيت ليحي الحفل ، بدء الجميع يتفاعل مع الفنان الشاب في نفس الوقت الذي دق تليفون (أمل) المحمول ، نظرت لتجد اسم الدكتور (رأفت) فتحركت لتدخل إلي الفيلا لتبتعد عن صخب الحفل قليلا وأجابت الاتصال وبعد عبارات التهاني من (رأفت) قالت (أمل):

– أنت لا تنسى هذا اليوم أبدا يا دكتور.

(رأفت):

– هذا اليوم لا يمكن أن أنساه يا بنيتي .. ثم أنني أعتبر نفسي أبا لـ(آدم) فأنا لم أتوج ولم أحظي بطفل .. اخبريني عن حالته ؟

(أمل) :

– بخير حال والحمد لله ، وهو يلهو مع زملائه في ساحة اللعب في الحديقة .. انه في غاية السعادة لوجود اصحابه معه .

(رأفت) بارتياح :

– حمداً لله .. أتمني له دوام الصحة والسعادة .. وتحياتي لك ولزوجك.

قالها ثم أنهي الاتصال ، وخرجت بعدها لتنضم للحاضرين فوجدت (جلال) الذي قال:

– لقد بحثت عنك بين الحاضرين .. هل الحفلة لا تعجبك؟

هزت رأسها علامة النفي وقالت :

– مطلقاً .. لقد دخلت الفيلا لأبتعد عن صخب الغناء حتي أجيب اتصال هاتفي من الدكتور (رأفت) .. كان يهنئني بعيد مولد (آدم) وحملني التحية لك.

أومأ برأسه وقال مبتسماً:

– أنا مدين لهذا الرجل بسعادتي.

قالها ثم امسك بكفها وقال:

– هيا بنا ننضم للحاضرين .

استمرت فقرات الحفل حتي غربت الشمس وأنهي الفنان الشاب فقرته وبدأت الفرقة في النزول من علي المسرح فذهب (جلال) و (أمل) لساحة الألعاب ، وما إن وصلاها حتي قال (جلال) مناديا علي صغيره:

– (آدم) .. هيا يا حبيبي أنت وأصدقائك .. فهذا موعد الكعكة.

انطلق (آدم) نحو والده ومن خلفه الاطفال يطلقون صيحات الفرح ، فاحتضن (جلال) ولده وحمله وقبله قبلة حانية ومالت عليه (أمل) بقبلة مماثله ، ثم الف الجميع حول الكعكة التي تم وضعها مسبقاً علي الجهة الأخرى من المسبح ، وامسك (جلال) و(أمل) بيد الصغير الممسكة بالسكين ليقطع الكعكة قبل

أن يصفق له الجميع وتنطلق بعض الالعاب النارية في سماء الفيلا ويذهب الجميع إلي البوفيه لتناول الحلوى والطعام والشارب.

بعد قليل بدء الحاضرين في الانصراف وكان (آدم) يجلس بين الهدايا الكثيرة التي تلقاها عندما انطلق يعدو فجأة نحو أمه الواقفة مع (مها) و (مروة) وأمسك يدها قائلاً:

– أمي .. أشعر بالألم يا أمي .

قالها ويده الأخرى فوق معدته ، وفهمت (أمل) أنه يشتكي من معدته ،فقالت

– إذن توقف عن أكل الحلوى يا حبيبي.

قال الصغير ببراءة:

– لم أكن أكل يا أمي بل كنت ألعب .

كان واضح علي ملامحه الألم بالفعل فقالت (مها) :

– أحضري له مشروب دافئ يا (أمل) يهدئ من معدته.

قالت (أمل) :

– حسناً .. سأطلب من (سيد) إعداد ذلك المشروب حتي أنتهي من تحية وشكر المغادرين للحفل.

وذهبت لتطلب من (سيد) ذلك ، ولم يمر الكثير من الوقت حتي انصرف الجميع ، ودخل (جلال) للفيلا ليجد (أمل) تجلس ويجلس فوق رجلها (آدم) وهو يحتسي مشروب النعناع من يدها ، فسألها:

– ماذا هناك ؟ ما به (آدم) ؟

قالت:

– يشتكي من ألم بمعدته .

جلس علي الارض امامها وأمسك بيد (آدم) وقال له:

– هل تشعر بتحسن يا حبيبي أم نذهب للطبيب؟

هز الطفل رأسه علامة النفي وقال :

– لا أريد الذهاب للطبيب .. أنا بخير .

قبل (جلال) كف ابنه ثم قال :

– أنت متأكد؟

هز الطفل رأسه علامة الإيجاب قبل أن يبدأ في السعال بقوة وبصورة مفاجئة ، فانعقد حاجبا (جلال) في حين تركت (أمل) الكوب الذي في يدها لتحتضن ابنها بقوة وقالت بقلق:

– يا حبيبي يجب أن نذهب للطبيب لمعرفة سبب هذا السعال .. ولا تخف فأنا معك ولن أتركك.

سعل الصغير مرة أخري ووضع كفه علي فمه ، قبل أن يرفع يده أمام عينيه البريئتين ويشير بيده لأمه التي اتسعت عيناها برعب وشهقت بقوة فأمسك (جلال) يد ابنه ينظر ما بها ، واتسعت عينا هو الاخر رعباً.

لقد كانت كف (آدم) بها سائل أحمر مميز...

سائل يسمى بسائل الحياة ...

الدم.

****

لا نحتاج لوصف مدي الفزع الذي ألمّ ب(جلال) و (أمل) بعما رأيا الدماء في كف الصغير (آدم) ، ومن فورهما حملا الصغير وانطلقا إلي أقرب مستشفى وبعدما تبين الاطباء شخص (جلال) أسرع الكل لمساعدته ، حتي أنهم سمحوا له ولزوجته بالبقاء في المستشفى برغم أن القوانين تنص علي أن يظل مرافق واحد فقط للمريض.

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل عندما كان (آدم) يتمدد علي سريره في الحجرة الخاصة به بالمستشفى وقد توقف عن البكاء بعدما بدء مفعول المسكنات التي دخلت إلي جسده الضئيل في العمل ، طبعا تم أخد عينة دم لتحليلها مع الكشف الظاهري الذي لم يكشف عن أي شيء وبقي إجراء بعض الاشعة في الصباح.

كان (آدم) يتوسط والداه الذين أحاطا به ، قال بضعف وقليل من خوف الأطفال:

– ألن نعود للبيت يا أمي ؟

مسحت (أمل) بحنان علي شعره وقالت:

– غداً في الصباح إن شاء الله سنعود للبيت ... الآن سننام هنا كلنا ولن نتركك

قال :

– لكن لا أريد أي حقنة أخري يا أمي.

ضمته لصدرها وقالت:

– لا تخف يا صغيري .. كل شيء علي ما يرام الآن .. فقط سننام هنا لأن الوقت تأخر وفي الصباح نرحل جميعاً.

مال (جلال) علي ابنه وقبل جبينه قائلاً:

– لا تخف عندما تكون مع والدك يا (آدم) .. لن أدع مكروه يمسك أبداً.

ربت علي كتفه وقام من جوارهما وهو يقول:

– هيا يا حبيبي فعليك النوم حتي نستيقظ مبكرا لنرحل عن هذا المكان.

شعر الصغير بالاطمئنان فأغمض عينيه محاولا استدعاء النوم ، ونظرت (أمل) لزوجها الذي تجمدت ملامحه منذ دخلوا للمستشفى ، كانت تشعر بشيء من الغرابة بادية عليه ، ربما كانت ستجن من القلق علي (آدم) لكنها لاحظت هذا الوجوم علي (جلال) ولم تخطئه.

ربما أحس (جلال) بنظرتها المتفحصة له وهو يقف مشدوها بجوار السرير ، فرفع عينيه من علي ابنه لينظر لها قائلاً:

– سأخرج لشرفة الحجرة للتدخين.

تابعته ببصرها وهو يدخل للشرفة ويغلق بابها خلفه ويعطيها ظهره متطلعا للمشهد أمامه ومشعلا أحد سجائره ، كان مظهره يقلقها لسبب ما ، صحيح أنه ارتعب علي (آدم) عند رؤيته للدماء تخرج من فم الصغير ، كان شعور أبوي طبيعي ، لكن منذ دخلوا للمستشفى تغير شكله تماماً ، تجمدت ملامحه وأصبحت لا ترى أي انفعال عليه وكأنه غارق في التفكير في أمر ما ولا يشعر بهما مطلقاً ، وعزز هذا الشعور لديها كثرة سرحانه وشروده.

وفي الشرفة ، كان (جلال) حقاً غارقا في التفكير في شيء ما ، أشعل واحدة من سجائره الفاخرة الرفيعة وظل ينفث منها الدخان ببطيء شديد ، هو قلق علي ابنه بكل تأكيد ، غير أن هناك شعور عجيب بداخله ، شعور لا يفهم ماهيته ولا ما سببه ، كان شعور يكفي لأن يدمر حياته تماماً ، كان لديه شعور بأنه علي وشك أن يفقد (آدم) !

هذا ما دفعه ليقول للصغير " لن أدع مكروه يمسك أبداً " قبل دقائق قليلة مضت ، كان يحاول أن يجد مخلص من هذا الشعور ويواسي نفسه معتقداً أن (آدم) ربما تناول شيء ما في الحفل أفسد معدته ، أو ربما هو التهاب اصاب لوزتيه ، لكن تلك الدماء التي رآها تخبره بشيء أخر ...

شيء مرعب ..

لا يمكنه تصوره.

مرت عليه ساعة كاملة وهو واقف مكانه ، شعر بشيء من البرودة في تلك الساعة المبكرة من الصباح ، دخل مرة اخري للحجرة ليجد زوجته وابنه غرقا في النوم ، القي بجسده علي الفراش المجاور للهما والمخصص لمرافق المريض ، وأغمض عينيه محاولا استجداء بعض النوم ، ورغم الارهاق الكبير الذي يشعر به إلا أن عقله أبى أن يدخل في أي من مراحل النوم ، وظل يعمل بقوة .

استيقظت (أمل) حوال السابعة والنصف صباحاً ، ونظرت لزوجها فوجدته مغمض العينين ، ظنته نائماً فنادته بصوت خفيض يشبه الهمس قائلة:

– (جلال)!

فتح عينيه واعتدل جالسا ومسنداً ظهره علي الوسادة ، فاعتدلت بدورها علي الفراش وقالت:

– ألم تحظ ببعض النوم؟

أومأ برأسه علامة الإيجاب دون أن ينطق ، فقالت :

– اطمئن .. إن شاء الله سيكون الأمر هيناً .

نقل نظره بينها وبين (آدم) دون أن ينطق مرة أخرى فقالت:

– هون عليك يا (جلال) .. إن شاء الله نطمئن علي (آدم) بعد قليل .. لم أكن أتصور أن تحب (آدم) لهذه الدرجة.

جلس علي طرف الفراش وقال ببطء:

– فعلاً .. لا يمكنك تصور كم أحب (آدم) ، لم يطرق النوم جفني طوال الليل ويكاد عقلي يشتعل من التفكير.

حاولت التخفيف عنه فقالت:

– هكذا !! يبدو أنني سأشعر بالغيرة من (آدم).

نظر لها نظره جامده ولم ينطق بحرف واحد ، فقامت من علي الفراش وذهبت لتجلس بجواره ، ولفت ذراعها حول كتفيه وضمته إليها وهي تقول:

– هون عليك يا حبيبي .. لم أرك بهذا القلق أبداً .. إن شاء الله سيكرمنا ربنا في (آدم) ولن يخزنا .. هون عليك فقد بدأت أشعر بالخوف عليك أنت.

نظر في عينيها ولم يتكلم ، كان يحاول أن يبوح لها بشيء ما ، بالفعل كان عقله يتكلم دون لسانه ، علي أمل أن تفهمه من عينيه ، الغريب أنها أحست بوجود خطب ما ، ولا تدري لما انتابها الخوف عندما ترقرقت عينيه بدموع خفيفة نجح هو في حبسها بين الجفون.

ظلت تحدق في عينيه محاولة أن تستشف ما يستعر بداخله ، نظرته هذه ليست نظرة أب يخاف علي ابنه الوحيد المريض ، إنها نظرة رجل يريد عقله الباطن أن يكشف سراً ما ويزيحه عن كاهله في حين يمنعه عقله الواعي من البوح بهذا السر.

عجيبة هي لغة العيون بينهما.

لم تنجح في فهم ما يدور بباله فسألته:

– قل لي يا (جلال) ماذا هناك ؟ أنا أشعر بالقلق بالفعل.

نظر لها للحظة ثم سمعا صوت دقات على الباب ، فقام وفتح الباب ليجد أمامه أحدي الممرضات مبتسمة قائلة:

– صباح الخير يا استاذ .. أرجو أن توقظوا الصغير فسيبدأ الدكتور في عمل الأشعة بعد نصف ساعة من الأن .

(جلال) :

– حسناً .. سنكون جاهزين في الموعد .

قالت الممرضة:

– غرفة الأشعة في الطابق الأرضي .. لا تتأخروا.

وانصرفت فأغلق الباب والتفت لـ(أمل) قائلاً:

– ايقظي (آدم) فسيجري الأشعة بعد نصف ساعة .

قامت وسارت نحوه وربتت بكفها على وجنته وقالت بحنان:

– اطمئن يا حبيبي .. إن شاء الله خيراً.

هذه المرة أيضاً لم ينطق.

****

لم يستطيع (جلال) الدخول مع زوجته وابنه لغرفة الأشعة ، وقف خارجا منتظراً لخروجهما ، مرت عليه الدقائق ثقيلة جداً ، مرت كأنها ساعات طوال ، ربما استغرق الأمر قرابة الخمسة عشر دقيقة قبل أن تظهر (أمل) وفي يدها (آدم) علي باب الغرفة.

كان الصغير يبتسم في براءة ، لكن أمه كانت بعيده كل البعد عن الابتسام ، وجهها كان لوحة تلونت بألوان الحزن والألم والخوف والقلق واللوعة . جرى نحوهما (جلال) ونزل علي ركبتيه واحتضن (آدم) بقوة ، لحظات قبل أن يقف أمام (أمل) وقال بلهفة:

– هاتي ما عندك .

ترقرقت عينيها بالدموع وهي تقول:

– لقد أوضحت لنا الأشعة التليفزيونية وجود ....

لم تكمل جملتها وانفلت الدمع الساخن علي وجنتيها منهمراً ، وبلغ الفزع مبلغه بـ(جلال) الذي فهم ما تحاول أن تقوله ، فتركهما واندفع لداخل غرفة الأشعة ، أمسكت بـ(آدم) وجرت قدميها جراً لتجلس فوق أقرب مقعد من مقاعد الانتظار المتراصة أمامها ، حملت (آدم) ووضعته علي رجلها وضمته لصدرها ، لم تحاول منع سيول الدموع التي بدأت تتساقط فوق رأس (آدم) الذي شعر بتلك القطرات فرفع عينيه لها قائلاً:

– لم تبكين يا أمي ؟ أنت مريضة ؟

قالت بصوت غلبة البكاء:

– أشعر ببعض التوعك يا حبيبي.

رفع (آدم) كفه الصغير ومسح دموعها وهو يقول :

– عندما يعود والدي سأطلب منه أن يستدعي لك الطبيب .. لا تخافي.

كانت كلماته كافيه لتفجر أنهار الدموع من منابعها تفجيراً..

ظهر (جلال) علي باب الغرفة ، عينيه متسعه في رعب حقيقي ، غير ذلك يبدو وكأن وجهه من رخام ، سار ببطء شديد حتي وصل لهما وجلس بجوار (أمل) ، نزل (آدم) من فوق رجل أمه ووقف أمام (جلال) وقال:

– يا أبي .. أمي مريضة ولهذا تبكي بشدة .. أطلب لها الطبيب فأنا أريد لها الشفاء.

حدق (جلال) في وجه (آدم) البريء ، ثم احتضنه وهو يهمس في أذنه :

– لا تخف يا (آدم) سنكون كلنا بخير .. ثق بي.

نعود قليلا للحظة اندفاع (جلال) لداخل غرفة الأشعة ، واتجه نحو الطبيب المختص وهو يقول :

– أنا والد الطفل الذي تم فحصه منذ لحظات .. أخبرني بالنتيجة.

نظر له الطبيب بشفقه وأشار باتجاه أحك المقاعد المقابلة لمكتبه وهو يقول:

– مرحبا بك .. استرح وسأطلعك علي الصور التي حصلنا عليها.

جلس (جلال) في حين أخرج الطبيب من درج مكتبه ملفا ، وضعه أمامه وفتحه ليتناول منه صورتين ، وضع الأولي علي المكتب بينه وبين (جلال) وأشار لها بإصبعه وقال:

– كما تري الصورة الأولي للرئتين .. شكلهما مميز ويمكنك تمييزهما بسهولة.

صمت الرجل فنظر له (جلال) فعاد الرجل ليكمل حديثه:

– هناك تلك البقع غامقة اللون التي توجد علي الرئتين.

صمت مرة أخري ، ونظر له (جلال) مرة أخرى ، لكن هذه المرة وضع الطبيب الصورة الثانية فوق الأولي وأمسك بقلمه وهو يشير إلي جزء في الصورة قائلاً:

– هذه المساحة أمامك هي معدة الطفل المسكين .. ولكن هناك أيضاً انتشار لبعض البقع غامقة اللون.

أعاد الطبيب الصورتين للملف قبل أن يعيد الملف نفسه لدرج مكتبه وينظر لـ (جلال) قائلاً:

– من الواضح وجود أورام منتشرة في الرئتين ومعدة ذلك المسكين (آدم) .. وسيحتاج الأمر لفحوصات خاصة لمعرفة نوعية الورم.

نطق (جلال):

– فلتبدأ إذن أيها الطبيب ولا تشغل بالك بالتكلفة.

هز الطبيب رأسه قبل أن يقول :

– عليك الاستعانة بطبيب متخصص في الأورام السرطانية .. متخصص وماهر .. فالأمر ليس بالهين علي الأطلاق .

قالها ومد كفه نحو (جلال) ليصافحه معلنا نهاية الزيارة قائلاً:

– إنه ليؤلمني أن أري طفل في هذا العمر مصاب بهذه الاصابات .. أسأل الله العظيم أن يشفيه.

صافحه (جلال) وقام منصرفاً ، شيء ما بداخله يصرخ بأنه كان يعرف هذه النتيجة ، شيء ما بداخله لم تصعقه نتيجة الاشعة ، شيء ما بداخله يخبره بأنه قد يفقد حلمه ..

قد يفقد (آدم).

****

يومان مرا علي (جلال) و (أمل) حتي حصلا علي تقرير المستشفى بخصوص حالة (آدم) ، يومان لا يمكن وصفهما ، لم يقربا الطعام ، وانقطعت علاقتهما بالنوم ، لم يتكلما مع أي شخص ، ولا حتي مع بعضهما.

عندما تسلم (جلال) التقرير الطبي ذهب به علي الفور إلي أحد كبار أطباء الأورام في مصر والشرق الأوسط ، طبيب من تلك النوعية التي تتصل بعيادته هاتفيا لحجز موعد فيخبرك المسؤول هناك بأن موعدك للكشف بعد حوالي شهرين!

طبعاً هذا لا ينطبق علي (جلال) ، الذي دفع مبلغاً لمسؤول الحجز يجعله يأتي بالطبيب من بيته وهو في ثياب النوم!

وعندما دخل (جلال) علي الدكتور (ابراهيم العربي) الشهير ، كان هذا الأخير يقف أمام حوض غسيل أيدي في أحد الأركان يغسل يديه ، فقال دون أين يلتفت لـ(جلال):

– استرح يا (جلال) بك .. ثواني والتحق بك.

جلس (جلال) علي أحد المقعدين المقابلين للمكتب الكبير الأنيق الذي يتواجد أمامه شاشة تليفزيون ضخمة لا تقل عن خمسين بوصة تعرض أحد برامج قناة ناشيونال جيوجرافيك ، وعلي يمين المكتب توجد مكتبة ضخمة تحتل الجدار بالكامل ، أما الحائط خلف المكتب فيمتلئ بالشهادات التي نالها الطبيب البارع ، وعلي يسار المكتب منطقة الكشف التي تنفصل بستائر بيضاء وكانت غير مغلقة بالكامل فشاهد (جلال) دولاب يمتلئ بأدوات ودوارق وأدوية كما شاهد جزء من سرير الكشف ، وفي أما الجدار الأيسر فكان بالكامل من الزجاج الذي يعكس الرؤيا من الخارج ليظهر من خلاله المشهد الخارجي للشارع من هذا الارتفاع .

انتهي (ابراهيم) من غسل وتجفيف يديه فخرج من منطقة الكشف إلي المكتب وأغلق الستائر البيضاء خلفه ، جلس خلف مكتبه بقامته الطويل الممشوقة ، وشعرة الاسود الناعم ونظراته الحادة التي تلمح بها

ذكاء كبير ، كان مظهره وبشرته البيضاء وعينيه العسليتين يجعلاه أشبه بالفرنسيين إلي حد ما ، نظر الرجل إلي (جلال) ثم إلي الورقة التي تركها له مساعده علي المكتب وقال:

– مرحبا يا استاذ (جلال) .. كيف لي أن أخدمك؟

ناوله (جلال) الملف الخاص بحالة (آدم) ولم يجد ما يقوله ، تناول (ابراهيم) الملف وهو ينظر جيداً لـ(جلال) محاولا معرفة ما يدور بعقله ، ثم فتح الملف وبدأ في القراءة ، لم تمر لحظات حتي ارتفع حاجباه بدهشه وأكمل القراءة ثم أغلق الملف وتركه أمامه فوق المكتب ونظر لـ(جلال) وقال:

– صدقني يا استاذ (جلال) .. أنا أشعر بالأسي لما يمر به (آدم).

هز (جلال) رأسه قائلاً:

– أشكرك يا دكتور.

ثم انتبه فجأة كمن تذكر أمر ما وهو يقول:

– لكن هل تشعر بالأسي لأنه لا أمل في الشفاء

لم تتغير ملامح (ابراهيم) وهو يقول:

– لم أقل هذا .. لقد علمتني هذه المهنة أن الأمل بالله لا ينقطع أبداً ، فالله سبحانه وتعالي وحده قادراً علي إنزال المعجزات .. لكن هذه المرة الأولي في حياتي التي أرى بها هذا الشكل من الانتشار في المعدة والرئتين معاً لطفل في الخامسة من عمره.

لم يعقب (جلال) فتابع الطبيب:

– بصراحة الحالة بها بعض الغرابة .

مرة أخري لم ينطق (جلال) ، فتابع (ابراهيم) قائلاً:

– الحالة معقدة وسنحتاج فحوصات كثيرة .. قبل أن نقرر ما هي الطريقة التي يمكننا التعامل بها مع هذه الحالة.

هنا تكلم (جلال) :

– أرجوك افعل كل ما يجب عليك فعله أيها الطبيب .. أنت لك من السمعة الحسنة والخبرة ما يجعلني أثق بك تمام الثقة .. ولا تقلق أبدا بخصوص الأتعاب والتكاليف .. المهم النتائج.

شبك الطبيب أصابعه أمام وجهه وقال :

– أشكرك علي ثقتك وأسأل الله أن أكون أهلا لها .. حسناً .. احضر (آدم) للكشف وسنقرر كيف سيسر الفحص حتي نحصل علي النتائج التي ترشدنا لطريقة العلاج بإذن الله.

قام (جلال) لينصرف ومد يده ليصافح الطبيب وهو يقول:

– سأحضره فوراً .

(ابراهيم):

– وأنا سأعطي تعليمات لمساعدي بأنه يمكنك الزيارة وقتما تشاء.

تصافحا وانطلق (جلال) عائداً للفيلا ، سيحضر ابنه للطبيب ليوقع عليه الكشف ، لكن عاد ذلك الشعور المجهول لينطلق في عقله من جديد ، هذه هي النهاية ، لا مجال لأي شيء ، لامجال لأي علاج ، كفاك كبرا وعناداً يا (جلال) ... فأنت تعرف الحقيقة..

الحقيقة المرة.

****

الفصل العاشر

مر قرابة الشهرين ، تردد خلالهما (جلال) و (أمل) برفقة (آدم) علي عيادة الطبيب الشهير ، مر الوقت مابين كشف وتحليل وأشعة وانتظار التقارير ودراسة التقارير، وفي كل مرة كانت تلك البقع السرطانية تزداد انتشاراً ، كان قلب (أمل) ينفطر بشده علي طفلها الوحيد ، فبحكم عملها ودراستها كانت تدرك ما هم مقدمون عليه ، وكانت تعلم بالنتيجة الحتمية التي سيلقاها المسكين (آدم) .

المرة الأخيرة أخبرهم الدكتور (إبراهيم) بأن هناك وفد متخصص من الولايات المتحدة ، سيحضر إلي القاهرة في منتصف الشهر القادم ، وهم الأمل الأخير بالنسبة لـ(آدم).

كان (جلال) يجلس في حجرة المكتب بالطابق الأرضي من الفيلا ، عندما دخلت عليه (أمل) شاحبة وقد ذهب عنها تألقها وبهاءها المعتادين ، جلست علي أحد المقعدين المقابلين للمكتب حيث يجلس زوجها ، وقالت له:

– ماذا سنفعل يا (جلال)؟

نظرا لها ثم نقل عينيه لصورة تجمع ثلاثتهم موجودة أمامه علي المكتب قبل أن يقول:

– المفترض أن تخبريني أنت .. ألست صيدلانية؟ .. دكتور (إبراهيم) يقول أنه علينا الانتظار حتي يصل الوفد الأمريكي وبعدها سنرى.

قالت:

– أكاد أموت من الخوف يا (جلال) .. الأمر خرج عن السيطرة بحق كما قال الدكتور

– لست وحدك يا (أمل) من يقتله الخوف .. أنا لا أتخيل ما يحدث لـ(آدم) .. هلي هذه النهاية ؟ هل أستحق هذا المصير ؟ .. سأصاب بالجنون إن فقدته .. لن يصبح للحياة كلها أي معني بعد.

سمع الصوت المميز لهاتفه المحمول ، فالتقطه ليجد الشاشة الكبيرة تحمل اسم (ثروت) ، فمط شفتيه وقال:

ليس هذا الوقت المناسب لك أو لغيرك يا (ثروت) قالها والقي بهاتفه مرة أخري فوق المكتب، قام من خلف المكتب ولف حوله ليقف أمام (أمل) ثم امسك كفها ليساعده علي القيام وهو يقول :

– فلنخرج للشرفة لاستنشاق بعض الهواء.

سارا سوية وقبل أن يخرج ضغط علي زر جهاز الانتركم ليتصل بالمطبخ وقال:

– أخضر لنا كأسين من العصير في الشرفة يا (سيد)

ثما اكملا طريقهما نحو الشرفة الخارجية المطلة على حديقة الفيلا.

في هذه الفترة لم يعد (جلال) مهتما بشيء في الحياة سوى أن يظل أكبر وقت ممكن بجوار (آدم) ، لم يعد يذهب للشركة ولا لمكتبه الخاص وترك لـ(مُحَمَّد) أمور تسيير العمل ، في أعماقه كان يعرف المصير المحتوم الذي ينتظر (آدم) ، لا يمكنه احتمال هذا الشعور أبداً ، لا يمكنه العيش بدون ولده .

كانت الشمس مالت للمغيب ، (جلال) و (أمل) جالسان أمام شاشة التليفزيون وبينهما (آدم) في حجرة هذا الأخير وهو يلعب أحد الألعاب الـ Play station الشهيرة عندما سمعا طرقات علي باب الحجرة ، فقالت (أمل):

– تفضل!

انفتح الباب وكان (سيد) يقف متحرجاً وهو يقول:

– عفوا يا سيدتي .. عفوا يا سيدي .. لكن هاتفك المحمول لا يتوقف عن الرنين منذ عدة دقائق فأحضرته لك من المكتب .

التفت له (جلال) وسأله:

– ومن هو هذا المتصل اللحوح يا (سيد)؟

قال الرجل:

– إنه الاستاذ (ثروت نوح) المحامي.

مد (جلال) يده فتقدم الرجل لداخل الحجرة وناول (جلال) هاتفه ، وغادر بسرعة عائدا من حيث أتي وهو يغلق الباب مرة أخري خلفه ، وما إن أمسك (جلال) بالهاتف هتي رن مرة أخري معلنا عن استقبال اتصال جديد من (ثروت) فتمتم (جلال) :

– يا لك من مزعج!

سألت (أمل) :

– أهو (ثروت) من جديد؟

هز رأسه علامة الإيجاب فقالت:

– الرجل يحاول الاتصال بك منذ الصباح .. ربما الأمر هام بالفعل.

قال:

– حسناً .. فلنرى ماذا يريد.

ثم ضغط زر الاجابة فسمع المحامي يهتف بحماسة كبيرة من علي الجانب الآخر قائلاً:

– أخيراً! ... أين أنت منذ صباح اليوم؟

(جلال) بحنق:

– اسمع يا (ثروت) .. لست في مزاج لسماع ثرثرتك .. لماذا لا تتحدث مع (مُحَمَّد) فيما تريد؟

(ثروت) :

– يبدو أنك لا تتابع ما يحدث .. ألم تشاهد التلفاز يا رجل؟!!

مط (جلال) شفتيه وقال بغضب:

– كلا يا (ثروت) لم أشاهد شيء .. هيا قل ما لديك قبل أن أفكر في انهاء الوكالة التي تجمعني بك .. فأنا في مزاج عكر للغاية يا رجل.

ضحك (ثروت) في بلادة عجيبة وهو يقول:

– إهدئ إهدئ .. أنت بالفعل لا تدري ماذا يحدث في البلاد .. ألم تسمع عن دعوات التظاهر التي انطلقت للتظاهر ضد الداخلية اليوم.

عقد (جلال) حاجبيه وقد بدا عليه الاهتمام وهو يقول:

– وهل أسفرت تلك الدعوات عن شيء يستحق القلق؟

(ثروت) :

– أسفرت ؟!! .. عليك أن تشاهد التلفاز فوراً .. الالاف في ميدان التحرير .. وهناك تظاهرت في بعض المحافظات أيضاً.

رسمت الدهشة نفسها علي ملامح (جلال) وقال:

– حسناً يا (ثروت) .. سأشاهد ما يحدث .. ولنرى إلى ما ستنتهي الأمور.

قالها وأنهي الاتصال فسألته (أمل):

– ماذا هناك ؟

قال وهو يقوم من مكانه :

– (ثروت) يقول أن التظاهرات ضد الداخلية قوية والالاف يملئون ميدان التحرير!

قامت معه وقبلت (آدم) في حين قال (جلال) للصغير:

– عذراً يا حبيبي .. فوالدك ووالدتك عليهم مشاهدة أمر ما .. فلتلعب قليلا وحدك.

قالها وخرج هو و(أمل) ونزلا للطابق الأرضي وجلسا أمام التلفاز الكبير وتناول جهاز التحكم عن بعد الريموت كنترول ليبحث بين القنوات ، لم يكن الوصول للمشهد صعب ، فمعظم القنوات الاخبارية تبث نفس المشاهد.

لم يكن ما يشاهدانه سهل التصديق ، القناة التليفزيونية تنقل مشهداً عاماً لميدان التحرير ، الميدان يمتلئ بالبشر ، أما ميدان التحرير لمن لا يعرف فهو أكبر وأشهر ميادين مصر علي الاطلاق ، وبه المتحف المصري للآثار ، ومجمع التحرير الشهير الذي يضم الغالبية العظمى من الوزارات والجهات التنفيذية ، أنشأه الخديوي اسماعيل ، لذا سمي في البداية بميدان الاسماعيلية ، لكنه كان محل تجمع المتظاهرين في ثورة ١٩١٩ ، فأصبح اسمه منذ ذلك الوقت بميدان التحرير رمزا للتحرر من الاحتلال الانجليزي آن ذاك.

قالت (أمل) وهي تكاد لا تصدق ما ترى:

– ما كل هذا العدد ؟

(جلال) بدهشة لا تقل عن دهشتها:

– لا أدري .. من كان يتصور نزول هذا العدد ضد بطش الداخلية .. ألا يخشون عاقبة ما فعلوه؟

(أمل):

– عن أي عاقبة تتحدث؟! .. الداخلية لا يمكنها القاء القبض علي كل هذه الأعداد.

(جلال) :

– لقد قال (ثروت) أن هناك تظاهرات مماثلة في محافظات مختلفة.

قالت :

– سأجري اتصال بأمي لتخبرنا ما الوضع في الاسكندرية.

قامت وغابت لدقائق تتحدث إلي والديها عبر الهاتف ، وظل (جلال) يتنقل بين القنوات الفضائية ليسمع مختلف التعليقات علي المشهد ، عادت (أمل) مرة أخري لتجلس بجواره وهي تقول:

– أخبرني والدي إن الاسكندرية أيضا بها أعداد كبيرة تطالب بحق (خالد سعيد) والقصاص من المتسببين في مصرعه.

قال:

– الشيء الذي يثير دهشتي أن وزير الداخلية قال أن التقارير الواردة لها من الإدارات تدل علي أن هذه الدعاوي للتظاهر لن تكن ذات شأن علي الإطلاق .. كان يؤكد أن الأعداد المتوقعة لن تزيد عن ألفان أو ألفان وخمسمائة شخص .. ما نراه أمامنا يدل علي عدم صدق تقارير الجهات الأمنية.

قالت:

– وربما لم تكن هناك تقارير من الأساس وكان يحاول أن يجعل الصورة هينة أمام مجلس الوزراء.

هز كتفيه وهو يقول:

– ربما !

ظل الاثنان يتابعان المشهد وإصرار الشباب علي معاقبة قتلة الشاب (خالد سعيد) والذي يؤكد أهله أنه لقي ربه من جراء التعذيب علي يد رجال الشرطة في حين جاءت التقارير الرسمية لتخبر قصة مختلفة تماماً ، وتلمح لتعاطي الشاب للمخدرات ولتعرضه لحادث أو شجار أودى بحياته .

كان الليل قد انتصف وهما علي نفس الوضعية ، منذ بعض الوقت تأكدت (أمل) من نوم (آدم) في فراشه وعادت لتتابع ما يحدث في مصر، الشباب الموجود في الميدان لديه إصرار عجيب علي عدم ترك مواقعهم إلا بعد تحقيق مطلبهم بمعاقبة الضباط والأمناء المتهمين في قضية مقتل الشاب ، وبدأوا في نصب بعض الخيام في حديقة الميدان الكبيرة ، يبدو أن الأمور لن تمر مرور الكرام علي هؤلاء المتهمين من رجال الشرطة.

قرر الزوجين الخلود للنوم وانتظار الغد لمعرفة ماذا سيحدث ، وهل سيستمر الشباب بنفس الاصرار ؟ هل ستستجيب الدولة لمطلبهم ؟ الوقت وحده سيجيب تلك الأسئلة.

****

استمر الأمر علي ما هو عليه ، بل زادت الأعداد في شوارع مصر ، وزاد مطلب الشباب ليصل إلي الإطاحة بوزير الداخلية نفسه ، كل هذا والحكومة تسير في نفس المسار ، لم تحاول حتي التفاوض معي الشباب الغاضب الذي ملئ كل ربوع مصر وبات علي وشك الانفجار.

كان (جلال) و(أمل) كعادتهما في اليومين الأخيرين يجلسان أمام شاشة التليفزيون لمتابعة أخر المستجدات وبجوارهما (ادم) يلهو بألعابه الخاصة ، عندما رن هاتف (جلال) المحمول معلنا اتصال من (صفوان) ، فأجاب (جلال) الاتصال :

– مرحبا يا (صفوان) بك.

(صفوان) بجدة :

– اسمع يا (جلال) الأمر أصبح في منتهي الخطورة .. مطلوب منك بعض الدعم بأقصى سرعة .. لا تحضر شيكات .. المطلوب أموال نقدية ووافنا بها في الامانة العامة للحزب قبل حلول المساء.

(جلال) بقلق:

– هل هناك شيء ما يتم ترتيبه؟

(صفوان) بعصبية:

– بالطبع .. هل تظن اننا سنقف نتفرج علي أولئك الصبية وهم يشعلون البلاد ؟! .. من الغد سيكون لنا انصار في الشارع لتأييدنا وموازنة الأمور بعض الشيء .. وهذا أمر يحتاج للصرف .. رقبتنا جميعا في المقصلة يا (جلال).

(جلال):

– حسناً .. سآتي في أسرع وقت .

قالها وأنهي المكالمة بعصبية فسألته (أمل) :

– هل ستخرج في هذه الظروف ؟ .. الدنيا مشتعلة وهناك إطلاق للنار في أماكن كثيرة.

ابتسم ابتسامة باهته وقال وهو يقوم من مجلسه:

– لا تقلقي يا حبيبتي .. أمر هام سأنتهي منه سريعاً وأعود بأقصى سرعة.

لم يعطيها فرص لتعلق علي قوله وانطلق خارجاً ، تركها وهي لا تعلم إلى أين سيذهب ، ظلت تتابعه بنظرها حتي خرج من الفيلا مغلقاً بابها خلفه فعادت لجلسها وضمت (آدم) لها ، حضنها الطفل بيديه الصغيرتين وهو يقول:

– أين ذهب أبي يا أمي ؟

قالت:

– ذهب لقضاء أمر ما وسيعود سريعاً يا حبيبي .. لا تقلق فأنا معك.

قال الصغير:

– لقد بدأت أشعر ببعض الألم من جديد يا أمي .

شعرت بقبضة من الثلج تعتصر قلبها بين ضلوعها ، فربتت علي رأس (آدم) وقالت:

– لا تخف يا حبيبي .. سيذهب سريعا ذلك الألم .. فلقد حصلت بالأمس علي العلاج وسيساعدك هذا.

انتزعها الموقف من الاهتمام بما يحدث في مصر لدقائق شعرت خلالها بالمرارة ، ولكنها هدأت بعدما عاد (آدم) للعب من جديد وقد ذهب عنه شعوره بالألم.

عاد (جلال) في المساء وانضم لزوجته أمام الشاشة الكبيرة ، جلس بجوارها وألقي برأسه للخلف ليسندها علي المقعد ، كان واضح عليه الإرهاق والتعب بشكل كبير ، سأل (أمل):

– هل نام (آدم)؟

قالت :

– نعم قد نام .. هل تناولت طعامك ؟ .. اتصلت بك كثيراً ولم تجب.

التفت اليها وقال:

– اعذريني فقد استغرقت في عدة أمور .. هل تناولتي طعامك ؟ فأنا اتضور جوعاً.

قالت :

– إذن سأطلب من (سيد) تحضير العشاء لكلينا .. فقد انتظرت عودتك لنأكل معاً.

قام من مجلسه وقبلها علي جبينها وقال:

– وأنا سأغتسل سريعا لطرد هذا الارهاق والحق بك ريثما يتم إعداد الطعام.

غادر ليصعد للطابق العلوي بينما قامت هي اتجهت للانتركم علي أحد الحوائط لتطلب اعداد العشاء.

انتهى الخدم من وضع الطعام علي المائدة أمام (جلال) و(أمل) اللذان جلسا متقابلين أمام الطعام وبدءا في تناول طعامهما ، لاك (جلال) الطعام في فمه لبعض الوقت ثم ابتعه وقال:

– الحكومة ستقطع الاتصالات من الصباح.

توقفت عن الأكل وقالت:

– أي عبث هذا ؟! .. هذه الحكومة يجب أن ترحل بحق .. إن فعلوها فيكسبون المزيد من كراهية الناس لهم.

هز كتفيه وقال:

– صدقيني الأمر خرج عن سيطرتهم هذه المرة .. هذا القرار له دلالة على أشياء عدة .. تصوري ماذا يمكن للداخلية أن تفعل بعد انقطاع الاتصالات الخليوية وقطع الانترنت.

قالت :

– إذن سيلجئون للعنف بقوة من الغد.

قال :

– أنا لم أقل هذا بالضبط .. ولا أعرف بالتحديد ما تنوي الحكومة أن تفعله .. لكن هذا القرار قرار يدل في رأيي على انعدام الحيل والاتزان لديهم .. بل وانعدام الأمل كذلك.

قالت :

– ألم أقل لك أنهم يكسبون مزيدا من الكراهية.

هز رأسه وعادا لإكمال طعامهما ، وبعدما فرغا من الطعام صعدا لينالا قسطاً من الراحة ، ولينتظرا أحداث الغد .

لم يكن حالهما يختلف عن غالبية البيوت المصرية ، الجميع يتابع ما يحدث ما بين غير مصدق ومصدوم ومتحمس ، وبين من دب فيهم الأمل في التخلص من حكومة رجال الأعمال كما يحلو للبعض تسميتها ، وبين من يصب غضبه بالسباب علي الشباب المجتمع في مختلف ميادين مصر بسبب شعورهم باقتراب زوال أوليائهم ومصادر نعمتهم ، كانت الامور مختلطة بشكل كبير ، وفجأة تحول المصريون إلي خبراء سياسيين ومحللين استراتيجيين ، بنفس المنطق الذي يجعلهم جميعاً خبراء في كرة القدم عندما يلعب الفريق القومي أو فرق الدوري المختلفة ، لقد أصبح الجميع سياسي محنك فقط لأنه يشاهد القنوات الاخبارية.

بعد انقطاع الاتصالات أصاب المصريين الحنق ، أصبح المتظاهرون في طول البلاد وعرضها يردون رحيل الحكومة بالكامل ، بل ذهب البعض لأبعد من ذلك ، بدءوا يطالبون برحيل رأس النظام ، يطالبون برحيل الرئيس نفسه ، هل يرحل الرئيس ؟!

هل من الممكن حدوث هذا الأمر ؟!

تجد من يسخر من هذا القول مقتبساً مقولة عادل إمام في مسرحية الزعيم "هو فيه رئيس بيموت يا باشا" !

طبعاً لم يكن أحدي يعني المعني الحرفي للجملة وهو وفاة الرئيس ، لكن التهكم كان على فكرة رحيل الرئيس ، فهل هذا ممكن في هذه البلاد ؟!

الأحداث تداعي بشكل عجيب في مصر ..

تمت قبول استقالة حكومة أحمد نظيف ، أو تمت إقالتها ، انقطعت الاتصالات قبل ذلك ، تكليف الفريق أحمد شفيق باختيار مجلس وزراء تسيير أعمال للوزراء ، اقتحمت السجون وانطلق الأشقياء في كل مكان ، عمت الفوضى كل شيء ، كبري المحلات ذات العلامات التجارية الكبيرة تعرضت للسرقة والتدمير ، لا أحد آمن في بيته ، الرجال باتوا الليالي في الطرقات لحماية منازلهم من البلطجية واللصوص .

كان المراقب الذي ينظر للصورة من الخارج يري انتشار جماعة الاخوان علي الأرض ومعهم الجماعة الاسلامية والسلفيين ، ووصل بهم الأمر إلي مهاجمة رجال الاوقاف أمة المساجد في خطب الجمعة ، الحركات المعترضة علي سياسة الدولة لها صوت مسموع الآن ، الناس امتلئت صدورهم بالغضب ولم يعد تغيير الحكومة هو الأمر الشافي للناس ، حتي أن الكثيرين اعترضوا علي تولي أحمد شفيق للوزارة وطالبوا برحيلة في ليلته الأولي .

ثم كانت الضربة القاضية للنظام ، موقعة الجمل ، يوم الثاني من فبراير فوجئ المعتصمين بميدان التحرير بهجوم عنيف بواسطة الخيول والجمال ، لهذا اطلق عليها اسم موقعة الجمل ، وسقط العشرات قتلى ، المصابون في كل مكان .

الآن الكل علي هدف واحد في الميادين المختلفة ..

اسقاط رأس النظام ..

عندما خرج رئيس الجمهورية بخطابة التاريخي للشعب ليؤكد عدم نيته ، أو ابنه ، في الترشح مرة اخرى للرئاسة ، وأمله ان يقضي باقي فترته قبل أن يرحل في هدوء ، مال لحديثه كثير من الناس ، فليكمل الرجل تلك الشهور المتبقية ثم يرحل في صمت.

لكن من يضمن إذا هدأت الجماهير الغاضبة أن يرحل الرجل بالفعل ؟

ثم جاءت حادثة أو موقعة الجمل لتبدد أخر أمل باق للنظام.

وحدث ما لم يكن يخطر ببال أحد عندما بدأت التظاهرات في الخامس والعشرون من يناير ، لقد حدث ما ظنه الكثيرين مستحيلاً ، لقد حدثت المعجزة ، لقد نجحت الثورة واطاحت بالنظام.

لقد تنحي الرئيس ..

لقد اصبح لدينا رئيساً سابقاً ..

كل من شاهد وعايش احتفال الشعب المصري بالفوز بالبطولة الأفريقية ثلاث مرات متتالية يشعر أن تلك الفرحة ما هي إلا نقطة في بحر الفرحة التي غمرت المصريين ، الكل يتبادل التهاني ، البلاد تعيش عرس كبير ، الكل يعيش حلم نادر الحدوث ، لكنه حدث بالفعل.

لكن دعونا من كل تلك الاحداث فبالطبع الجميع يعرفها وعايشها ، لكن ما يهمنا هو أسرة (جلال) ، علي وجه الخصوص علينا الاطمئنان علي (آدم).

كانت حالة (آدم) غير مستقرة ، لم يستطيع (جلال) الوصول إلي الدكتور (إبراهيم) علي الاطلاق ، فبعد انقطاع الاتصالات وجد (جلال) عيادة الدكتور مغلقة ، ولا أحد من العاملين بالمستشفى الخاص الذي يعمل به (إبراهيم) يعرف شيء عن ذاك الأخير ، حتي بعد عودة الاتصالات ورحيل النظام وعودة شيء من الهدوء للشارع ظلت العيادة مغلقة وظل الدكتور بعيد المنال .

ولكن فجأة ، تلقي (جلال) اتصال من الدكتور (إبراهيم) وأخبره أنه كان يخشى من معاودة عملة بسبب الانفلات الأمني ، لكن المهم كان في الخبر الثاني ، ذلك الخبر الذي وقع كالصاعقة علي (جلال) و (أمل).

لقد ألغى فريق الأطباء الأمريكي رحلته لمصر بسبب الأحداث الجارية.

لقد أصبح الوضع شبه مستحيل ، (آدم) الصغير يسير ببطء نحو نهايته المأساوية، عاد للخضوع مرة أخري لجلسات العلاج الخاصة التي تجعله يتحمل ما يمر به لبعض الوقت ،لكن لم ينجح العلاج في وقف انتشار المرض في جسد الطفل المسكين ، ربما لم يعد الانتشار بنفس سرعته السابقة ، لكنه لم يتوقف تماماً ، فربما لا يزال هناك أمل يرجى.

بمرور الوقت تغيرت طباع (جلال) وكأنه لا يتحمل ما يحدث لابنه ، أصبح أكثر عصبية ، أكثر عدوانية ، لا يكترث لشيء ، كان قد أعطي جميع العاملين لديه إجازة مدفوعة منذ اندلاع احداث الثورة وحتي الآن ، رغم عودة الغالبية من الشركات الكبرى لممارسة عملها بانتظام ، ورغم تلقيه النصائح من (مُحَمَّد) و (ثروت) وكل المحيطين به ، لكن هناك شيء في داخله نشئ وينمو ، هذا الشيء اسمه اللامبالاة.

استغرق الأمر أكثر من شهرين كاملين ليعود للعمل ويعيد العاملين من إجازاتهم ، وبدأت تعود الحياة له بشكل أو بأخر ، كان يجلس في مكتبه بمقر الشركة عندما جاءه ذلك الاتصال الهاتفي ، اتصال من (صفوان).

كان (مُحَمَّد) يجلس أمامه عندما تلقي هذا الاتصال ، وشعر (مُحَمَّد) بالقلق علي أخيه عندما تغيرت ملامحه من شيء سمعه في المكالمة ، انتظر (مُحَمَّد) حتي انتهي المكالمة فسأل أخيه بقلق :

– ماذا هناك يا جلال؟

(جلال) مصدوماً:

– لقد وُضِعَ اسمي علي قوائم الممنوعين من السفر .. وسيصلني استدعاء من النائب العام قريباً.

اتسعت عينا (مُحَمَّد) قبل أن يقول :

– ماذا ؟! النائب العام ... وماذا يريد منا النائب العام ؟!

(جلال) بقلق بالغ:

– لا أعلم شيئاً يا (مُحَمَّد) .. لقد أخبرني (صفوان) بالأمر ولا أعرف سبب لذلك .

(مُحَمَّد) :

– إذن فعليك الاتصال (بثروت) سريعاً.

نظر له (جلال) وكأنه لم يكن ليفكر في هذا الأمر المنطقي ، وقال وهو يقم من خلف المكتب:

– بل سأذهب إليه فوراً.

قام (مُحَمَّد) أيضاً وهو يقول:

– سآتي معك.

(جلال):

– لا .. سأذهب وحدي .. يجب أن تبقي تتابع سير العمل في هذه الايام العصيبة.

لم يترك فرصة لأخيه ليعترض وانطلق خارجاً ، لم تمض ساعة أخري حتي كان (جلال) جالساً مع (ثروت) في مكتب الأخير ، كان المكتب أنيق ، تجد به مظاهر الفخامة ، وهو ما يتناقض مع طبيعة (ثروت) الحريص ، لكنه كان يعرف أن المظهر الراقي الذي يظهر به يساعده في طلب الأتعاب الباهظة من موكليه في القضايا المختلفة .

كان (ثروت) و(جلال) يجلسان متواجهان علي المقعدين المتقابلين أمام مكتب الأول ، وأمامهما كوبين من الشاي ، رشف (ثروت) رشفة من كوبه وتركه أمامه مرة أخرى ثم شبك أصابع كفيه أمام كرشه الضخم متكئاً بمرفقية علي مسندي المقعد وقال:

– إذن اخبرك (صفوان) بأن هناك محاولات لإرضاء الاخوان والحركات التي امتلئت بها البلد ... واسمك من ضمن الاسماء المطلوب التحقيق معها بسبب قطعة الأرض التي حصلت عليها.

أومأ (جلال) برأسه علامة الموافقة وقال:

– بالضبط يا (ثروت).

(ثروت) :

– لكن هذا الأمر كان سراً .. حتي أن أخيك وزوجتك لا يعلمان شيئاً عنها.

صمت (جلال) قليلاً ثم قال:

– لقد كان (صفوان) واضحاً .. هناك معلومات كثيرة تم تسريبها .. وهناك أيضاً الكثير من الكلاب المسعورة كما قال الرجل .. لكنه أكد لي أن الموضوع سينتهي بالتصالح مع الدولة في حين أن هناك رجال أعمال أخرين سيقعون في مشاكل أكبر.

تناول (ثروت) كوبه وارتشف منه قليلا من الشاي قبل أن يتركه مكانه مرة أخرى ويقول:

– سنذهب سوية للنائب العام وسأنهي الأمر .. لا تقلق .. لكن علي إجراء بعض الاتصالات للوقوف على طبيعة الموقف وابعاده.

سأله (جلال) :

– هل ستتصل بالنائب العام شخصياً؟

ابتسم (ثروت) وهو يقول:

– لا تشغل بالك .. فلدي اسلوبي الخاص في التعامل مع تلك المشكلات .. لكن حضر دفتر الشيكات يا (جلال) بك.

قام (جلال) ليغادر المكتب قائلاً :

– لا تقلق من هذا الجانب أيها الجشع.

قالها وانطلق

****

ماذا ؟!

هتفت بها (أمل) بعدما أخبرها (جلال) بما حدث ، غلبتها الدهشة والصدمة وهما يجلسان في الفيلا ، بالطبع لم يذكر لها شيء عن أمر الأرض التي حصل عليها ، قال لها محاولا تهدئتها:

– لا تقلقي .. فوضعي سليم تماماً .. إنما هي إجراءات سيتعرض لها كبار رجال الأعمال في البلد .

قالت:

– ولم يتم منعك من السفر ؟

قال:

– إنها إجراءات تكميلية ... صدقيني سينتهي الأمر سريعاً .

اعتدل في جلسته وهو يسألها :

– أخبريني ما أخر الأخبار؟

مطت شفتيها وقالت:

– الأمر مربك .. الاستفتاء بعد يومين والقنوات تكثف دعايتها كل حسب توجهه .. تصور أن هناك بعض المنشورات توزع في الشوارع بها صور قساوسة وفنانين وتدع هذه المنشورات للتصويت بنعم علي استمرار العمل بالدستور وعدم الانصياع للكفرة الموجودين في المنشور والذين يدعمون التصويت بلا.

هز رأسه قائلاً :

– يعلمون أن الشعب المصري طيب بطبعه ومتدين بطبعه ويستغلون هذه النقطة لتحقيق أهدافهم.

سألته :

– وأنت بمَ ستصوت ؟

(جلال):

– بلا .. يجب وقف هذا الدستور واقرار دستوراً جديداً.

قالت:

– هذا قراري أنا أيضاً.

قام من جوارها وقال:

– اطلبي من (سيد) تحضير الطعام ريثما ألاعب (آدم) قليلاً.

قالها وصعد راكضا نحو حجرة الصغير .

كانت الدقائق التي يقضيها مع (آدم) هي ما تعيد له الهدوء بعض الشيء ، فتقل عصبيته وحدته ، ويحاول إسعاد ابنه قدر ما يستطيع ، رغم ذلك لم يفارقه ذلك الشعور ...

شعوره بضياع حلمه ..

ضياع (آدم).

مر اسبوعان ، يبدو أن (ثروت) لديه أساليبه بالفعل ، لقد أخبر (جلال) بأن الأمر سينتهي شريطة التنازل عن الأراضي التي حصل عليها للدولة وسيتم رفع اسمه من قوائم المنع من السفر ، وسيتم نسيان الأمر بعدها لأنه لا يوجد ما يشينه سوي تلك المسألة.

وعندما جاء الاستدعاء وذهبا للتحقيق ، لم يستغرق الأمر الكثير من الوقت ، لكن هناك شيء ما في حديث النائب العام معهما ، لقد لمح الرجل للشركة الخاصة لـ(جلال) مع كبار رجال النظام المتنحي ، لكن لا يوجد شيء رسمي يربط بينهما ، فما كان هدفه من هذا التلميح؟

لقد فسر (ثروت) الأمر علي أنه لا مانع لديهم من استمرار هذه الشراكة ، لكن لم يكن هناك موافقة علي ترك الأراضي في حوزته ، عجيبة هي خبايا وتعقيدات الأمور عندما يتعلق الأمر بالسلطة والمال ، السلطة لديها القدرة لفعل ما تريد ، وتحتاج للمال ، ورجال المال يحتاجون للسلطة لزيادة أرباحهم ، فعندما تعقد الصفقات الخاصة بين الاثنين فالأمر لا يمكن السيطرة عليه بالكامل، طالما رغبت السلطة في استمراره فهو مستمر ، وإن تغير التوجه فالأمر ينتهي في لحظات.

كان عائداً للفيلا عندما سمع النغمة المميزة لهاتفه المحمول ، تناوله ليجد أن (أمل) هي من يتصل ، ظن أنها تريد الاطمئنان علي ما حدث في مكتب النائب العام فأجابها فوراً وهو يقول :

– قولي لي مبروك .

فوجئ بها تصرخ باكية وكأنها لم تسمع قوله:

– (آدم) يا (جلال) ... (آدم)

سألها بقلق :

– ماذا حدث له ؟

تصاعد نحيبها قبل أن تقول كلمة واحدة بصوت مختنق :

– مات!

اتسعت عيناه هلعاً ، ولم ينتبه لنفسه ولا للطريق ، غلبته الصدمة ، بل جعلته في حالة تشبه الغيبوبة للحظات ، بالفعل لم يكن يشعر بأي شيء حوله ، لم يخرجه من تلك الحالة سوى صوت اصطدام شيء ما بمقدمة سيارته ...

لقد صدم أحد المارة أمامه .

مات (آدم).

مات الابن .. بل مات الحلم ..

يوم الوفاة ، فوجئت (أمل) بصغيرها يصرخ من الألم ، أسرعت راكضة تقطع المسافة بين حجرتها وحجرته ، دخلت عليه لتجده جالسا علي الارض مستنداً لأسفل أحد المقعد ، في مواجهة التليفزيون حيث كان يلهب بألعاب الفيديو ، يديه علي معدته ، الدماء تلطخ فمه وتظهر علي الأرض أمامه.

لوهله تجمدت (أمل) ، تجمد المكان ، تجمد الزمان ، ثم انتفضت كمن أفاقت من كابوس مرعب ، عيناها متسعتين وفمها مفتوح ، لكنها أفاقت علي واقع أكثر رعباً من أسوء كوابيسها ، ألقت نفسها نحوه وهي ملتاعة مما تراه ، بمجرد ما وصلت إليه تجمد الصغير ، وسكت عن الصراخ ، وتوقف عن بثق الدماء ، توقف عن الألم ، وأيضا عن التنفس.

شعرت ببرودة القطب الشمالي تخرج من جسدها وهي تنظر لابنها الذي فاضت روحه إلي خالقها بين يديها قبل لحظات ، للمرة الثانية تجمد كل شيء يحيط بها وهي تنظر لوجه (آدم) الذي لم يعد يحمل أي ملمح من ملامح الحياة .

نزلت من عينيها دمعات حارة ، بل مشتعلة كالجمر ، أذابت الجليد الذي غلفها للمرة الثانية للحظات ، وخرجت من بين شفتيها صرخة سمعها كل العاملين في الفيلا ..

صرخت بكل ما في قلبها من لوعة وألم ..

صرخت (آاااااادااااااام).

انتابتها حالة هيستيرية وبدأت في النحيب والصراخ ، هرع العاملين في الفيلا يتقدمهم (سيد) للحجرة ، تسمروا عند الباب لما رأوه ، حتي نطق (سيد) :

– لا إله إلا الله .. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كررها ثلاثاً فتبعه العاملين بنفس القول ، تقدم (سيد) وعيناه تذرفان الدمع ليحمل جسد الطفل ويرقده علي الفراش الصغير ، وحاول مساعدة الأم المنهارة لتقم من على الأرض ويجلسها علي المقعد المجاور وهو يردد الشهادة.

للحظة سكنت (أمل) تماماً ، ولصمتها سكت الجميع ، ظل (سيد) ينظر لها بقلق ، فلقد أرجعت رأسها للخلف وهي تحدق في سقف الحجرة ، هكذا ظلت للحظات ثم عدلت رأسها مره أخرى وتتوجه بنظرها نحو فراش (أدم) خلف (سيد) الذي لا زال واقفاً أمامها.

فجأة انقضت علي (سيد) ، أو بالأحرى كانت تحاول تجاوزه لتصل للفراش حيث يرقد (آدم) ، غير أن الرجل أمسك بها بسرعة ، عادت لتطرق الصراخ مرة أخرى قبل أن يسقط جهازها العصبي مصدوماً ويغشى عليها .

نقلها العاملون بالمنزل لحجرة النوم الرئيسية ووضعوها في الفراش وكل منهم يردد ما يخط بباله من دعاء ، ثم نزلوا جميعا لبهو الفيلا ، وقال الطاهي موجها كلامه ل(سيد):

– عليك الاتصال بـ(جلال) بك يا (سيد).

صمت الرجل المسن لحظات قبل أن يقول :

– لا يمكنني أخباره بأمر كهذا .. سأنتظر السيدة حتي تفيق وتخبره هي بالأمر.

ظلت (أمل) في غيبوبتها لمدة تجاوزت النصف ساعة بدقائق قليلة ، أفاقت وفتحت عينيها لتتأمل حجرتها لثوانٍ ، قبل أن ترفع نصفها العلوي لتستند إلى ظهر السرير ، ثم ثنت قدميها نحو صدرها وأحاطت ساقيها ودفنت رأسها بين رجليها وتجهش بالبكاء من جديد.

ارتفع صوت بكاها لتجد دقات علي باب الحجرة ، لم تتمكن من الإجابة فعادت الدقات من جديد ، لم تجب أيضاً فانفتح الباب قليلا وببطء وكان ورائه (سيد) الذي تنحنح حرجاً وهو يقول:

– هل يمكنني الدخول يا سيدتي؟

اعتدلت لتجلس على طرف الفراش وهي تقول:

– ادخل يا (سيد).

كانت تحاول منع دموعها غير أن محاولاتها كانت دائماً فاشلة ، أكمل (سيد) فتح الباب ولم يدخل بالفعل للحجرة بل ظل علي بابها أدباً ، ثم قال (أمل):

– حمداً لله علي سلامتك يا سيدتي.

نظرت إليه وتصاعد بكائها وهي تقول:

– مات (آدم) يا (سيد).

شعر الرجل بالشفقة عليها ، وحاول مواساتها فقال:

– لله ما أخذ ولله ما أعطى يا سيدتي ... اصبري واحتسبي.

مسحت دموعها الغزيرة بكفها قبل أن تسأله:

– هل أخبرتم (جلال) ؟

هز رأسه نافياً وقال:

– لم أستطع يا سيدتي ، فأنت من يجب عليه إخباره.

قامت وتوجهت لطاولة صغيرة بجوار الفراش لتتناول هاتفها المحمول ،كانت تبكي بصوت مسموع ، وغير قادرة علي الاحتمال .

استطاعة الوصول لرقم (جلال) علي الهاتف وطلبته ، انتظرت حتي سمعته علي الجانب الأخر فصرخت باكية:

– (آدم) يا (جلال) ... (آدم)

سألها بقلق :

– ماذا حدث له ؟

تصاعد نحيبها قبل أن تقول كلمة واحدة بصوت مختنق :

– مات!

سمعت الصمت فقط ، ثم انقطع الاتصال.

****

تم دفن جثمان (آدم) ، ومرت الأيام ، المسكينة (أمل) لم تحتمل ، وتم وضعها في أحدى المستشفيات للمتابعة بعد الصدمة العصبية التي أصابتها ، (جلال) على وشك الدخول في حالة من الاكتئاب ، صامت لا يتكلم إلا نادراً ، لا يخرج من الفيلا حتي لزيارة زوجته ، بل لا يخرج من حجرته.

(مُحَمَّد) هو من أنهى إجراءات تصاريح الدفن ومراسم الدفن والعزاء بمعاونة (ثروت) ، وهذا الأخير حاول تحمل تكلفة علاج الرجل الذي صدمه (جلال) عند سماعه خبر موت ابنه وذلك لإنهاء الموضوع بطريقة ودية ، لكن الرجل رفض تقاضي أي تعويضات عندما عرف السبب الحقيقي للحادث ، بل وحضر الجنازة بنفسه ، لا يزال هناك رجال يتصفون بالشهامة في هذا الزمان.

احتاج (جلال) اسبوعين كاملين ليتمكن من الخروج لزيارة (أمل) في المستشفى ، ترك لحيته لتنبت في اهمال ، غير مبالي بمظهره كان يخرج ، يزور زوجته ويبقي بجوارها لبضعة ساعات ثم يعود ليلاً ، قليل الطعام والشراب .

مع الوقت بدأت حالة (أمل) في التحسن ، واحتاجت لشهر كامل من العلاج والمتابعة لحالتها النفسية السيئة قبل أن يسمح لها الأطباء بمغادرة المستشفى .

وفي الفيلا كان (مُحَمَّد) واسرته يقيموا مع (جلال) وزوجته لمساعدتهما علي تمضية هذه الأيام العصيبة ، وكان لوجودهم بينهما أثر كبير علي تحسن حالتهما النفسية ، أو بالتحديد تحسن حالة (أمل) إلي حد ما ، كانت (مها) تشجعها علي العودة لمعملها الخاص في حديقة الفيلا ، وكانت تصاحبها أيضاً ، وبدأت (أمل) فالعودة لأبحاثها من جديد بمعاونة (مها) وكان هناك أحد العاملين في الشركة التي تعمل بها يحضر مرة كل اسبوع ليتناقشا في أمور العمل.

أما (جلال) فالأمر مختلف ، صحيح أنه عاد مرة أخرى للعناية بمظهره ، لكنه استمر في ملازمة الفيلا وعدم الخروج إلا نادراً ، ترك أمور الإدارة لـ(مُحَمَّد) الذي كان كثيراً ما يحضر أوراق خاصة بالعمل لمناقشة ما بها ، أو لأخذ توقيع (جلال) عليها .

إذا قلنا أن (جلال) أصبح عنيفاً وعدوانياً فلابد أننا نمدحه!

تغيرت طباعه بشكل عجيب ، القسوة باتت تظهر في كل تصرفاته ، حتي مع (أمل) كان يعاملها وكأنها موظفة في شركته ، حتي أنه انهال بالضرب علي أحد الخدم لأنه تأخر في إحضار فنجان القهوة الذي طلبه.

تغيرت مشاعره تجاه أخيه وأسرته ، خصوصا تجاه (جلال) ابن أخيه ، سنجد هذا واضحاً عندما كان يجلس خلف مكتبة في الطابق الأرضي من الفيلا وأمامه يجلس (مُحَمَّد) يتناقشان في أحد الأمور الخاصة بالعمل ، عندما طرق (جلال) الصغير الباب ودخل وسلم علي أبيه وعمه بأدب فسأله (مُحَمَّد) :

– هل أنهيت تمرينك اليوم؟

قال:

– تعم يا أبي ، سأخوض منافسة المنطقة في الأسبوع القادم إن شاء الله ولابد من أن تحضر أنت وعمي لتشجيعي.

قال (مُحَمَّد):

– إن شاء الله يا ولدي وسيكون الفوز من نصيبك هذه المرة بإذن الله.

كان (جلال) الشاب يمارس رياضة السباح ويتفوق فيها أيضاً ، حياهما الشاب وخرج من الحجرة معتذرا عن المقاطعة ، نظر (مُحَمَّد) لأخيه وقال:

– سترافقني لحضور المنافسة ، أليس كذلك؟

نظر (جلال) لأخيه نظرة جامدة ثم مط شفتيه وهز رأسية علامة النفي دون أن ينطق ، فقال (مُحَمَّد) محاولاً دفعه للحضور:

– ولم ؟ ! سيسر (جلال) بوجدك معي يومئذ .. فهو يحبك كثيراً ويتخذ منك مثلاً أعلى له .. وهو بمثابة ابن لك و....

قاطعه (جلال) بغضب هادر:

– ابني مات يا (مُحَمَّد).

ثم ضرب سطح المكتب بقبضته وهو يكرر:

– مات.

****

بعد هذا الموقف شعر (مُحَمَّد) بأن وجوده هو واسرته في منزل أخيه لم يعد ذي فائدة ، وربما حان الوقت ليعودوا لحياتهم تاركين (جلال) و(أمل) لإكمال حياتهما وللحصول علي بعض الهدوء وحدهما.

وقد كان ، غير أن (جلال) و (أمل) لم يحظيا بالهدوء المأمول ، بدأت هناك خلافات تنشب بينهما لتوافه الأسباب ، حتي أن (جلال) جهز حجرة خاصة له في الفيلا بجوار غرفة النوم الرئيسية ، ليلجأ لها في حالة خلافه مع (أمل) لتكون هي مقره للنوم لعدة أيام قبلما يتصافيا مرة أخرى .

وذات يوم وحينما كان هناك بينهما خصام وجفاء كما باتت عادتهما في تلك الأيام ، كان (جلال) عائداً من الشركة ، أوقف سيارته وترجل منها ، وقبل دخوله إلي الداخل لاحظ أن المعمل مضاء ، فوجد أنها فرصة لتودد لزوجته من جديد ومحاولة تصفية الخلافات القائمة.

دخل للمعمل ليجدها جالسة أمام أحد الطاولات وقد دفنت رأسها بين ذراعيها مستندة لتلك الطاولة ، حتى ظنها نائمة ، اقترب منها بحرص ثم وضع كفه علي كتفها.

انتفضت بغتة ، لم تكن نائمة أبداً ، فالدموع التي تغرق وجهها تدل علي أنها توقفت للتو عن البكاء .

سحب (جلال) أحد الكراسي ليجلس في مقابلها ويقول:

– ماذا هناك يا (أمل)؟

نظرت إليه بعينين دامعتين ، وخرج صوتها مكسواً بالبكاء وهي تقول :

– لماذا ؟! لماذا فعلت بنا فعلتك تلك؟!

عقد حاجبيه وسألها:

– وما الذي فعلته؟

صمتت قليلاً وكأنها تحاول جمع شتات نفسها قبل أن تنطق قائلة:

– لقد اتصل بي الدكتور (رأفت) منذ قليل معزيا في وفاة (أدم) ويعتذر عن تأخره كل تلك الفترة ... أخبرني أنه اتصل كثيراً عندما كنت في المستشفى ولما لم يجد رد فتحدث إلي (مُحَمَّد) الذي حكي له ما حدث.

لم ينطق (جلال) بكلمة ، وظل ينظر لها معقود الحاجبين وقد ارتسم الغضب علي ملامح وجهه ، وبدى كأنه يتوقع ما ستقوله.

لما وجدته علي صمته أكملت :

– لكنه أخبرني بشيء عجيب .. شيء لم اتخيله من قبل .. فوجئت به وسط كلامه يقول أنه حاول تحذيرك من الأعراض الجانبية لكنك لم تكن لتسمع لقوله .. فأخبرته أنني لا أفهم تماماً ما يقصد .. وبعد بعض الإلحاح عليه أخبرني بالحقيقة ... أخبرني كل شيء ... وبالتفصيل.

عاد بظهره في الكرسي ، ولم تتغير ملامحه فسألته هي مر أخرى:

– لماذا فعلت بنا ما فعلت؟

قام دافعاً كرسيه بعيداً بعنف ، حتي أنها تراجعت للخلف بذعر ، وهو يصيح غاضباً:

– وما الخطأ فيما فعلت ؟ ... لقد حققت لكِ أمنيتك ، أليس كذلك؟

قامت هي الأخرى قائلة:

– عن أي أمنية تتحدث .. لقد منحتنا سرابا وجرحاً لن يندمل .. لقد كنت بدأت الرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى .. لم أعترض علي مشيئته ورضيت بحالي.

قال :

– كلا لم يكن قدري أن أعيش بلا ولد .. لقد أخطأت بعدم سماع كلام ذلك المأفون (رأفت) .. كان علي اتخاذ الحيطة أكثر .. ولولا هذا ما فقدت (أدم) أبداً.

كانت تنظر إليه بمزيج من الخوف والدهشة والامتعاض ، هزت رأسها وقالت:

– أنا لا أصدق ما أسمعه .. لقد عشت سنوات مع رجل لا أعرفه .. رجل لا يؤمن بقضاء الله سبحانه وتعالى .. لا .. بل عشت مع حقير.

هوى على وجهها بصفعة قاسية ، دفعتها لتسقط بين الكراسي المجاورة للطاولة الكبيرة ، ثم قال بغضب هادر:

– يبدو أنك لم تعرفيني جيداً .. سوف تري نتيجة قولتك تلك.

وضعت يدها علي مكان الصفعة القوية تحسسها وقالت:

– اتضربني ؟! .. لقد فقد عقلك بالفعل.

نظر لها بغضب شديد ، فكر لو يهجم عليها وينهال عليها ضرباً عقاباً لها على وصفه بالجنون ، استدار وكان يهم بمغادرة المعمل وتركها خلفه، لكنها قالت وهي تستند للطاولة لتقف مرة أخري على قدميها:

– أنت لست إنساناً بالفعل .. ولا أريد العيش معك بعد ذلك .. لقد انتهى كل شيء الآن.

التفت إليها وقال:

– لست أنت من يتخذ القرارات في هذا البيت ، ولن تري الشارع بعد اليوم .

قالت :

– كفى .. لا أريدك بعد اليوم .. هل ستكرهني على معاشرتك ؟

قال :

– أنا لا أريدك أيضاً .. لكنك لن تنالي حريتك أبداً .. هل تريدين فضح أمري بين الناس؟ .. لن أسمح لك أبداً بهذا.

قالت:

– إن كنت أريد فعل ذلك لفعلته منذ سنوات .. ألا تفهم يا رجل ؟ أريد الافتكاك من قيدك .. بل أريد نسيان كل يوم جمعني بوحش مثلك .

نظر لها ولم يعقب هذه المرة ، ثم هجم عليها ودفعها بعيدا عن الطاولة ليخطف هاتفها المحمول من فوق الطاولة ، ثم نظر إليها بعينين يملئها الشر قائلاً:

– من الان لن تغادري الفيلا ولن تقومي بإجراء أي اتصال بأي شخص .. وستعرفين ما جزاء من يهين (جلال صالح).

اندفعت تجري خارجة وهي تهتف باكية :

– لا أريد الحياة معك .. أنت حيوان.

أما هو فأطفئ الهاتف النقال ووضعه في جيبه ، ظل يدور ببصره في أركان المعمل ، قبل أن يتوقف نظره على أحد الدواليب الممتلئة بالزجاجات والقوارير التي تحتوي أشياء متعددة ، انعقد حاجبيه بشده عندما وقع بصره علي هذا الدولاب بالتحديد ، وتقدم نحوه وفتحه وهو ينظر إلى ما فيه بتمعن قبل أن يغمغم:

– بما أنك لا تريدين الحياة معي فأنت لا تستحقيها.

بالفعل جمع العاملين في المنزل ، وأمرهم بجمع أجهزة الهاتف الأرضي وتدميرها جميعاً ، ومنعهم من احضار أي هاتف لزوجته ، وأمرهم بإجبارها علي البقاء إن فكرت في ترك الفيلا وهو غير موجود ، وإلا سينالوا ما لا يتخيلونه أبداً.

لم يكن يحتاج لكثير من الكلمات ليبث الرعب في قلوب الخدم ، فما رأوه منه في الشهور التي تلت وفاة الصغير (أدم) جعلهم يرتجفون من الخوف أمامه ، وكل منهم يخشى مخالفة أمره.

مرت الأيام على (أمل) وهي حبيسة الفيلا ، لقد اخذ (جلال) هاتفها والكومبيوتر المحمول خاصتها ، ودمر الهاتف الأرضي فلم يبق لها وسيلة اتصال واحدة ، حتي الخدم رفضوا كلهم أن يعيروها هاتف من هواتفهم المحمولة لإجراء الاتصال لتستنجد بأهلها ، وتعذروا منها بخوفهم من بطش سيدهم ، وبالطبع لن يسمحوا لها بالمغادرة ابداً .

كانت تقضي الوقت في غرفتها طالما (جلال) متواجد بالفيلا ، وفي حالة خروجه فتنزل للحديقة أو للطابق الأرضي ، وكثيراً ما كانت تسمع صوت خطوات تتوقف أمام باب غرفتها ، هل كلف (جلال) أحد الخدم بالتصنت عليها في غرفة نومها؟

لم يعد لها صديق سوى اثنين ، الكتب التي تقضي في قراءتها الساعات والأيام ، والتفكير فيما حدث لها ، كانت تعاودها ألام حزنها علي (أدم) ، وكانت تفكر مصدومة فيما أخبرها به الدكتور (رأفت) ، لكن صدمتها كانت أكبر في (جلال).

لا تدري كيف تحول لذلك الوحش الهمجي ، هل كانت مخدوعة فيه كل تلك السنوات ؟ بالطبع لا فقد كان زوجاً جيداً وحنوناً حتي وفاة (أدم) ، لكن كيف غاب عنها ذلك الجانب من شخصيته؟

لقد نشأت في أسرة ميسورة الحال بعض الشيء ، وتربت علي الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، والإيمان بالقدر ، بالفعل كانت اقنعت نفسها بأن تعيش محرومة من شعور الأمومة ، لكن (جلال) لم يكن كذلك ، هو لا يملك هذا الإيمان ، وهذا ما يعصف بها.

كانت تري في (جلال) صورة من قارون المتكبر الذي ظن أنه امتلك الدنيا ، أو أن الدنيا أتته طائعة علي علم عنده ، بالفعل هو يشبه قارون ، لقد تربى على أن كل شيء يمكن شرائه مادام يمتلك الثمن ، وعندما حرمه الله من القدرة على الانجاب ، رفض الانصياع لقضاء الله عز وجل ، وظل يبحث عن وسيلة يمتلك بها ما ينقصه ، مهما تكلف الأمر ، وأيا ما كانت العواقب.

كانا في أواخر فصل الصيف ، وفي تلك الليلة وقفت (أمل) في شرفة غرفتها المطلة علي حديقة الفيلا ، لتستمتع بالنسمات اللطيفة ، (جلال) موجود في الفيلا ولا تريد لقائه ، فلن تستطيع الجلوس فالحديقة للاستمتاع بالجو الرائع ، خطر ببالها شاغل ، إلى متى تبقي سجينة الفيلا ، (جلال) يحمل من العناد والمكابرة ما يجعل أمر الانفصال والطلاق مجرد فكرة غير قابلة للتحقيق ، لابد من الوصول لحل ما ، فقد طال بها الأمر وهي علي هذا الوضع السخيف ، عليها إذن مواجهة (جلال) ، ستحاول إقناعه باستخدام الهاتف فقط ولن تطلب من الانفصال هذه المرة ، ولن تطلب منه الخروج أيضاً ، ولن تخبر أحداً بما عرفته من (رأفت) ولا بما حدث بينهما لعله يعيد لها هاتفها وجهاز الكومبيوتر الخاص بها علي الأقل لتعود لأبحاثها لتقتل الوقت ، لكن هناك مشكلة بسيطة في هذه الفكرة ، هذه المشكلة أنها لا تستطيع مواجهة (جلال) بعد.

هزت رأسها ودخلت للحجرة وذهبت لجها الانتركم المثبت علي الحائط بجوار باب الحجرة ، ضغطت زر الاتصال بالمطبخ فأجابها الطاهي ، فقالت له :

— من فضلك حضر لي كوباً من العصير الطازج فقط فلا رغبة لي في تناول طعام العشاء .. سأكتفي بالعصير.

عادت مرة أخرى لتجلس في الشرفة بعدما أحضرت كتاباً للقراءة في هذا الجو الجميل.

لم تسمع صوت الخطوات التي تبتعد بسرعة عن الحجرة هذه المرة ، هناك بالفعل من يتلصص عليها ، لكن (جلال) لم يكلف أحداً بذلك ، فهو من يسترق السمع من خلف باب الحجرة.

كان يسرع للحجرة التي يقيم بها منفرداً من فترة ليست بالقصيرة ، دخلها لثوان ثم خرج مسرعاً متجهاً للمطبخ.

كان الطاهي يصب العصير في كوب زجاجي موضوع في صينية فضية أنيقة ، عندما فوجئ بصوت (جلال) يأتيه من خلفه متسائلاً:

– أين هو (سيد).

وجل الرجل لما سمع صوت سيده ، وترك ما في يديه والتفت متسائلا بدهشة نحو (جلال):

– سيدي ؟! لماذا نزلت إلى هناك بنفسك ولم تستخدم الانتركم للاتصال ؟

قال (جلال) بغضب :

– هل تملي علي ما أفعل يا هذا ؟ .. اذهب فوراً واستدع (سيد) من حجرته .. أريد رؤيته في حجرة المكتب حالاً .. هيا تحرك.

لم يستطع الرجل المناقشة مع تلك اللهجة التي يتكلم بها (جلال) ، وأسرع يعدوا خراجاً ، وقال وهو يمر من أمام (جلال) الذي ما زال واقفاً بالباب:

– على الفور .. سأخبره علي الفور يا سيدي.

مرت بضع دقائق ، قبل أن يدخل (سيد) علي (جلال) في حجرة المكتب في الطابق الأرضي للفيلا ، كان الرجل مدهوشاًً ، فهذه المرة الأولى التي يرسل فيها (جلال) أحد الخدم لاستدعائه ، فقد كان دائما ما يتصل به إن أراد شيئاً ، فكر أنه ربما هناك أمر لا يريد الحديث بشأنه عبر الهاتف.

رفع (جلال) -الجالس خلف مكتبه- بصره نحو (سيد) وقال:

– اسمع يا (سيد) .. في الصباح قم بشراء جهاز هاتف من النوع الذي كنا نستخدمه ، وقم بتركيبه وتوصيله.

قال (سيد):

– حسناً يا سيدي .. كما تأمر.

(جلال):

– أريدك أن توصله دون أن تخبر السيدة (أمل) بذلك ، فقط أخبرني إذا استخدمته ، وأخبرني بمن ستتصل وما قالته في اتصالها.

سكت (سيد) وهو يحاول أن يعترض على طلب (جلال) منه بالتلصص على زوجته في مكالماتها الهاتفية ، لكنه لا يقدر علي الاعتراض.

قاطع أفكاره هذه صوت (جلال) وهو يقول بعصبية:

– هل فهمت ما قلت يا (سيد)؟

هز الرجل رأسه بسرعة علامة الايجاب وهو يقول :

– بالطبع يا سيدي .. لقد فهمت.

(جلال):

– حسناً .. يمكنك الانصراف الآن.

****

في اليوم التالي وتقريبا عندما انتصف النهار ، وبينما كان (جلال) جالساً في أحد الكافيهات الشهيرة في منطقة المهندسين ، رن هاتفه المحمول وكان الشاشة تحمل اسم (سيد) ، اجاب (جلال) الاتصال متسائلاً:

– ماذا هناك يا (سيد) ؟ فأنا مشغول الآن.

سمع صوت (سيد) من على الجانب الأخر يقول :

– سيدي لقد حدث أمر ما ... أخبرني (أنور) الطاهي أن السيدة (أمل) لم تطلب منه الافطار كالمعتاد ولم تخرج من غرفتها كذلك .. وحاول الاتصال بها بالانتركم لكنها لم تجب .. فطلبت من (مديحة) القائمة على نظافة الفيلا الصعود لغرفة السيدة لترى ما الأمر. ...

قاطعه (جلال) بعصبية قائلاً:

– اسمع يا (سيد) .. لا وقت لدي لسماع كل هذه التفاصيل .. هات ما عندك .. ألم تجد (مديحة) السيدة في الفيلا ؟ .. هل سمحتم لها بالخروج؟

سمع (سيد) يقول:

– كلا يا سيدي .. لقد وجدت (مديحة) السيدة في غرفتها .. لكن ممددة على أرض الغرفة و كأنها فاقدة الوعي.

صاح به (جلال) قائلاً:

– وتتصل بي أنا ؟!.. علي الفور تقوم بالاتصال بالطبيب .. ستجد اسمه مدوناً في الدفتر الموجود على مكتبي .. وسأصل علي الفور.

(سيد):

– لقد فعلت بالفعل يا سيدي واتصلت بالطبيب وسيأتي بأقصى سرعة .

قال (جلال) وهو يقوم من مقعده:

– وأنا كذلك .

قالها وانهى المكالمة ، ثم ذهب ليدفع حسابه قبل أن يخرج بهدوء من الكافية ، توقف أمام سيارته وفتح بابها ثم اخذ نفساً عميقاً من الهواء وابتسم قبل ما يركب سيارته ..

نعم .. ابتسم .

****

الفصل الحادي عشر

دخل (جلال) ومعه (ثروت) إلي حجرة الرائد (حسام) ضابط المباحث ، والذي كان في انتظارهما حسب الموعد الذي اتفق عليه مع (جلال) في عزاء أخيه (مُحَمَّد) قبل يومين.

قام (حسام) لاستقبالهما وبعدما تبادلوا التحية ،دعاهما للجلوس ، فجلسا على المقعدين المتقابلين أمام مكتبه ، جلس (حسام) مرة أخرى في مقعده ، ثم ضغط زر الاستدعاء في مكتبه فدخل عسكري الخدمة مؤدياً التحية ، فطلب منه (حسام) احضار أكواب الشاي بالنعناع كما يفضل هو ، علي أن يكون "السكر بره".

كان (حسام) أول من تكلم وهو يقول لـ(جلال):

– أقدم التعازي مرة أخرى يا سيد (جلال).

(جلال) :

– أشكرك يا (حسام) بك .. بصراحة لقد تفاجأت بوجودك في العزاء.

ظهرت ابتسامة غامضة على وجه (حسام) مع تلك النظرة التي ينظر بها نحو (جلال) وهو يقول:

– كان لابد من وجودي .. هذا جزء من عملي.

لم يفهم (جلال) أو (ثروت) ما يقصده (حسام) ، فتبادلا نظرة تحمل حيرة كبيرة ، لكن (حسام) قطع أفكارهما وقال متحدثاً إلى (ثروت):

- يبدو لي أيها المحامي أنك ستتعرض لبعض المتاعب.

ارتفع حاجبا (ثروت) وهو يقول مدهوشاً :

– أن ؟! .. ولم ؟

عادت تلك الابتسامة مرة أخري تكسو وجه (حسام) وهو يقول:

– بسبب إخفاء الأدلة وتعطيل التحقيقات.

نظر (ثروت) للرائد قليلا قبل أن يقول بحذر:

– لا أعرف بالتحديد ماذا تقصد يا (حسام) بك .. حسب معلوماتي لا توجد قضايا أعمل عليها تجمعني بشكل شخصي مع سعادتك .. ربما هو أحد المحامين الشباب في مكتبي.

ظل (حسام) محتفظاً بابتسامته وهو يقول:

– وما رأيك بقضيتنا هذه؟

تدخل (جلال) قائلاً بعصبية :

– وما الداعي لوجود تحقيق في هذا الأمر ؟ إنه مجرد حادث تعرض له أخي الراحل .. لا توجد قضية من الأساس.

قطع حديثهم طرقات الباب ، أعطى (حسام) الإذن للطارق بالدخول ،فكان عسكري الخدمة يحمل صينية عليها أكواب الشاي والسكر وزجاجات المياه المعدنية الصغيرة .

وضع أمام كل منهم كوباً من الشاي وزجاجة مياه وكذلك وضع السكر ، فأخبره (حسام) بألا يسمح لأحد بالدخول عليهم ،فانصرف بعد تأدية التحية للرائد .

عاد (حسام) ليقول:

– لم يستطيع الطب الشرعي إجراء الفحص والتشريح اللازمين لجثة القتيل ، وذلك بسبب الأستاذ (ثروت) الذي دفع مبلغ من المال للطبيب الذي أعد تقرير طبيا وسمح بخروج الجثمان من المستشفى .. وهو أمر سيتسبب في فصل الطبيب من النقابة وحرمانه من ممارسة المهنة .. وربما الأمر نفسه للمحامي الشهير.

(ثروت) بعصبية:

– ما هذا الذي تقوله يا (حسام) بك ؟! ما شأن الطب الشرعي بحالتنا ؟! .. لقد أدى طبيب المستشفى عمله الطبيعي حتى وإن كان في وقت أقل من اللازم .. لم نكن لنرتك جثمان الأستاذ (مُحَمَّد) دون دفن .. إكرام الميت سرعة دفنه كما يقولون.

صمت (حسام) وهو ينقل نظره بين الاثنين أمامه ، ظل هكذا لدقيقة كاملة بملامح جامدة ، لا يمكنك أن تعرف فيما يفكر وهو صامت ، لكن كالعادة كان هو أول من يتكلم دائما عندما قال:

– تفضلا بتناول الشاي.

قالها وهو يضع معلقة من السكر في الكوب الخاص به ويبدأ في التقليب ، كان هناك شيء من القلق يرتسم علي وجه (جلال) و (ثروت) ، بدأ كل منهما في إضافة السكر ثم تناول كل منهما كوبه لارتشاف الشاي.

فاجئهما (حسام) بقوله:

– لكن تلك الحادثة ما هي إلا جريمة قتل.

لقد كان بارعاً في الألعاب النفسية والعقلية بلا شك ، فقد ظهر القلق والدهشة على (جلال) و(ثروت) ، وترك الأول كوب الشاي ولم ينطق ، في حين نظر الثاني نحو (حسام) وقال متسائلا :

– جريمة قتل ؟ .. أية مفاجأة هذه.

تبادل (حسام) و (جلال) نظرة صامتة قبل أن يقول (حسام):

– (مُحَمَّد صالح) لقى حتفه في جريمة قتل وليس حادث سير كما ظن الجميع.

هذه المرة تبادل (جلال) و(ثروت) نظرة صامتة ، ثم قال المحامي:

– لقد كان (مُحَمَّد) رحمه الله محبوباً من الجميع ، وله من السمعة الحسنة ما يجعل من الصعب أن يتربص به أعدائه لقتله ، فهو لا يملك هؤلاء الأعداء .. وكما أعلم من التحقيق المبدئي أنه لم يكن هناك سرقة .. ربما نحتاج للتوضيح يا سيادة الرائد.

نظر (حسام) نحو (جلال) وعادت له ابتسامته الغامضة تلك وهو يسأل بطريقة بدت ساخرة:

– وهل تحتاج أنت أيضاً للتوضيح يا (جلال) بك؟

عقد (جلال) حاجباه وبدا عليه القلق جلياً واضحاً وهو يقول:

– ماذا تقصد أيها الرائد ؟!

لقد كان (حسام) بارعاً بكل تأكيد في ألعاب العقل ، وكان يمارسها بحرفية مدهشة مع (جلال) ومحاميه ، فلم يجيب بسرعة ، بل تناول كوب الشاي أمامه ببطء ثم ارتشف منه قليل من الشاي قبل أن يعيد الكوب لموضعه بنفس البطء ، كل هذا وهو يراقب ملامحهما بدقة .

كانت الدهشة والترقب ما يظهر علي (ثروت) ، في حين كان القلق والارتباك ما يظهر على (جلال) بنظراته الزائغة ورغبته في عدم التقاء عينيه مع عيني (حسام) ، كما كان واضح علي وجهه أنه يضغط على أسنانه بقوة ، التقط (حسام) كل هذا بخبرته وحدسه العاليين.

تكلم (حسام):

– لقد تلقينا اتصال من مجهول يبلغ بوقوع الحادث ، لكن المبلغ رفض اعطاء بياناته .. انتقلت الشرطة ورجال المباحث ومعهم رجال الطب الشرعي للمعاينة في الموقع ، لقد وقعت الحادثة في منطقة المقطم وقد خرجت السيارة عن الطريق وسقطت من أعلى التبة الصخرية في تلك المنطقة النائية نسبياً والتي لا تزال بها أعمال بناء لبعض الفيلات .

مرة أخري تناول رشفه من كوب الشاي ثم أكمل:

– موقع الحادث يؤيد ما قلته يا (جلال) بك .. يبدو أن أخيك الراحل كان في طريق عودته من فيلّتك بعدما أوصلك لعدم وجود سيارتك معك في هذا اليوم .. لكن نتيجة المعاينة وتقرير الطبيب الشرعي الأولي جاءا يحملا كثير من المفاجآت.

نظر إليهما فلم يتكلم منهم أحداً ، فتابع مكملاً:

– لقد تم استخراج الجثة بسهولة من السيارة .. ولم يكن بها الكثير من الاصابات لأن الرجل كان يضع حزام الأمان كما أن السيارة لم تنفجر وهو ما حافظ علي الجسد إلي حد كبير... التقرير الطبي أفاد أن الوفاة حدثت قبل السقوط والتعرض لتلك الحادثة بفترة وهذا ما ظهر من الجروح الخفيفة بفعل السقوط .. لكن لم يتمكن رجال الطب الشرعي بإكمال عملهم بسبب طبيب المستشفى الشاب والأستاذ (ثروت)فقد اعترف الطبيب بعد الضغط عليه.

هز (ثروت) كتفيه وهو يقول:

– لم يكن لدي فكرة عن الاحتمال الجنائي .. كنت فقط أريد دفن الجثمان سريعاً احتراماً للرجل المتوفى.

قال (حسام) :

– لولا حالة الفوضى والتخبط التي تعيشها البلاد كلها بشكل عام والداخلية بشكل خاص لما حدث ما حدث .. لقد تأخر رجال المباحث أيضاً في عملهم .

سحب نفساً عميقا من الهواء قبل أن يوجه سؤالاً إلي ثروت:

– لكن أخبرني يا استاذ (ثروت) .. كيف لرجل يجلس على المقعد المجاور للسائق واضعاً حزام الأمان في سيارة مطفئة أن يتعرض لمثل هذا الحادث؟

كان لوقع كلامه عليهما تأثير كبير ، فقد اتسعت عيونهم بدهشة وقال (ثروت):

– هذه المعلومات أسمعها للمرة الأولي يا سيادة الرائد.

هز (حسام) رأسه قائلاً :

– ألم أقل لك أن الفوضى انتشرت في البلاد بشكل رهيب ؟

قال (جلال):

– أليس من الممكن أن تكون السيارة توقفت عن العمل من جراء السقوط؟

(حسام):

– سؤالك منطقي بالفعل .. لكن كيف لها أن تكون مشغلة وقت الحادث بدون مفتاح؟

اتسعت عينا (جلال) بقلق ورعب لم يفت التقاطهما على (حسام) ، في حين قال(ثروت) بدهشة واضحة:

– بدون مفتاح ؟! .. الأمر أصبح مربكاً يا سيادة الرائد.

(حسام) :

– بالفعل يا استاذ (ثروت) المفتاح غير موجود على الاطلاق ، وبالفحص الدقيق لمكان سقوط السيارة تبين من علامات العجلات علي الرمال أن السيارة كانت تتحرك ببطء وكذلك هناك أثار غائرة لقدمين بين علامات عجلات السيارة .. مما يعني أن أحدهم كان يدفع السيارة المطفأة دفعاً لتسقط .. وعندما سقطت في تلك المنطقة ارتطمت مقدمة السيارة بأحد النتوءات الجبلية مما جعلها تسقط على جانبها الأيسر .. المفترض أنه جانب السائق .. الغريب أن القتيل كان علي المقعد الأيمن وليس على مقعد السائق.

كانت الدهشة والتعجب ظاهرة في ملامح (ثروت) ، في حين القل والارتباك صفة (جلال) الواضحة ، خصوصاً مع قطرات العرق التي ظهرت على جبينه ومسحها بكفه.

تناول (حسام) علبة السجائر الخاصة به من على المكتب ، وفتحها وقدما إلى (جلال) قائلاً:

– تفضل سيجارة يا (جلال) بك .. أعرف أن الأمر مربك .

هز (جلال) رأسه وقال:

– شكراً يا (حسام) بك .. لكني أدخن نوع خاص من السيجار.

قالها وأخرج من جيب سترته واحدة من تلك السجائر الفاخرة التي يدخنها بلونها البني وطولها المميز للسيجار لكنها رفيعة لحد كبير كالسجائر العادية ، ابتسم (حسام) ابتسامة كبيرة ثم حول نظره نحو (ثروت) وقدم له السجائر فتناول الأخير سيجارة من العلبة، أشعل كل منهم سيجارته قبل أن يكمل (حسام) كلامة:

– فالبداية اتجهت الشبهات لصاحب البلاغ نفسه .. فهو إن لم يكن القاتل بنفسه فهو شخص يملك المعلومات التي ستغير مسار القضية .. ولهذا حصلت على إذن النيابة للحصول علي بيانات المتصل من شركة الاتصالات التابع لها القم الذي استخدمه في البلاغ ، وبالفعل توصلنا لهذا الرجل وتم القبض عليه ، ولم يكن الأمر عسياً ليخرج ما في جعبته.

(ثروت):

– ومن ه هذا الرجل وماذا قال؟

(حسام):

– رجل اسمه (عبد العاطي) .. يعمل مبيض للمحارة .. وتصادف أنه يعمل في أحد الفيلات تحت الإنشاء في الجهة المقابلة لموقع الحادث حيث سقطت السيارة .. أو تم إلقائها بمعني أدق .. الرجل قال أنه كان يعمل مع زميلين له ولكن ذهب أحدهم ويدعى (محمود) لشراء بعض الطعام وظل هو والأخر الذي يدعى (رفعت) في موقعهما لكنهما توقفا عن العمل إلي ما بعد الطعام .. ووقفا في أحد الشبابيك المطلة على الشارع في انتظار عودة زميلهما .. وفجأة توقفت سيارة أمامهما خارج الطريق الاسفلتي قبل حافة الهاوية ..وخرج منها رجل عليه علامات الثراء من ملابسه الفخمة وظل ينظر حولة بقلق .

توقف للحظات عن الكلام وهو يتابع انفعالات (جلال) و (ثروت) ، ثم أكمل :

– فجأة بدأ الرجل في دفع السيارة للحافة .. وهنا أستخدم (عبد العاطي) الكاميرا في تليفونه لتصوير ما يحدث .. واستطاع التقاط بعض الثواني بالفعل لرجل يدفع سيارة (مُحَمَّد صالح) لتسقط ..ولقد استجوبنا (محمود) و (رفعت) وأقرا بما قاله (عبد العاطي) .. لكن كل هذا حدث بعد دفن (مُحَمَّد صالح) بالفعل وبالتحديد في نفس اليوم.

كان (جلال) شاحباً وهو ينقل بصره بين (حسام) و (ثروت) الذي قال:

– إذن هذا الفيديو يكشف شخصية القاتل.

هز (حسام) رأسه علامة الإيجاب ولم ينطق فسأله (ثروت) بلهفة:

– ومن هو؟

نظر (حسام) باتجاه (جلال) الشاحب وقال دون أن يرفع عينيه عنه:

– للأسف هذا التصوير لم يتم بمعرفة النيابة .. فلا يمكن استخدامه كدليل .. لكن معنا وصف للقاتل كما في استجواب (عبد العاطي) و (رفعت) فهما من رأى القاتل ويمكنهما تعرفه بسهولة.

قال (ثروت):

– كلامك مضبوط يا سيادة الرائد .. لكن على الأقل كان يمكنك الحصول على نسخة من الفيديو لتعرضه علينا فربما نتعرف القاتل ونوقع به مباشرة.

ابسم (حسام) وقال :

– ومن قال أنني لم أفعل ؟ ... لقد نقلت الملف إلي جهاز التليفون الخاص بي شخصياً لأفعل تماماً كما قلت يا استاذ (ثروت).

قالها وتناول هاتفه المحمول من النوع الذي يعمل باللمس ، فتحه وجهز الفيديو للعرض ثم مد يده بالهاتف إلى (جلال) قائلاً:

– ها هو القاتل يا (جلال) بك .. أظنك ستتعرف عليه بسهوله .

تناول (جلال) الهاتف ألقى نظرة علي الفيديو قبل أن يرفع نظره إلى (ثروت) الذي لاحظ - الآن فقط - الشحوب على وجه (جلال) فمد المحامي يده وأخذ الهاتف ليشاهد ما فيه ، كان الفيديو قد انتهى ، فقال (ثروت) يسأل (جلال) وهو يضغط لإعادة التشغيل :

– هل تعرفته يا (جلال) بك ؟

مرت ثواني قليلة ، هي مدة الفيديو الذى جعل عينا (ثروت) تتسعان بدهشة وفزع وهو يقول :

– يا إلهي!

كان الفيديو يعرض صورة رجل يدفع سيارة (مُحَمَّد) لتسقط بالفعل قبل أن يقترب الرجل من الحافة ليرى ما أسفر عنه السقوط ويلتفت حوله عدة مرات ، كان من الواضح أن من التقط الفيديو لم يصور الأمر من بدايته وهذا طبيعي ومنطقي ، فلقد استغرق لحظات لفتح هاتفه وتشغيل الفيديو وبدء التسجيل ، فلم يسجل سوى هذه الثواني ، لكنها كانت كافية جدا لتكشف شخصية القاتل ، وبرغم من جودة الصورة المتدنية نتيجة استعمال أحد الهواتف واردة الصين رخيصة الثمن ، إلا أنها كانت كافية لتكشف وجه القاتل...

وجه رجل لم يخطر ببال (ثروت) علي الاطلاق ..

وجه (جلال).

****

ساد صمت رهيب أرجاء الحجرة لدقائق، (جلال) مطأطأ الرأس ونظره للأرض بين قدميه ، (ثروت) اتسعت عيناه من الصدمة وهو يحملق في (جلال) ، أما (حسام) فيجلس مبتسماً ومراقباً للاثنين.

كان (حسام) أول من تكلم قائلاً:

– أعتقد أن هناك ما ستخبرنا به يا (جلال) بك!

هنا خرج (ثروت) من الصدمة وقال بعصبية:

– موكلي لن يقول شيئاً يا سيادة الرائد .. رسميا هو غير متهم بشيء حتى الآن .. أنت بنفسك تعلم أن هذا الفيديو لا يمثل شيء لعدم قانونيته.

ابتسم (حسام) ابتسامة الثعالب – هذا لو أن للثعالب ابتسامة – ثم قال:

– ومن قال أن الفيديو هو الدليل القانوني ؟! .. سيتعرف الشهود على (جلال) بسباطة وسيتم مطابقة بصماته بالبصمات الموجودة علي خلفية السيارة وكذلك مقودها .. ثم أن هناك هذه.

قال جملته الأخيرة وهو يفتح أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج كيساً بلاستيكيا من النوع المستخدم في الأحراز الجنائية ، بداخلة بقايا لسيجار فاخر بني اللون لكنه أرفع من السيجار ، وبالتحديد نصف سيجارة ، وهي تلك النوعية التي يفضلها (جلال).

قال (ثروت) بعصبية أكبر :

– أيا كان يا سيادة الرائد .. موكلي لم يستدعي بشكل رسمي ولم يتم توجيه الاتهام له و.....

قاطعه (جلال) بهدوء:

– اخرج يا (ثروت) ودعنا بمفردنا.

(ثروت):

– لكن يا (جلال) بك ..

قاطعه (جلال) بلهجة آمرة:

– قلت لك اخرج.

صمت المحامي ثواني ، ثم خرج من الحجرة غاضباً ، وما إن أغلق الباب خلفه حتي قال (حسام):

– اسمعني جيدا يا (جلال) بك .. أنت تعرف أنه من السهل إثبات التهمة عليك .. يوم العزاء سألت حارس بوابة الفيلا عنك وكيف عدت من عملك .. أخبرني الرجل أنك عدت وطرقت الباب وعندما فتح تفاجئ بك .. وأنك أخبرته بأن سيارتك تعرضت لحادث في الصباح وقد قام (مُحَمَّد)

بإيصالك للفيلا .. وسألت الرجل هل رأيت (مُحَمَّد) قال لا .. لقد كنت أنت فقط وكان العرق يغمرك ويغمر ملابسك.

ظل (جلال) يحدق في وجه (حسام) بلا أي انفعال ، لكن في أعماقه كانت هناك نار مستعرة ، كيف اخطئ كل هذه الأخطاء ، كيف نسى وأخذ مفاتيح السيارة معه ، وكيف ترك أخيه في المقعد المجاور للسائق ، لقد فقد كل شيء ، إنها النهاية .

قال بيأس:

لا داعي لكل هذه التعقيدات .. الأمر انكشف .. سأخبرك بالحقيقة الكاملة .. بل سأخبرك بما لم ولن تتخيله أبداً.

وبدأ يروي ...

****

في صباح ذلك اليوم وبينما كان (جلال) و(أمل) في لندن في انتظار قدوم (رأفت) ، كانا مستلقيان بجوار بعضهما البعض علي السرير في غرفتهما الأنيقة بالفندق ، وكانت (أمل) تتصفح إحدي مجلات الأزياء ، وبجزارها (جلال) يتنقل بين القنوات التليفزيونية عن طريق جهاز التحكم عن بعد عندما دق الهاتف الموجود بجواره فالتقط السماعة مجيباً ، أتاه صوت (رأفت) يقول:

– أسعد الله صباحكم

(جلال)

– مرحبا يا دكتور ... كيف حالك؟

(رأفت):

– في خير حال .. انا في انتظاركم في بهو الفندق .

(جلال):

– سنلتحق بك في أسرع وقت يا دكتور.

قالها وأنهى المكالمة واعتدلت (أمل) قائله:

– لقد أتي مبكراً .. لم استعد بعد أو اجهز حقيبة السفر للمساء.

ابتسم (جلال) وهو يقوم متجها لدولاب الملابس وقال:

– لابأس .. سأذهب وأقابله في البهو وقومي أنت بتجهيز الحقيبة وسننتظرك في الأسفل.

كان يستبدل ملابسه بسرعة كبيرة ، وما إن انتهي حتي قبلها علي خدها وقال:

– خذي كامل وقتك ونحن في انتظارك يا حبيبتي .

قالها وخرج مسرعاً من الحجرة ، ولم تمر دقيقتين حتى انضم إلى (رأفت) وطلب كوبين من الشاي متعللا بأن (أمل) أمامها بعض الوقت للاستعداد وتجهيز نفسها.

جاءهما الشاي الانجليزي الشهير مع قطع الكيك ، وتناول كل منها قطعة وبدأ يلوكها ، أنتهى (جلال) من قطعته و أخذ رشفه ن الشاي ثم قال:

– أريدك في أمر هام يا دكتور.

(رأفت):

– خيراً يا (جلال).

(جلال) :

– سأدخل مباشرة فالموضوع .. فيجب أن ننهي كلامنا قبل نزول (أمل) .. أنا مصاب بالعقم ولا يمكنني الانجاب ، قمت بكل شيء يمكن تخيله ، الاطباء اجمعوا علي عدم امكانية أن أحصل على ولد .. حتي عن طريق الحقن المجهري .. ولم يبق أمامي أملاً سواك.

رفع (رأفت) حاجباه للحظة ، ثم قال:

– أنا في غاية الأسي لما أسمع ، فأنتما زوجين شابين وأمامكما العمر كله و...

قاطعة (جلال):

– لا داعي لمثل هذه المجاملات يا دكتور .. كما قلت لك .. يجب أن ننهي الأمر قبلما تنزل (أمل) وسيبقي الأمر سرنا الصغير.

هز (رأفت) كتفيه متسائلاً:

– وما يمكنني أن أقدمه لك؟

(جلال):

– النعجة دوللي!

انفجر (رأفت) مقهقهاً ، حتى أن بعض الجالسين نظروا نحوه نظره غاضبة ، لكنه ظل يضحك وهو يقول:

– وهل تريدها مشوية أم مطبوخة؟!

حدق (جلال) في وجهه دون أن يتفوه بكلمة ، فتوقف (رأفت) عن الضحك وسكت.

سكت ثم اتسعت عيناه ، اتسعت لدرجة عجيبة ، خاصة عندما خلع نظارته الطبية ووضعها علي الطاولة أمامه ثم قال:

– يبدو أنني فهمت ما تريده الآن ... النعجة دوللي.

أومأ (جلال) برأسه علامة الإيجاب ولم يقل شيئاً ، إنه يريد النعجة ، أو بالأحرى يريد الاستعانة بنفس النظرية التي أنتجت النعجة دوللي...

الاستنساخ ...

كانت تجربة فريد من نوعها في ذلك الوقت بالتحديد في عام ١٩٩٦ ، وكان ذلك عن طريق أخذ خلية من ثدي نعجة ثم دمج هذه الخلية مع بويضة غير مخصبة منزوعة النواة لنعجة أخري وبعد ذلك تم زرع النواد المدموجة في رحم النعجة.

لم يكن الأمر هيناً على (رأفت) ، كان ينظر لوجه (جلال) بدهشة كبيرة ، ويحاول أن يتأكد هل هي مزحة أم أن الأمر حقيقي.

عجز عن تبين الحقيقة فسأل :

– هل حقاً تريد ذلك يا (جلال)؟

(جلال):

– وبأسرع وقت.

(رأفت):

– الأمر ممنوع ومجرم رسمياً .. وهناك تشديد من الرقابة على المستشفيات الخاصة والعامة والمراكز الطبية ... لن تجد من يمكنه المجازفة بمهنته وسمعته لخوض تجربة كهذه.

(جلال):

– ربما أجد من يقدم لي تلك الخدمة في مقابل نصف مليون دولار كاملة.

اتسعت عينا (رأفت) لما سمع المبلغ ، ووضح الارتباك عليه ، وضع نظارته مرة ثانية على عينيه ثم قال:

– اسمع يا (جلال) .. استنساخ البشر ليس بالأمر الذي يحدث كل يوم .. كما قلت فهو ممنوع على الصعيد الرسمي .. والأخطر من ذلك أن هناك تبعات وأعراض قد تظهر على المولود المستنسخ ويجب رعايته بدقة وحرص ومتابعة تطورات حياته من فريق خاص .. التجربة ببساطة غير مأمونة العواقب.

تنهد (جلال) وشعر بالراحة ، فمن الواضح أن المبلغ أغرى الدكتور ، لكنه يحاول المفاوضة ، كان يدرك جيداً متى وكيف يبدأ الناس في تقديم مبررات من أجل التفاوض على مبالغ أكبر ، لقد أصبح خبيراً محنكاً في تلك الأمور ، نظر مباشرة في عيني (رأفت) وقال:

– سأدفع نصف مليون دولار من أجل الحصول على ولد .. فهل تظن أنني سأبخل علي ابني بالرعاية الطبية الكاملة بعد ولادته ؟ .... لا تشغل بالك بمثل هذه الأمور.

(رأفت):

– الأمر ليس بالبساطة التي تتحدث عنها .. أنت تتكلم عن طفل ينمو ويحيى حياة طبيعية لمدة تريدها مابين الستين والسبعين عاما كمعظم البشر .. وليس مجرد دمية تحصل عليها لبعض الوقت .. وهذا يتطلب فريق كامل يعكف علي مراقبة وتحليل كل شيء يتعلق بالطفل طوال حياته وبشكل دوري مستمر.

(جلال):

– قلت لك لا تشغل بالك بهذا الامر.. تلك مشكلتي أنا .. وأنا كفيل بها.

ظل (رأفت) صامتاً ومحدقاً في (جلال) لبعض الوقت ، كانت هناك أفكار كثيرة تتصارع في عقله ، هل يقبل هذا العرض ، ولم لا ، ربما هذه هي الفرصة التي تسنح للعالم مرة واحدة فقط في عمره كله ، فهل يقبلها ويحصل علي مبلغ كبير يكفيه لبقية حياته ويريحه من عناء التعب والكد.

قال (رأفت) ويبدو أن شيطانه تغلب عليه:

– لكن الأمر يتطلب تجهيزات وتحضيرات كثيرة .. وهناك الفريق الذي سيشارك في العملية .. عليك أن تضمن أولا كفاءتهم ...ثانيا تضمن ولائهم وسكوتهم أيضاً.

ابتسم (جلال) ، فقد وقع الدكتور في شهوة المال ، وغرق حتي أذنيه ، فقال متصنعاً الجدية في السؤال:

– هل تعتقد أن ستمائة ألفاً من الدولارات تكفي لهذا الفريق؟

اعتدل (رأفت) في جلسته وقال بحماس:

– هل تعرف كيف ستتم العملية ؟ .. دعني أخبرك .. أولاً نأخذ منك خلية حية وبالتالي فهي تحمل كل صفاتك الوراثية .. بطريقة خاصة عن طريق رعايتها في بيئة معينة نقوم بتخفيض معدلات الغذاء لهذه الخلية بنسبة خمسة بالمائة تقريباً فتبدأ في الانقسام علي نفسها .. في نفس الوقت نكون حصلنا علي بويضة غير مخصبة من رحم الأم ونفرغها من نواتها بطرق معقدة بعد ذلك نضع الخلية المأخوذة منك والتي تحتوي نواة تحمل جيناتك في تلك البويضة ويتم وضعها بعد الدمج في بيئة خاصة جديدة وتتعرض بانتظام لذبذبات مغناطيسية خفيفة وتيار كهربي معين لتوليد الشرارة التي يقوم بها الحيوان المنوي الحقيقي فتبدأ البويضة في الانقسام والتكاثر لتصبح علقة .. وفي الغالب تستغرق تلك العملية ستة أيام كاملة قبل زرعها في رحم الأم كأي حمل طبيعي.

بالطبع لم يكن (جلال) مهتما بسماع كل تلك التفاصيل ، لكنه تصنع الاهتمام وقال:

– الأمر معقد بالفعل يا دكتور .. يبدو لي أن التكلفة أكبر مما تخيلت .. ربما تكفينا سبعمائة ألف لإتمام العملية.

هز (رأفت) رأسه علامة النفي وهو يقول:

– لا لن تكفي أبداً .. هناك تأجير مركز صحي .. تأجير المعدات والعاملين .. الخبراء القائمين على العمل .. لن يكفي هذا المبلغ.

(جلال):

– إذن كم يكفينا ؟

نظر (رأفت) في عيني (جلال) وقال ببطء:

– مليون دولار.

صمت (جلال) ثواني كأنه يعيد التفكير في الأمر ، ثم مال نحو (رأفت) وقال هامساً:

– اتفقنا.

عندما فكر (جلال) في تلك الفكرة المجنونة كان يعرف أنه سيدفع مبلغا كبيراً ، هو نفسه كان سيدفع هذا المبلغ لإغراء الدكتور الخبير ، لكنها طبيعة التجار ، فعليك أن تصطاد الضحية لتقنعه بطريقتك بما تريد أن تدفعه في حين هو أنه منتصراً وحصل علي أكبر ربح يمكن الوصول إليه.

وقد نجح فيما أراد بمهارة ، عاد للخلف في مقعده وقال:

– لكن يا دكتور لن يخرج هذا الكلام عنا نحن الاثنين .. وبالنسبة لأمل يمكنك إخبارها أن هناك عملية خاصة قيد التطوير ولا يمكن إفشاء سر العملية لأن هذا سيضر بالتجربة وسيعود عليك بضرر كبير .. وهي ستتقبل الأمر ببساطة.

ابتسم (رأفت) وقال :

– يبدو أنك فكرت في كل شيء.

كان (جلال) يهم بقول شيء ما لول أن لمح زوجته تقترب منهما ، فقاما لاستقبالها وهو يقول:

– عندي لك خبر يستحق مليون دولار.

رفعت حاجبيها مندهشة وقالت:

– مليون دولار .. وما هو ذاك الخبر يا ترى؟

قال:

– كنا نتحدث قبل نزولك وخطر ببالي أن اطرح نتيجة تقرير تحليل الانجاب علي دكتور (رأفت) عسي أن تكون هناك وسيلة حديثة لم نعرفها في مصر حتي الآن.

انعقد حاجباها بشيء من الغضب وفي أعماقها سألت نفسها "لماذا يا (جلال) تعيد تلك الذكري في هذه الرحلة السعيدة؟"

لكنها كتمت سؤالها مع شعور بالأمل من نظرات (جلال) و(رأفت) والسعادة الواضحة علي زوجها الذي أكمل قائلاً:

– ولقد أخبرني الدكتور بأن هناك طريقة للإنجاب عن طريق إجراء جراحي بسيط.

زال غضبها الدفين لتحتل مكانها دهشة مختلطة بسعادة كبيرة ومغلفة بالأمل وهتفت فرحة:

– حقاً!

ابتسم (رأفت) وقال:

– لا شيء يقف أمام العلم يا دكتورة.

قالت:

– أتعني يا دكتور أن النتيجة مضمونة إن شاء الله؟

أومأ (رأفت) برأسه علامة الايجاب وقال:

– النتيجة مضمونة والعملية بسيطة .

سألت مرة أخري:

– وما هي الطريقة يا دكتور؟ هل أخبرك (جلال) بتفاصيل حالته؟

تدخل (جلال) هذه المرة قائلا:

– لقد أخبرته بكل شيء يا حبيبتي وأخبرني أن الأمر ممكن ... بل وممكن جداً.

(رأفت):

– سنقوم بأخذ عينه من (جلال) ونجري عليها تجربة معينة بالموجات الكهرومغناطيسية وبعض المواد الكيميائية لنحصل علي حيوان منوي قادر علي التخصيب ونجري عملية شبيهة بالحقن المجهري لكن مع بعض الاختلافات البسيطة.

(أمل):

– لم أسمع عن مثل هذه التجارب من قبل.

ضحك (رأفت) وقال:

– لو كل التجارب ذات المستوي المرتفع تحدث في مصر لكانت مصر هي القوة العظمي في العالم حالياً ... مثل هذه التجارب تحدث في بلدان مختلفة كأمريكا وألمانيا علي سبيل المثال.

بدء الاقتناع يتسلل لـ(أمل) ربما لأنها تعلقت بهذا الأمل الأخير، فقال (جلال):

– هذه الرحلة يبدو أنها ستغير حياتنا يا حبيبتي .. وعندما نعود إلي هنا في المرة القادمة سنعود وفي أحشائك طفلنا المنتظر.

التفتت نحو (رأفت) وسألته:

– وكم من الوقت تستغرق هذه التجارب و العملية الجراحية يا دكتور؟

تبادل (جلال) و (رأفت) نظرة ذات مغزى قبل أن يجيب الأخير:

– من عشرة أيام إلي خمسة عشرة يوماً علي الأكثر.

قالت لـ(جلال):

– يا حبيبي ولم نعود لمصر ثم نأتي هنا مرة أخري .. فلنؤجل حجز الطيران ونجري العملية الآن

تبادل الرجلان مرة اخري نظرة خاصة قبل أن يقول (جلال) :

– لا مانع لدي علي الإطلاق .. فهل الدكتور (رأفت) متفرغ في الوقت الحالي؟

قال (رأفت):

– بالتأكيد .. ألم أخبرك أمس بأنني متفرغ حالياً .. يبدو أن القدر دبر لكما كل هذه التدابير.

ابتسم (جلال) قائلا:

– فليكن .. سنؤجل العودة لمصر .. ومن الآن أنا رهن اشارتك يا دكتور.

قام (رأفت) وقال:

– فلننطلق إذن لنحتفل معا بهذه المناسبة السعيدة.

قاما معه للخروج من الفندق وقضاء اليوم معا كما اتفقوا .

****

كان الرائد (حسام) مذهولا مما سمعه من (جلال) ، إذن فـ(أدم) كان مستنسخاً من أبيه ، لهذا كان التشابه بينهما يصل لدرجة التطابق.

قال (حسام):

– إن ما تقوله في منتهي الخطورة يا (جلال) بك.

سحب (جلال) نفساً من سيجاره الخاص قبل أن ينفث دخانه ويقول:

– اسمع أيها الضابط .. أنا أخبرك بما أخبرك به لكي تري الصورة كاملة فقط .. لا أريد توجيه أية تهمة إلى الدكتور (رأفت) .. ولا فلن تسمع مني هذا الكلام في التحقيقات الرسمية أبداً .. إن ما لديك من أدلة وقرائن بالإضافة لذلك الفيديو اللعين يكفي تماماً لوضعي علي المشنقة .. فلا يهم الشنق في قضية واحدة أم في قضيتين .. النهاية واحدة وهذا هو المهم.

هز (حسام) رأسه موافقاً وقال:

– كما تشاء .. لكن ما علاقة هذا الأمر بقضيتنا ؟ .. لا أجد رابط بينهما.

قال:

– صدقني .. سأعطيك اعترافاً كاملاً في قضية (مُحَمَّد) .. وسآمر (ثروت) بعدم استخدام ألاعيبه وطرقة لمحاولة تفنيد القضية أو حتى تخفيف الحكم .. إنها النهاية.

سحب نفساً أخر من السيجار ثم أكمل :

– أما بالنسبة لسؤالك .. فمعك حق .. ربما لا يوجد ربط بين ما حكيته لك وبين القضية .. لكن كانت تلك العملية هي السبب الوحيد في جلوسي أمامك الآن .. وهي السبب فيما أصابني .

قال (حسام) :

– لكن يبدو أنك لم تعرف مصير النعجة دوللي .. ربما لو عرفت لما أقدمت علي ما فعلته .. لقد أُصيبت فجأة بأورام سرطانية أودت بحياتها.

نظر له (جلال) بملامح جامدة ، إذن هذه هي الأعراض التي طالما أراد (رأفت) أن يخبره بها ، ولهذا أيضاً وصفته (أمل) بالوحش والحيوان ، لقد كان متوقع لأبنه الموت قبل ما يرى نور الحياة.

قال:

– يبدو أنني الوحيد فعلا الذي لم يكن يعرف نهاية النعجة.

صمت قليلا ينظر إلى (حسام) ثم قال:

– دعني أكمل قصتي .. فأنت لم تسمع المفاجأة بعد.

اعتدل (حسام) ووضح عليه الاهتمام ، فحالة (جلال) وطريقته في الكلام تدل على أن هناك الكثير ... والكثير جداً.

****

هوى (جلال) على وجه (أمل) بصفعة قاسية ، دفعتها لتسقط بين الكراسي المجاورة للطاولة الكبيرة داخل المعمل في حديقة الفيلا، ثم قال بغضب هادر:

– يبدو أنك لم تعرفيني جيداً .. سوف تري نتيجة قولتك تلك.

وضعت يدها علي مكان الصفعة القوية تتحسسها وقالت:

– اتضربني ؟! .. لقد فقد عقلك بالفعل.

نظر لها بغضب شديد ، فكر لو يهجم عليها وينهال عليها ضرباً عقاباً لها على وصفه بالجنون ، استدار وكان يهم بمغادرة المعمل وتركها خلفه، لكنها قالت وهي تستند للطاولة لتقف مرة أخري على قدميها:

– أنت لست إنساناً بالفعل .. ولا أريد العيش معك بعد ذلك .. لقد انتهى كل شيء الآن.

التفت إليها وقال:

– لستِ أنتِ من يتخذ القرارات في هذا البيت .. ولن تري الشارع بعد اليوم .

قالت :

– كفى .. لا أريدك بعد اليوم .. هل ستكرهني على معاشرتك ؟

قال :

– أنا لا أريدك أيضاً .. لكنك لن تنالي حريتك أبداً .. هل تريدين فضح أمري بين الناس؟ .. لن أسمح لك أبداً بهذا.

قالت:

– إن كنت أريد فعل ذلك لفعلته منذ سنوات .. ألا تفهم يا رجل ؟ أريد الافتكاك من قيدك .. بل أريد نسيان كل يوم جمعني بوحش مثلك .

نظر لها ولم يعقب هذه المرة ، ثم هجم عليها ودفعها بعيدا عن الطاولة ليخطف هاتفها المحمول من فوق الطاولة ، ثم نظر إليها بعينين يملئها الشر قائلاً:

– من الان لن تغادري الفيلا ولن تقومي بإجراء أي اتصال بأي شخص .. وستعرفين ما جزاء من يهين (جلال صالح).

اندفعت تجري خارجة وهي تهتف باكية :

– لا أريد الحياة معك .. أنت حيوان.

أما هو فأطفئ الهاتف النقال ووضعه في جيبه ، ظل يدور ببصره في أركان المعمل ، قبل أن يتوقف نظره على أحد الدواليب الممتلئة بالزجاجات والقوارير التي تحتوي أشياء متعددة ، انعقد حاجبيه بشده عندما وقع بصره علي هذا الدولاب بالتحديد ، وتقدم نحوه وفتحه وهو ينظر إلى ما فيه بتمعن قبل أن يغمغم:

– بما أنك لا تريدين الحياة معي فأنت لا تستحقيها.

قالها وتناول أحد الزجاجات الصغيرة ووضعها في جيبة بهدوء ثم خرج من المعمل.

كانت تلك الليلة المشهودة ، كان الجو منعشاً في الخارج ، لكن (جلال) يحوم حول حجرة (أمل) بين حين وأخر لمحاولة سماع ما تقوله أو ما تفعله ، ثم سمعها تتحرك بالقرب من باب الحجرة ، كان من الواضح أنها تتكلم عبر جهاز الانتركم في حجرتها وهي تقول

– من فضلك حضر لي كوباً من العصير الطازج فقط فلا رغبة لي في تناول طعام العشاء .. سأكتفي بالعصير.

عادت مرة أخرى لتجلس في الشرفة حيث كانت تقف قبل أن تطلب العصير من الطاهي ، وأحضرت كتاباً معها للقراءة في هذا الجو الجميل.

لم تسمع صوت الخطوات التي تبتعد بسرعة عن الحجرة هذه المرة ، هناك بالفعل من يتلصص عليها كما كانت تشك ، لكن (جلال) لم يكلف أحداً بذلك ، فهو من يسترق السمع من خلف باب الحجرة.

كان يسرع للحجرة التي يقيم بها منفرداً ، دخلها واتجه نحو الكومودنو بجوار الفراش ،فتح أحد الأدراج وأخرج منه الزجاجة التي حصل عليها من المعمل قبل عدة أيام، ثم خرج مسرعاً متجهاً للمطبخ.

كان (أنور) الطاهي يصب العصير في كوب زجاجي موضوع في صينية فضية أنيقة ، عندما فوجئ بصوت (جلال) يأتيه من خلفه متسائلاً:

– أين هو (سيد).

وجل (أنور) لما سمع صوت سيده ، وترك ما في يديه والتفت متسائلا بدهشة نحو (جلال):

– سيدي ؟! لماذا نزلت إلى هناك بنفسك ولم تستخدم الانتركم للاتصال ؟

قال (جلال) بغضب :

– هل تملي علي ما أفعل يا هذا ؟ .. اذهب فوراً واستدع (سيد) من حجرته .. أريد رؤيته في حجرة المكتب حالاً .. هيا تحرك.

لم يستطع الرجل المناقشة ، خصوصاً مع تلك اللهجة التي يتكلم بها (جلال) ، وأسرع يعدوا خراجاً ، وقال وهو يمر من أمام (جلال) الذي ما زال واقفاً بالباب:

– على الفور .. سأخبره علي الفور يا سيدي.

خرج (أنور) ، فأسرع نحو كوب العصير وأخرج الزجاجة التي تحتوي مادة ما ، كان يذكر أن (أمل) أخبرته أن هذه المادة تحتوي في تركيبها على عناصر تسبب الأزمة القلبة للإنسان ، وبالتالي الوفاة .

وضع بعض قطرات من تلك الزجاجة في كوب العصير ثم قلبه قليلاً ، أسرع إلى مكتبه في انتظار وصول (سيد) ، لن يغفر ما قالته (أمل) في شجارهما بالمعمل ، لقد وصفته بالحيوان وبأنه فقد عقله ، لقد جنت هي لتهين (جلال صالح) ، (جلال) الذي اعتاد السادة وأصحاب النفوذ على التودد له وطلب رضاه ، تهينه زوجته ، وتتطاول عليه ، ثم أنها هي من اختارت عقابها وقالت أنها لا تريد الحياة معه ، فليكن ، سيسلبها الحياة التي لا تستحقها.

لقد أتى بها من أسرة بسيطة لا تقارن به ، لقد جعلها نجمة من نجوم المجتمع ، كم من البنات تتمنى أن تكو بديلة لها ، لتنعم بما سيمنحها (جلال صالح) ، أما هي فقد اختارت مصيرها .

سيحاول أن يفعل شيء يوضح أمام الخدم أنه على وشك تصفية الخلاف العنيف مع زوجته ، حتى لا تعبث الشكوك بصدر أحدهم عندما تلقى مصيرها.

كانت كل تلك الأفكار تدور في رأسه وهو منتظراً وصول (سيد) .

وبالفعل وصل (سيد) ودخل على (جلال) في حجرة المكتب في الطابق الأرضى للفيلا ، كان الرجل مدهوشاً ، فهذه المرة الأولى التي يرسل فيها (جلال) أحد الخدم لاستدعائه ، فقد كان دائما ما يتصل به إن أراد شيئاً ، فكر أنه ربما هناك أمر لا يريد الحديث بشأنه عبر الهاتف.

رفع (جلال) -الجالس خلف مكتبه- بصره نحو (سيد) وقال:

– اسمع يا (سيد) .. في الصباح قم بشراء جهاز هاتف من النوع الذي كنا نستخدمه ، وقم بتركيبه وتوصيله.

قال (سيد):

– حسناً يا سيدي .. كما تأمر.

(جلال):

– أريدك أن توصله دون أن تخبر السيدة (أمل) بذلك ، فقط أخبرني إذا استخدمته ، وأخبرني بمن ستتصل وما قالته في اتصالها.

سكت (سيد) وهو يحاول أن يعترض على طلب (جلال) منه بالتلصص على زوجته في مكالماتها الهاتفية ، لكنه لا يقدر علي الاعتراض.

قاطع أفكاره هذه صوت (جلال) وهو يقول بعصبية:

– هل فهمت ما قلت يا (سيد)؟

هز الرجل رأسه بسرعة علامة الايجاب وهو يقول :

– بالطبع يا سيدي .. لقد فهمت.

(جلال):

– حسناً .. يمكنك الانصراف الآن.

في اليوم التالي وتقريبا عندما انتصف النهار ، كان (جلال) جالساً في أحد الكافيهات الشهيرة في منطقة المهندسين ، رن هاتفه المحمول وكان الشاشة تحمل اسم (سيد) ، اجاب (جلال) الاتصال متسائلاً:

– ماذا هناك يا (سيد) ؟ فأنا مشغول الآن.

سمع صوت (سيد) من على الجانب الأخر يقول :

– سيدي لقد حدث أمر ما ... أخبرني (أنور) الطاهي أن السيدة (أمل) لم تطلب منه الافطار كالمعتاد ولم تخرج من غرفتها كذلك .. وحاول الاتصال بها بالانتركم لكنها لم تجب .. فطلبت من (مديحة) القائمة على نظافة الفيلا الصعود لغرفة السيدة لترى ما الأمر. ...

قاطعه (جلال) بعصبية قائلاً:

– اسمع يا (سيد) .. لا وقت لدي لسماع كل هذه التفاصيل .. هات ما عندك .. ألم تجد (مديحة) السيدة في الفيلا ؟ .. هل سمحتم لها بالخروج؟

سمع (سيد) يقول:

– كلا يا سيدي .. لقد وجدت (مديحة) السيدة في غرفتها .. لكن ممددة على أرض الغرفة و كأنها فاقدة الوعي.

صاح به (جلال) قائلاً:

– وتتصل بي أنا ؟!.. علي الفور تقوم بالاتصال بالطبيب .. ستجد اسمه مدوناً في الدفتر الموجود على مكتبي .. وسأصل علي الفور.

(سيد):

– لقد فعلت بالفعل يا سيدي واتصلت بالطبيب وسيأتي بأقصى سرعة .

قال (جلال) وهو يقوم من مقعده:

– وأنا كذلك .

قالها وانهى المكالمة ، ثم ذهب ليدفع حسابه قبل أن يخرج بهدوء من الكافية ، توقف أمام سيارته وفتح بابها ثم اخذ نفساً عميقاً من الهواء وابتسم قبل ما يركب سيارته .

****

لم يتمالك (حسام) نفسه بعد ما سمعه من (جلال) ، رفع الرائد يديه فالهواء وهو يقول :

– لا يمكنني تصديق هذا الأمر .. يبدو أنني أمام قضية العمر .

قالها ثم ضغط زر الاستدعاء ، فدخل عسكري الخدمة مؤديا التحية ، فقال (حسام) وقد أصبح متحمساً جداً:

– أعد لنا فنجانين من القوة بسرعة .

ثم سأل (جلال):

– كيف تفضل قهوتك؟

مط (جلال) شفتيه بلا مبالاة وقال:

– لن يشكل ذلك فارقاً معي الآن.

التفت (حسام) للعسكري وقال:

– فليكن فنجانين من القهوة سكر مضبوط.

تقدم العسكري وجمع أكواب الشاي من أمام (حسام) و (جلال) والمكان الذي كان يجلس به (ثروت) وخرج.

وما إن خرج العسكري حتي قال (جلال):

– والآن سأخبرك بما حدث مع (مُحَمَّد) .

وعاد يروي.

دخل (مُحَمَّد) على (جلال) في حجرة الأخير بمقر الشركة وهو يقول:

– ماذا هناك يا (جلال)؟ .. الطريقة التي طلبت بها السكرتيرة مني أن آتي لمكتب ضايقتني .

قال (جلال) بملامح غاضبة ، أو بمعني أدق كان يرتسم عليه الشر:

– أنا من طلبت منها أن تأمرك بالقدوم فوراً وترك أي شيء خلفك.

عقد (مُحَمَّد) حاجبيه وقال مندهشاً:

– تأمرني ؟! .. ماذا بك يا (جلال) ؟ .. هل نسيت أنني أخيك؟

ضرب (جلال) سطح مكتبه بقبضته ، فانتفض (مُحَمَّد) ، وصرخ الأول:

– خارج الشركة .. أخي بعيداً عن العمل وبعيداً عن هنا .. أما هنا فلكل شخص بالشركة دور يؤديه ويتقاضى عليه الأجر.

كان (مُحَمَّد) مصدوماً ومبهوتاً ، ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر لأخيه الثائر ، هو لا يعرف ما سبب ثورته هذه ، وهذه المرة الأولى التي يسمع فيها مثل هذا الكلام من أخيه ، فسأله بتلعثم:

– هل .. هل تسببت في مشكلة ما ؟

رجع (جلال) بظهره في مقعده ، وهدأت نبرة صوته قليلاً وهو يقول:

– بل دعني أعيد صياغة سؤالك .. هل هناك ما قدمته حقاً للشركة؟

عقد (مُحَمَّد) حاجبيه وقال:

– ماذا تقول يا (جلال)؟ ... لقد عملت في الشركة لقرابة الثلاثين عاماً منذ بدأها والدنا رحمه الله .. أنا أعمل بها وقتما كنت أنت طفلاً صغيراً .. ماذا بك يا أخي ؟

هز (جلال) رأسه وقال:

– دعك من هذه الديباجة الغير مجدية .. فأنت تعلم تمام العلم أنني من صنع هذه الامبراطورية .. لولاي ما كانت هذه الشركة كما هي الآن .. لقد فطن أبي للفارق بيني وبينك فباع لي النصيب الأكبر لأكون أنا رئيس مجلس الإدارة .

لم يكن (مُحَمَّد) يصدق ما يسمع بأُذنيه ، كانت الصدمة تكسو ملامحه وهو يقول:

– لا أحد ينكر هذا يا (جلال) .. ولقد طلبت بنفسي من والدي رحمه الله أن يجعلك أن صاحب القرار .. فأنا لا يمكنني فعل ما تفعل بكل أمانه .. وهكذا صارت الأمور لسنوات فماذا حدث؟

(جلال):

– طالما أقررت بالأمر فاسمع الآتي .. أنا لا أراك كشريك في هذه الشركة .. سأشتري نصيبك بالمبلغ الذي تحدده أنت .. وسأمنحك مكافأة ضخمة لتقاعدك.

بدت الدهشة في كل ملامح (مُحَمَّد) وصوته وهو يقول متسائلاً:

– ما هذا الكلام يا (جلال).

وقف (جلال) وتحرك خارجاً وهو يقول:

– لقد سمعت ما قلته جيداً .. وعذا أريدك في مكتبي وقد حسمت أمرك .. هل تفهم.

قالها وخرج من المكتب صافعاً الباب بعنف ، فانتفض (مُحَمَّد) وهو لا يكاد يصدق ما حدث، لقد حدث شيء ما لأخيه ، ليس ذلك الرجل هو (جلال) أخية الذي نشأ بين يديه ، لقد تحول إلى نمرود متكبر ومتعال .

عاد (جلال) إلى فيلّته ودخل إلي حجرة المكتب بها ، أحكم إغلاق الباب من الداخل وجلس خلف المكتب ، فتح درج مكتبه ونظر إلي ما به ، ثم تناول تلك الزجاجة الشفافة ، الزجاجة القاتلة.

كان يشعر بأن (مُحَمَّد) لا يستحق شيء مما ناله من الشركة التي يعود الفضل له فيما أصبحت عليه ، لكنه يعرف أخيه جيداً ، سيرفض التنازل عن حصته في الشركة ، دائما ما يسمع منه أنه جزء من المكان لأنه بدأ العمل مع والده فيها منذ تأسيسها ومنذ يومها الأول ، دائما ما يفتخر بذلك ، والأدهى أنه يعلن من وقت لأخر أنه سيترك مكانه لابنه من بعده.

هذا هو بيت القصيد ، إنها الغيرة ، بل هو الحقد ، هو لا يمكنه أن يفقد كل ما صنع ، فحصة أخية ستذهب لابن أخيه ، وحصته هو نفسه ستذهب لابن أخيه بعد موته هو ، لقد حارب الدنيا ليحصل على ولد يحمل اسمه ويرثه ، ونجح في تحديه وحصل علي مبتغاه ، لكن لماذا فشل في الحفاظ علي (أدم).

الحل الوحيد الآن هو التخلص من (مُحَمَّد) وسيكون هو الوصي علي ابن أخيه لعدم وصوله للسن القانونية بعد ، وإن كان أوشك علي ذلك ، وبعدها يمكنه نقل نصيب ابن أخيه لنفسه ، بالطبع سيفعلها (ثروت) الجشع.

لكن الآن عليه التحرك بسرعة وتنفيذ خطته والتخلص من (مُحَمَّد).

في الصباح انطلق إلى الشركة بعدما رسم خطته سريعاً ، في طريقة للشركة صعد بالسيارة فوق أحد الأرصفة مصطدماً بأحد أعمدة الإنارة فوق الرصيف بكل قوته، بالطبع كان يضع حزام الامان ليحمي نفسه ، وتحطمت أجزاء من مقدمة السيارة .

اتصل هو بالشرطة وحرر المحضر المطلوب مع تعهد بسداد قيمة التلفيات للحي التي وقعت به الحادثة ، كان لسمعته وشهرته نصيب في أن تسير الأمور كما أراد.

ذهب بعد ذلك للشركة عن طريق سيارة أجرة عادية ، وصعد إلي حجرة (مُحَمَّد) مباشرة ودخل عليه دون حتى أن يطرق الباب ، قام (مُحَمَّد) متفاجئ لمقدم أخيه بهذه الطريقة وفوجئ أكثر عندما تقدم منه (جلال) وعانقه وهو يقول:

– سامحني يا أخي .. سامحني علي ما بدر مني يوم أمس .

لم يجد (مُحَمَّد) ما يقوله ، بل كان يفكر أن (جلال) قد جن جنونه بالفعل ، فهل من يقف أمامه هو نفس الشخص الذي تحدث معه بالأمس.

قال (جلال):

– لا أدري ماذا يحدث لي يا (مُحَمَّد) .. ولا أعرف كيف تمكنت من قول ما قلته بالأمس .. لقد تلفت أعصابي لما مررت به في الأشهر السابقة.

هدأ (مُحَمَّد) بعض الشيء وقال:

– بالفعل يا (جلال) .. أنت تحتاج لفترة من الراحة لتخفيف الضغط علي أعصابك .

قال (جلال):

– معك حق يا (مُحَمَّد) .. إنني أعاني بعض الشيء بالفعل .. تصور أنني تعرضت لحادثة سير هذا الصباح.

(مُحَمَّد) يهتف:

– ماذا ؟! .. وهل أنت بخير ؟

(جلال):

– نعم بخير كما ترى .. لقد شردت أثناء القيادة وارتطمت بعمود إنارة .. لا تقلق الضامر بسيط .. لقد تركت السيارة في ورشة الاصلاح بعد تسوية الامر مع المرور والشرطة.

(مُحَمَّد):

– حمداً لله علي سلامتك يا (جلال).

ابتسم (جلال) وقال:

– اشكرك يا (مُحَمَّد) .

ثم هم بالخروج لكنه توقف عند باب الحجرة والتفت ناحية (مُحَمَّد) قائلا :

– لكنك ستقلني بسيارتك بعد انتهاء العمل.

هز (مُحَمَّد) رأسه وقال:

– بكل تأكيد.

قبيل انتهاء موعد العمل بالشركة قام (جلال) بالاتصال بأخيه ، وعندما أجاب الأخير قال(جلال):

– لقد أحضرت كوبين من الشاي لنحتسيهما قبلما نغادر .. فإن لم تكن مشغولاً فأنا منتظرك .

أتاه صوت (مُحَمَّد) عبر الهاتف يقول:

– لا لست مشغولاً .. سأنضم إليك فوراً.

لم تمر دقائق حتي كانا مجتمعين في حجرة (جلال) بالشركة ، احتسيا الشاي بينما كان (جلال) يحاول مصالحة (مُحَمَّد) عما قاله بالأمس . انتهيا من الشاي ونزلا للمغادرة ، وعندما أحضر الحارس سيارة (مُحَمَّد) من الموقف الخاص بها قال (جلال):

– دعني أقودها أنا حتي الفيلا.

هز (مُحَمَّد) رأسه وقال :

– كما تشاء.

ركبا وانطلقا مبتعدين ، وفجأة وأثناء سيرهما شعر (مُحَمَّد) بألم رهيب في صدره ، وبالتحديد في قلبه ، وضع يده فوق مكان القلب وهو يتأوه وقد أرجع رأسه إلي مسند مقعد السيارة في ألم شديد.

نظر له (جلال) بطرف عينه وسأله:

– هل هناك خطب يا (مُحَمَّد)؟

قال (مُحَمَّد) بصوت مبحوح:

– أشعر بألم كبير في صدري يا (جلال).

(جلال):

– ألم تتناول دواء الضغط الخاص بك هذا الصباح؟

(مُحَمَّد) وقد بدأ الألم يشتد عليه:

– تناولته .. لكن هذا الألم لم أشعر به من قبل.

(جلال):

– لا تقلق .. سيزول الألم سريعاً .

فجأة شهق (مُحَمَّد) وحاول أن يفك أزرار قميصه ، وكأنه يعاني من صعوبة في التنفس ، ظهر الازدراد علي وجه وجحظت عيناه بعض الشيء وهو يقول بصت متحشرج وبصعوبة بالغة:

– اذهب لأقرب مستشفى يا (جلال) .. أسرع.

نظر له (جلال) بطرف عينه وهو يزيد من سرعة السيارة وقال:

– لا تقلق .. سينتهي الأمر قريباً.

لم يتمكن (مُحَمَّد) من الكلام وهو يطلق الآهات ، وتحشرج صوته أكثر فأكثر ، وازداد اتساع عينيه قبل أن يدورا في محجريهما بشكل عجيب ويغلق جفنيه ، ثم أطلق شهقة ألم ، الشهقة الأخيرة .

فاضت روحه بينما ينظر له (جلال) بطرف عينه ببرود عجيب ، ومع السرعة التي تسير بها السيارة وفي أحد الملفات ، مالت جثة مُحَمَّد حتى وصلت رأسه لكتف (جلال) الذي دفع جثة أخيه بيمينه وأعادها في مقعدها ثم مد يده أكثر ليربط حزام الأمان حول الجثة وهو يغمغم:

– هكذا أفضل بالتأكيد.

أكثر من ساعة ونصف و(جلال) يدور بالسيارة في الشوارع والطرقات ليتأكد من موت (مُحَمَّد) ، ولما تأكد تماماً اتجه بالسيارة إلي المكان الذي اختاره بعناية ، انه طريق في منطقة المقطم يمر بمنطقة قريبة

بعض الشيء من الفيلا لكنها غير مأهولة وتجري بها أعمال البناء فقط لبعض الفيلات، وهذا الطريق لابد وأن يقطعه العائد من الفيلا ، سيبدو الأمر منطقياً بكل تأكيد ، فهو تعرض لحادث في الصباح وبدون سيارة ، ورافقه (مُحَمَّد) إلي الفيلا عائداً من الشركة ، لكن الأخير أصابته أزمة قلبية فلم يسيطر علي السيارة وسقط بها من حافة الطريق لتتحطم به السيارة ، إنها خطة بارعة بالتأكيد.

كانت الأفكار تتلاحق بعقله عندما وصل للمكان الذي اختاره لتنفيذ جريمته ...

جريمته الأخيرة.

****

أوقف السيارة خارج الطريق قرب الحافة ، وأطفئ محركها بحركة لا ارادية وأخرج مفتاحها ثم ترجل من السيارة ، وقف ينظر حوله لبعض الوقت ، ولما تأكد من خلو الطريق من المارة دار حول السيارة وبدء يدفعها بكل قوته نحو الحافة .

استمر في الدفع حتي وصلت السيارة للحافة تماماً ، ثم تجاوزتها مقدمة السيارة والعجلات الأمامية و .. وبدأت في السقوط.

سقطت السيارة ، ثم ارتطمت بنتوء صخري فتغير اتجاهها في الهواء لتسقط علي جانبها الأيسر بعنف ، كان الصوت مدوياً بالفعل ، مما جعل (جلال) يلتفت حوله بخوف ، لكنه سرعان ما تأكد من عدم مرور أي سيارة في هذا المكان في هذا التوقيت.

أخرج أحدى سجائره وأشعلها ووقف ينفث دخانها ببطء وهو يغمغم :

– ألن تنفجر تلك السيارة كما نرى في أفلام السنيما؟

ظل علي وقفته بعض اللحظات الاضافية ، فلم يحدث جديد ، ألقي السيجار علي الأرض ، ثم خلع سترته وأمسك بها وسار عائداً إلى الفيلا .

فقد انتهت مهمته ...

مهمته الأخيرة.

****

انتهي (جلال) من روايته ، كان (حسام) ينظر له باشمئزاز هذه المرة ، هو ينظر لرجل لم يدع طريقاً للشيطان إلا وسلكه ، رجل نشأ وتربى مدللاً وفي فمه ملعقة من الذهب كما يقول المثل ، صحيح أنه ناجح عملياً ، لكنه منحل خلقيا بشكل رهيب ، لقد وصل لمرحلة من الكبر ظن نفسه قارون ، وجرؤ علي تحدي قدرة الله سبحانه وتعالى تماماً كما فعل قارون ، لكنه لم يرتدع من بعد موت (أدم) ، ذلك الابن المكتوب عليه الموت ، بل أصبح أكثر تجبراً وتكبراً.

لو أن الأمر بيده لشنقه ألف مرة ، لكن في النهاية هو القصاص ، قصاص واحد فقط في هذه الدنيا ، وسيرد إلى خالقه عز وجل ليفعل به أمره.

نظر إليه لحظات أخرى قبل أن يقول :

– الآن سأذهب لأستدعي الرجال لنأخذ أقوالك الرسمية واعترافك هذا .. بالطبع لن يُسمح لك بالمغادرة وسأعطي أوامري بالتعامل معك في حال حاولت الهرب .

(جلال):

– لن أحاول .. لا تقلق .. لكن هل من الممكن ان اتكلم مع (ثروت) قليلاً؟

قام (حسام) من خلف مكتبه ليترك الحجرة قائلاً :

– لك هذا.

فتح الباب وخرج ، وبعد لحظات اندفع (ثروت) داخلاً وجلس أمام (جلال) الذي بات شاحب الوجه وقد وضح عليه جفاف الحلق من شفتيه.

قال (ثروت):

– لا تقلق يا (جلال) بك .. كل شيء وله مخرج قانوني .. لكن اخبرني ما الذي...

قاطعة (جلال):

– اسمع يا (ثروت) .. لقد انتهي كل شيء واعترفت للرائد بالحقيقة و..

قاطعه (ثروت):

– ليس اعترافاً رسمياً بعد .. ولو أجبت أسئلتي فسأتمكن من ...

مرة أخرى قاطعة (جلال):

– قلت لك لقد انتهى الأمر .. وسأمنحك أتعابك بالكامل مقدماً مقابل شيء واحد.

تساءل (ثروت):

– وما هو ؟

(جلال):

– أن تترك القضية تسير دون أن تحاول البحث عن مخرج أو عن حل .. لقد انتهى كل شيء وأعرف مصيري .. وانتظره.

بُهت المحامي وهو يهز رأسه دون ان يتفوه بكلمة ، فأخرج (جلال) من جيب سترته دفتر الشيكات وحرر شيكاً باسم (ثروت) ثم أعطاه إياه.

نظر المحامي للمبلغ المكتوب في الشيك ، وافغر فاهه ببلاهة ، وتغلب جشعه عن ولائه لموكله وظل ينقل نظره بين (جلال) وبين الشيك ، ثم قال:

– على الأقل أخبرني بما حدث.

استرخى (جلال) في مقعده وقال :

– ستعرف في الاعتراف الرسمي بعد قليل.

وبالفعل في اليوم التالي كان (ثروت) و (جلال) يجلسون أمام وكيل النيابة في حضور الرائد (حسام) ، و(جلال) يدلي باعتراف تفصيلي لجريمته .

ثروت تغلبه الدهشة وعدم التصديق ، في حين (حسام) واثقاً وعلي ملامحة السعادة ، فقد أنهى قضية كان يظنها ستكون معقدة ، لكنها جاءته بمفاجئات لا يمكن تخيلها أبداً.

انتهى وكيل النيابة من عمل المحضر وأمر بحبس (جلال) على ذمة القضية .

خرجوا من مكتب النيابة ، الاصفاد في يدي (جلال) ويقوده عسكر الشرطة لمحبسه تبادل نظره سريعة مع (حسام) دونما كلام ، وانصرف (حسام) مبتعداً.

أما ثروت فظل يسير بجواره وهو يقول :

– اطمئن يا (جلال) بك .. فلن أدع الشركة تنهار أبداً .. وسأعمل على بقائها قدر ما استطيع إلي أن يصل (جلال) ابن (مُحَمَّد) رحمه الله للسن القانوني ويتسلم كل شيء.

توقف (جلال)عن السير ، والتفت إلي (ثروت) وقد تفاجئ بالفعل مما سمعه ، كيف غاب عنه الأمر منذ أمس .

يا لسخرية القدر ..

طالما حاول منع ابن أخيه من الحصول علي التركة الضخمة ، لكنه بنفسه من منحه كل شيء.

قال (ثروت) وهو لا يعرف ما يدور بخلد (جلال):

– سبحان الله يا (جلال) بك .. فكل شيء سيبقي يحمل اسمك .. اسم (جلال)

كان يقصد بأن من سيرث كل شيء يحمل نفس الاسم أيضاً.

يالها من سخرية ..

فجأة انفجر (جلال) مقهقهاً بشكل عجيب..

دفعه العسكري ليكمل السير ، فسار معه وهو يقهقه بجنون ، وخلفهما وقف (ثروت) لا يفهم سبب ضحك موكله ...موكله السابق.

****

تمت بحمد الله

الفهرس

اهداء ٣

الفصل الأول ٥

الفصل الثاني ١٩

الفصل الثالث ٤٠

الفصل الرابع ٦٦

الفصل الخامس ٨٨

الفصل السادس ١١٤

الفصل السابع ١٣٨

الفصل الثامن ١٦٠

الفصل التاسع ١٧٦

الفصل العاشر ١٩١

الفصل الحادي عشر ٢٢٦